تأملات إعجازية للنبي ﷺ

في مجال الأمن السياسي

صادق حسين



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تأملات إعجازية للنبى ﷺ

فى مجال الأمن السياسى

صادق حسين



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٠

الإخراج الفنى : مرفت عنتر النحاس

الغلاف : الحبيبة حسين

حسين ، صادق.
تأملات إعجازية للنبى (ﷺ) فى مجال الأمن السياسى/ صادق حسين .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
٢٨٨ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٧ ٤١٥ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ السيرة النبوية.
٢ ـ الأمن القومى.
أ ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٠٢٢/ ٢٠١٠
I. S. B. N 978 - 977 - 421 - 415 - 7
ديوى ٢٣٩

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الأمين العام

تقديم

الحمد لله ، ربنا لك الحمد ، فما يكون الحمد إلا لك ، ولك الشكر فما يكون الفضل إلا منك ، ومنك العطاء فما يكون الرجاء إلا فيك ، وصلاة وسلاماً علي سيد من أرسلت وأكرم إنسان بعثت وأعظم هاد به الدنيا هديت ، وعلي آله الطيبين الأطهار وأصحابه المصطفين الأخيار وأتباعه الأئمة الأبرار ومن تبعهم بالهدي إلي يوم الدين .. وبعد ،

قال الله تعالي (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

ولا يتأتى لنا – أن نتأس به(ﷺ) وأن نطيعه إلا بمعرفه سيرته العطرة طهراً وصفاء ونقاء وسماحة ووفاء وشجاعة ورحمة وأمانة وعدلاً ونبلا ، قولاً وعملاً وتقريراً .

من هنا يكتسب كتاب تأملات إعجازيه للنبي (ﷺ) في مجال الأمن السياسي تلك الأهمية البالغة لأنه قام علي تحليل المواقف الأمنية في سيرته (ﷺ) كما بين الكتاب بُعد نظره (ﷺ) وعمق فكره بجانب ما حباه الله من إلهام ووحي ، جعل تخطيطه أمراً غير مسبوق – رغم أميته (ﷺ) !

ولقد ضرب الكاتب أمثلة عديدة من حياته (ﷺ) دلت علي الإعجاز والعبقرية الفذة التي لم تترك صغيرة أو كبيرة عند مواجهة أي مشكلة أو خطة إلا وأوجدت لها حلاً ، مما أدهش العالم كله حتى يومنا هذا ،إذ كيف استطاع أن يبني أمة ويقيم دولة شامخة ، ستبقي إلي قيام الساعة رغم أميته .

ولقد برهن الكاتب على أن كل النظريات الاجتماعية والفلسفية (الماركسية والنازية) ليس بها نظام يكفل الأمن والأمان .. بل أثبت أنها تتسم بالأنانية والمآرب الشخصية .

ولقد وفق الكاتب في ضرب الأمثلة التي تجسد عمق الفكر الأمني في سيرته (ﷺ) بداية من سرية الدعوة أولاً حتى يتفادي قتلها في المهد ، ثم الجهر بها بين أهله ، ثم دراسته للحياة من حوله عندما أمر أصحابه – رضي الله عنهم – بالهجرة إلي الحبشة ، ثم هجرته وأصحابه إلي المدينة ، رغم أن أعداءهم يتربصون بهم في مكة ناهيك عن كم المؤامرات التي كانت تحاك والحروب التي كانت تشن ضدهم ، وكيف استطاع أن يحافظ على أمن الدعوة وأمن أصحابه ونجح أن يهزم العالم المتربص به.

لقد اقتضى الكاتب أن يشرح خطط الرسول (ﷺ) في إدارة الصراع مع قومه ومجتمعه ، وكيف حافظ على العلاقة القوية مع أصحابه ، ومشاورته لهم وعدم استبداده بالرأي رغم نبوته (ﷺ) .

بحق يعتبر موضوع هذا الكتاب جديداً فريداً ومتميزاً والله سبحانه وتعالى أسأل أن يؤتى هذا الكتاب ثماره وأكله ، كما ندعوه سبحانه أن يتقبله وينفع به .

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى السبيل ؛

الأمين العام

لمجمع البحوث الإسلامية

[illegible]

١٧ / ١٢ / ٨

علي عبد الباقي شحاتة

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

السيد / صادق محمود صادق حسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : [illegible]
تأليف : [illegible]

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
ادارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في ١٤ / ذو القعدة / ١٤٢٩ هـ
الموافق ١٢ / ١١ / ٢٠٠٨ م

١٢ / ١١ / ٢٠٠٨

إهداء

لخير البشر، للهادى البشير، لمن اهتدينا بنوره لنور الله، للمصطفى - ﷺ -.

كلمات بسيطة هى حلقة جديدة من سلسلة عبقرياته فى موضوعها الجديد عبقرياته العبقريات وكان علمه منشأ ومصدرًا للعلوم، وكان فكره نظريات ومناهج ومراجع.

كان ولا يزال نورًا فى نور إلى نور.

لقد اجتهدت فإن أصبت فبتوفيق من الله - عز وجل - وإن جانبنى التوفيق فمن نفسى، أدعو الله أن يتقبل صوابى وأن يتجاوز خطئى.

وأن يجعل مداد هذه الكلمات أضعافًا مضاعفة نورًا لى فى الدنيا ونورًا لى فى قبرى ونورًا عند بعثى ونوراً عند لقائه سبحانه وتعالى.

البداية الجمعة ٤ من مايو ٢٠٠٦ الموافق ٦ من ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

الانتهاء الجمعة ٨ من أغسطس ٢٠٠٨ الموافق ٧ من شعبان ١٤٢٩ هـ

صادق حسين



مقدمة

فى العديد من الدراسات المتنوعة والمختلفة عن حياة الرسول - عليه الصلاة والسلام - نجد فيها الكثير من الجوانب فى مختلف أشكالها وصورها والباحث فى أى مجال يستهويه سيجد ما يهتم به أيًا ما كان هذا المجال فى مجالات الاجتماع والسياسة والفن والطب وحقوق الإنسان بكافة أشكالها بل حقوق الحيوان والنبات... إلخ فحياته - ﷺ - أكاديميات متنوعة فى شعبها وفى مجالاتها.

* وفى أحيان كثيرة تتلاقى الأفكار مع طبيعة العمل وبحكم عملى بالشرطة بمجالاتها المتعددة وحظى الأكبر فيها كان فى العمل السياسى (مجال أمن الدولة) حيث عملت حوالى سبعة عشر عامًا وكان من ضمن الأسباب الذى أوعز إلىَّ بفكرة اختمرت فى ذهنى لحظة ما؟ هل كان سيدنا رسول الله لديه ما يقال اليوم أمنيًا بأن لديه الحاسة الأمنية" وهل كان له بُعد نظر أمنى فى أمور كثيرة مرت فى حياته سواء قبل البعثة أو بعدها هل تعلَّم الرسول الكريم فى إحدى الأكاديميات الأمنية أو كليات الشرطة أو مجال المخابرات كقاعدة أولية فى أسس الأمن السياسى ألا وهى قاعدة السرية؟ هل مر الرسول - ﷺ - بمحاولات تجنيد المصادر ؟ هل عرف فن الاستجواب هل درس تحليل المضمون وغير ذلك من مبادئ وأساليب وقواعد الأمن السياسى؟!.

ولأن الرسول كان إعجازًا فى العديد من المجالات المختلفة فإنه لا بد أن يكون أيضًا عظيمًا فى مجال الأمن السياسى ومن يحمل لقب الإعجاز الكامل لاينقصه هذا المجال بل إنه - ﷺ - قمة إعجاز لا مثيل له.

* وحين بدأت فى البحث عن مصادر و مراجع تسعفنى فلم أجد مصدرًا أو مرجعًا أستند إليه وهو الأمر الذى جعلنى أتهيب وأدركت أن مثلى من يسير على الماء ولا يريد أن تبتل ملابسه أو من ضرب فى الأرض دون أن تضل قدماه.

* ملأنى الإحساس بالخوف والهيبة والتهيب من التطرق لهذا الموضوع خشية الخطأ أو التجاوز فيما لا يجوز التجاوز فيه، ومما زاد من قلقى أننى حين شرفت بزيارة الحرم النبوى عام ٢٠٠٦ ميلادية قصدت مكتبة المدينة المنورة وقام العاملون فيها - مشكورين - بتقديم المساعدات وكافة الإمكانات العلمية للعثور على مصادر أو مراجع تفيدنى إلا أنه للأسف الشديد لم أجد ما يسد حاجتى.

* هنا لم يكن أمامى سوى البحث فى المكتبات عن مجالات الأمن السياسى وكتب السيرة النبوية بأنواعها كافة وقرأت العديد والعديد منها حتى استطعت أن أجد بعض الجزئيات فى موضوعات متناثرة وكان علىَّ تطبيق ما تعلمته فى حياتى العملية مع ما قرأته ومع بعض التحليل وبالفحص أمكن الوقوف على الآتى:

١ - السيرة النبوية مليئة بالموضوعات والأحداث والوقائع الأمنية والتى عاصرها الرسول - ﷺ - فكانت تصرفاته وتعاليمه وحكمته بمثابة دستور لأى جهاز أمنى على أرقى وأعلى مستوى.

٢ - أن الرسول الكريم ابتكر العديد من القواعد الأمنية والنظريات غير المسبوقة فكل واحدة منها يكتب فيها مجلدات وتعتبر مراجع.

٣ - سبق إعجازه الأمنى العديد من القادة الأمنيين فى عصرنا الحديث.

- بقيت كلمة أخيرة قد ينظر البعض بهلع وشك وحذر لهذا الكتاب باعتبار وجود قناعة لدى بعض الناس أن الأمن - بصفة عامة - عالم خفى وغير نظيف

وملىء بوسائل غير مشروعة وبنى على أنه عمل قذر Dertwork ، كما أنه عالم ملىء بالوحشية والعنف والتلفيق والتعذيب.

وقناعة هؤلاء البعض أن الرسول - ﷺ - أكبر وأكرم وأجل من أن يكون اسمه فى مثل هذا العالم....؟؟

* ولهؤلاء أقول عفوًا لِمَ جانبكم التوفيق والصواب فى شمولية هذا الحكم ولعلّى ألتمس لكم العذر فيما ترونه وما يحدث أمامكم اليوم من دور للأمن إلا أن ذلك حكم غير حيادى بل إنه حكم قاصر، وسؤالى أين الإسلام بتعاليمه السمحة من مسلمى اليوم؟ وهل من يطلق عليهم إرهابيون ينتمون للإسلام وهل وجود خلل وانعدام الرؤية لدى المسلمين ينقص من قدر الإسلام.. إن الدين الإسلامى بتعاليمه وقواعده ونصوصه لهو خير دين لمن يتبعه وينفذ تعاليمه وأصوله.

* ومن جهة أخرى فإننى أدعو هؤلاء إلى قراءة وفهم هذا الكتاب حتى يكون حكمهم ونظرتهم كاملة الأركان ثاقبة الرؤية؛ لأن سيرة الرسول - ﷺ - فى هذا المجال (الأمن السياسى) قد وضع قواعد وأسس ونظريات لو طبق بعضها فقط لأصبحت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله تطلق فى أنحاء المعمورة كافة وأنه - ﷺ - ليس مسئولاً عن تحريف وتطبيق تعاليمه وإرشاداته وتوجيهاته فالدولة الإسلامية التى زرع الرسول ﷺ بذرتها وكيانها قامت على عدة مبادئ أساسية هى:

١ - عقيدة التوحيد وكانت الدولة قائمة على أسس الدستور الإلهى وسُنة الرسول ﷺ.

٢ - مسئولية الدولة وأية دولة أيا ما كان كيانها فإن قاعدتها أن سلطة الدولة أمانة - ثروات الدولة أمانة - أمن المواطنين أمانة.

ولقد اعتمدت على الله - سبحانه وتعالى - فى هذا الكتاب واعتبرته تكليفًا وتشريفًا لى داعيًا إياه أن يوفقنى طالبًا منه المغفرة عن أى خطأ أو تجاوز لا أقصده فقصدى الأول والأخير إبراز لمحة مضيئة من حياة الرسول الكريم - صلوات الله عليه - فى مجال جديد لم يسبق بأن طرقه أحد من قبل.

وأن يوفقنى الله تعالى فذلك من فضله وإحسانه، وإن جانبنى الصواب فمن عندى، داعيًا إياه أن يغفر لى.

(رَبَّنَا لاتُؤاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)[1]

(ربنا لاتُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوهَّابُ)[2]

صدق الله العظيم

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٢) سورة آل عمران آية ٧.

• الباب التمهيدى

الفصل الأول

المبحث الأول : تعريف الإعجاز والعبقرية؟

المبحث الثانى : إعجاز الرسول (ﷺ)



المبحث الأول: تعريف الإعجاز والعبقرية؟

يحدثنا التاريخ القديم والمعاصر عن شخصيات إنسانية متنوعة وعديدة أضفى عليها صفة العبقرية بل إن البعض توسع فى إطلاق هذا الوصف على العديد من المشاهير والعلماء والفلاسفة وذلك دون النظر لمعنى هذه الصفة الفريدة.

** يروى التاريخ أن بعض الفلاسفة اشتركوا فى حوار وكان معهم الفيلسوف العظيم "ڤولتير" وكان موضوع النقاش (من هو الأعظم؟)

رأى أحدهم أن الأعظم تطلق على الإمبراطور الرومانى (يوليوس قيصر) ورأى آخرون أن الأعظم هو القائد الإغريقى (الإسكندر الأكبر) أو قائد المغول (تيمور لنك) أو الزعيم البريطانى (كرومويل) اختلف المتحاورون فى تحديد شخصية يطلق عليها الأعظم وعلى من تنطبق هذه الصفة إلى أن قال أحد الحاضرين إن أعظم الجميع العالم الرياضى (إسحاق نيوتن).

وهنا تحدث الفيسلوف "ڤولتير" وكان يستمع فقط للمتحدثين فقال إن لفظ وصفة الأعظم حقًا تطلق على العالم"إسحاق نيوتن" لأنه استطاع أن يحكم عقولنا بالمنطق والصدق، أما الآخرون فاستعبدوا عقولنا بالعنف والإجرام.

ـ ولا يزال التاريخ يحدثنا عن العديد من الشخصيات الفريدة فى مجالها والبعيدة الأثر سواء كان هذا الأثر حسنًا أو خبيثًا شريرًا أم طيبًا، وسوف يستمر

التاريخ يجدد هذه الشخصيات إلى قيام الساعة، ولعل هناك العديد من المشاهير الذين برعوا فى مجال من مجالات الحياة المختلفة ولهم تأثير زمنى أو مكانى.

وحتى يمكن تحديد الأمور ووضع الضوابط المناسبة، فإن العلماء وضعوا العديد من الشروط والمطلوب توافرها لمن يمكن أن يطلق عليه لفظ "العبقرية" وذلك من خلال استعراض هذا النموذج.

نموذج الأمريكى جولدما سيرمان[1]

وضع الأمريكى المذكور ثلاثة معايير، يرى ضرورة توافرها كحد أدنى لمن يطلق عليه صفة "العبقرية".

وهذه المعايير هى:

* **المعيار الأول:** أن يتوافر التكوين السليم للشخص، بحيث يكون اهتمامه الرئيسى بمن حوله ولصالحهم وليس لاستغلالهم لأطماعه وطموحه الشخصى.

مثال (١): ضرب مثلاً بذلك القس الأمريكى "چيم چونز" من ولاية چوفزتاون كان زعيمًا لجماعة آمنت به وصدقته فى ديانة أطلق عليها ديانة التحرر الكامل من كل ما يسمى بالأخلاق والقيم والآداب، وذلك حسب وصفهم وحين شعر بترصد السلطات الأمريكية له وقرب القبض عليه لم يكتف بالانتحار بل استطاع أن يقنع مريديه بذلك وانتحر معه حوالى ٩٤٠ شخصًا ما بين امرأة ورجل وطفل وأطلق على القضية (الطائفة المنتحرة).

- اكتشفت التحقيقات أن القس المذكور استولى على حوالى مبلغ خمسين مليون دولار من تبرعات جماعته ووضعها فى حسابات ببنوك مختلفة داخل وخارج الولايات المتحدة.

- كما أثبتت التحقيقات أن المذكور قام بمزج عصير الليمون بالسم وقدمه لمريديه.

---

(١) عالم اجتماع بجامعة شيكاغو، أمريكى الجنسية يهودى الديانة.

- هل هذا القس يمكن أن يطلق عليه لفظ زعيم أو صفة العبقرية؟

- هل المبادئ الأخلاقية التى أرساها على أتباعه جلبت لهم أى نفع أو مصلحة؟؟

مثال (٢) : الزعيم الألمانى "هتلر" سار خلفه أكثر من تسعين مليون شخص آمنوا به واقتنعوا بمبادئه وهتفوا لحياته... فما كانت النتيجة أوردهم الهلاك والخراب وقادهم إلى الدمار وحتى الآن لاتزال أوروبا بصفة عامة وألمانيا بصفة خاصة تعانى نتيجة مغامراته، غير آلاف الآلاف من المصابين والضحايا والمعوقين.

- هل هذا الزعيم يمكن أن يكون قائدًا جلب الخير لأهله؟

- هل هذه العبقرية أدت لإيجابيات؟

الحقيقة الثابتة لم تفرز سياساته سوى الموت والدمار والخراب.

- **المعيار الثانى:** يجب أن يوفر هذا الشخص (الموصوف بالعبقرية) نظامًا اجتماعيًا يشعر فيه الناس بالأمن والطمأنينة.

- قام الكاتب باستعراض العديد من النظريات الاجتماعية والفلسفية مثل : الماركسية - النازية - الصهيونية - الماوية ... إلخ.

- لم يجد فى هذه النظريات وغيرها صورة تحدد نظامًا يكفل الأمن والأمان خاليًا من الأنانية والمآرب الشخصية أو العقد النفسية فكل هذه الأنظمة والنظريات الفلسفية تقوم على تحريض الإنسان على الإنسان بل إن جوهرها هو بذور للتدمير الذاتى.

التعليق

بالرغم من أن الكاتب أعد دراساته فى الستينيات والسبعينيات إلا أن الواقع قد أيده فعلاً، فكان كمن يتنبأ بما سوف يحدث فى المستقبل القريب فعلى سبيل المثال:

أن النظرية الماركسية والتى حكمت نصف العالم أكثر من سبعين عامًا وكونت إمبراطورية أطلق عليها الاتحاد السوفيتى وأصبح لها ما يسمى بالكتلة الشرقية؟

ماذا قدمت لأهالى وشعوب هذه الدول ولأن جوهرها وأساسها كان يحتكر الفرد فقد انهارت من داخلها لانعدام جذورها والتى كانت قائمة على التدمير والهدم وليس البناء والإصلاح.

المثال الثانى: النظرية الصهيونية : قامت على أسس واهية دفعت العديد من يهود العالم للتجمع والانصهار وسط أمواج من أعدائهم مؤهلين أنفسهم فى أية لحظة للانقضاض عليهم وإبادتهم فاقدين الأمان والأمن.

- **المعيار الثالث:** ضرورة أن يتوافر فى الشخص العبقرى أو الزعيم القدرة على تقديم مجموعة معتقدات ومبادئ يوفرها للمؤمنين به تختلف تمامًا عن ما يطلق عليه بالزعامة الدينية أو الإخوة الإنسانية.

فمثلاً توجد العديد من الطوائف والملل المختلفة فى دولة واحدة مثل البيض والسود فى أوروبا وأمريكا وإفريقيا فلم يحدثنا التاريخ القديم أو المعاصر عن أسقف واحد للأوروبيين وكذا عن كنيسة واحدة فى أوروبا وأمريكا يصلى فيها جميع الناس أو غالبيتهم فمثلاً نجد الكاثوليك لهم كنائس وطقوس خاصة بهم تتعارض مع طقوس الأرثوذكس أو البروتستانت.

ـ ولعل أفضل عبارة أطلقها الإمبراطور المسيحى "چوليا موسى" عن وصفه للوضع والعلاقات المسيحية قائلاً : " **لاتوجد وحوش مفترسة تتسم بالعداوة والكراهية والبغض للإنسان كما يوجد فى الطوائف المسيحية بصفة عامة وبينها وبين بعضها بصفة خاصة**" .

النتيجة

خرج العالم الأمريكى بنتيجة فى ظل متطلباته الثلاث بأن بحث حالات العديد من القادة والزعماء أفرزت أن النبى[1] محمدًا ﷺ هو أعظم شخصية إنسانية

---

(١) على الرغم من هذه الشهادة وأن الرسول ﷺ غنى عنها لأن هذا اليهودى يحاول فصل النبوة عن الرسول ووضعه ضمن البشر إلا أنه ـ عليه السلام ـ كان له الزعامة والنبوة معًا.

على مر العصور حيث لم تنطبق المعايير الثلاثة إلا عليه فقط بل إن هذا الأمريكى الجنسية واليهودى الديانة أكد أن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ إن كان نجح فى الجمع بين هذه المتطلبات الثلاثة إلا أن هناك درجات كبيرة بينه وبين النبى محمد ـ ﷺ ـ .

المبحث الثانى: إعجاز الرسول (ﷺ)

كل من كتب عن العبقريات وتناول العديد من الشخصيات منذ نشأة التاريخ وحتى الآن ووضع المعايير والأسس للشخصية القائدة أو الشخصية العبقرية، لانجد من دخل فى إطارها وشملته خصائصها بل وزاد فى شروطها إلا سيدنا محمد عليه السلام .

- وكان - ﷺ - جامعة للإعجاز والعبقرية فلم يكن فريدًا أو عبقريًا فى مجال واحد بل جميع المحاولات والإعجازات من عسكرية وسياسية واجتماعية .. إلخ ولذلك فإن أفضل كلمة وأعلى مرتبة هى الإعجاز.

- لذا كان من الضرورى المرور على القياسات التى وضعها المعاصرون، والتى أفرزت أن إعجازه - عليه الصلاة والسلام - كان نافعًا للبشرية وأنصفه العديد منهم بالرغم من عدم قناعتهم بالدين الإسلامى الحنيف.

* أفرزت المعايير والأسس والضوابط التى وضعها الغربيون أن الرسول - عليه السلام - كان مجمع عبقريات لا نجد لها إلا وصف الإعجاز، ولو قيست أية واحدة على أى قائد أو زعيم لكان لفظ العبقرى لا يفى بحقه فهذا يطلق على شخص نبغ فى مجال واحد ففى مجال المرأة لايزال التاريخ يذكر شريعة الرومان بشأن المرأة واستعبادها وكذا المسيحية حتى فى عصر أوروبا المعروف "بعصر الفروسية" كانت المرأة تباع كجارية فى الأسواق وتزف لزوجها دون أن تراه ولم يحدثنا التاريخ عن رجل احترم المرأة كما حدث من الرسول - عليه السلام -

فكان يحترم المرأة فى حياتها وكذا بعد مماتها ولعل السيدة/ خديجة خير مثال لذلك.

- دعا الرسول ﷺ لحقوق المرأة وأباح لها حرية التجارة والاستقلالية المالية عن زوجها كما دعا لحسن معاشرتها حتى فى حالة الانفصال أن يكون بالمعروف.

كما طالب بأن يتجمل الرجل لزوجته ويبدو لها فى المظهر الذى تحب أن تراه فيه قال عليه الصلاة والسلام (**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم**).[1]

بل إنه - عليه الصلاة والسلام - وضع دستورًا فى تعامل الرجل مع زوجته حيث قال: "اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم)[2].

وغير ذلك من مجالات إعجازه - ﷺ - فى مجال الحرب ومجال السياسة ومجال العلاقات الإنسانية... إلخ) ولأن هذه الموضوعات تحدث فيها مفكرونا الأفاضل وتناولوها بالتفاصيل وكانوا أقدر على إبرازها إلا أن حديثى عن مجال جديد اقترب منه بحب وحذر بخوف وشجاعة بقلب ينبض بحب الرسول - ﷺ - فإننى أستخير الله تعالى أن أقتحم هذا المجال الجديد داعيًا إياه سبحانه وتعالى أن يوفقنى لإبراز إعجاز جديد يضاف لمجمع عبقريات وإعجاز الرسول - ﷺ -.

ولعل أبرز نموذج فى هذا المجال هو مجال كتاب "الخالدون" فإنه على النحو التالى: -

"مايكل هارت"[3]

الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ

أصدر الكاتب الأمريكى "مايكل هارت" كتابًا أحدث ضجة غير عادية فى أوروبا كان موضوع الكتاب الذى يقع فى حوالى ستمائة صفحة أن دوائر المعارف

---

(١) صحيح البخارى.

(٢) الترمذى،

(٣) مايكل هارت: عالم أمريكى الجنسية مسيحى الديانة يعمل فى هيئة الفضاء الأمريكى وله اهتمامات بالتاريخ.

على مستوى العالم والولايات المتحدة حددت حوالى عشرين ألف شخصٍ فقط اعتبرتهم قادة وعبقريات كان لها أثر فى نهضة أو دمار بلادهم بصفة خاصة وبصفة عامة فى تغيير مسار التاريخ ولأنه دارس للتاريخ فقد رأى أن يضع معايير موضوعية حتى يمكنه الخروج بكتابه الذى سماه (الخالدون مائة أعظمهم نبى الإسلام محمد).

- قرر المؤلف أن اختياره للمائة شخصية من بين عشرين ألف اسمٍ قام على الأسس التالية:

١ - أن تكون الشخصية حقيقية

استدل على ذلك بأن هناك العديد من الأسماء المشهورة والبعيدة الأثر لم يستطع التاريخ تأكيد وجودها وهل كانت شخصيات حقيقية أو أسطورية منها الحكيم الصينى (لاوتسو) وكذا الشاعر الإغريقى (هوميروس) مما دعاه لاستبعادهم.

٢ - أن تكون هذه الشخصية عميقة الأثر، سواء كان هذا الأثر إيجابيًا أو سلبيًا. وهو الأمر الذى دعا الكاتب لاختيار هتلر بالرغم من ما كبده للبشرية من خراب إلا أنه كان موجودًا وأثره لايزال ممتدًا حتى الآن.

٣ - أن تكون هذه الشخصية عالمية وليست محلية

أى أن تأثير هذه الشخصية كان مؤثرًا سواء بالسلب أو الإيجاب ليس على محيط بلده فقط بل امتد هذا التأثير ليشمل جزءًا كبيرًا من العالم.

ومن هنا فقد استبعد الكاتب الشخصيات والزعامات الدينية والسياسية المحلية وأيضًا المواهب العلمية المحلية.

ولم يكتف بذلك بل إنه استبعد الشخصيات التى لا تزال على قيد الحياة أو توفت من فترة قريبة أيًا ما كان تأثيرها المحلى أو العالمى حيث لايمكن الحكم بامتداد هذا التأثير والآثار التى أفرزها هؤلاء الأشخاص.

- استند الكاتب لاختياره الرسول - عليه الصلاة والسلام - ليكون أول الخالدين والسيد المسيح - عليه السلام - ليكون رقم ستة عشر فى القائمة بالرغم من أن أعداد المسيحيين ضعف أعداد المسلمين مقررًا الآتى:

١ - أن دور الرسول - ﷺ - كان أخطر وأعظم فى نشر الإسلام وتدعيم وإرساء قواعد شريعته قائما بذلك منفردًا مع وضع أصول للسلوك الاجتماعى والمعاملات بين المسلمين فيما بينهم وبين الآخرين.

٢ - أن القرآن الكريم (كتاب المسلمين على حد وصف الكاتب) نزل على محمد عليه السلام وحده وكتب فى حياته وكان جامعًا فيه كل ما يعنى أتباعه ومريديه.

- أما السيد المسيح - عليه السلام - فكان مسئولاً فقط عن مبادئ الأخلاق فى المسيحية وقام القديس بولس[1] بإرساء أصول الشريعة المسيحية دون سند وهو المسئول عن كتابة الكثير مما جاء فى العهد الجديد.

٣ - يضيف الكاتب على الرغم من ذلك لايوجد كتاب موحد للمسيحيين بل توجد العديد من الأناجيل والتى يختلف ويناقض بعضها البعض.

٤ - أن الرسول - عليه السلام - كان يمارس الأمور البشرية فتزوج وأنجب وتاجر وحارب ومرض بعكس السيد المسيح والذى لم يمر بهذه التجارب.

٥ - كان نبى الإسلام أعظم زعيم سياسى ومن خلال استعراض واستقراء أحداث التاريخ كان من الممكن وقوع أحداث عديدة دون أن يكون لها أبطال محددون ولعل مثال ذلك استقلال أمريكا عن إسبانيا كان من الممكن أن يأتى أى شخص خلاف (بوليفار) ويقود حرب الاستقلال.

- وكذا توحيد الولايات المتحدة كان من الممكن أن يقوم بهذا الدور أى شخص غير چورچ واشنطن.

- ولكن كان من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو بصفة خاصة والعرب بصفة عامة فما كان يمكن أن يوجد رجل ينجح فى توحيد البدو والعرب وكان ولايزال آثاره وتأثيره حتى الآن فيما عدا محمدًا (ﷺ).

---

(١) القديس بولس لم يعايش السيد المسيح ولم يره وبدأ نشر ما يسمى برسائله بعد رفع السيد المسيح بسنوات طويلة.

ـ فالقادة العظماء مثل چنكيز خان غزا العالم كله تقريبًا إلا أن أثره لم يستمر وعاد لبدايته وكذا نابليون ـ هتلر ... الإسكندر الأكبر أثروا على العالم إلا أنهم جلبوا الدمار لبلادهم وعادوا من حيث أتوا وأى تأثير وآثار تركوها كان ولا يزال كانت ولاتزال بالسلب على شعوبهم.

الفصل الثانى

المبحث الأول : الطبيعة الأمنية للمجتمع المكى والمدنى قبل البعثة

المبحث الثانى : المنهج الإسلامى فى تعريف الأمن

المبحث الثالث : الشرطة والأمن فى عهد الرسول (ﷺ)

المبحث الرابع : مجتمع المدينة عند هجرة الرسول إليها وتوجيهاته الأمنية



المبحث الأول: الطبيعة الأمنية للمجتمع المكى والمدنى قبل البعثة

(أ) المجتمع المكى قبل البعثة

ولد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمكة وظل بها لمدة أربعين عامًا إلى أن بعثه الله تعالى بالرسالة السامية الخالدة وظل معهم الرسول لمدة حوالى ثلاثة عشر عامًا يدعوهم للوحدانية وعبادة الله الواحد الأحد.

* كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبالطبع موضوعنا (الأمنية) غير مهيأة وغير مستعدة للدعوة الجديدة؛ لأن تعاليمها والقيم التى تدعو لها تتعارض فى غالبيتها مع تقاليد وعادات أهالى مكة حيث كان أشرافها وهم الحاكمون لهم قناعة بأن هذه الدعوة الجديدة سوف تسلبهم ما لهم من حياة وهيمنة دينية وكذا سيطرة اقتصادية على معظم القبائل العربية سواء المتواجدة بمكة أو المتحالفين معها خارج مكة وكذا من يأتون مكة لأداء الحج وتقديم القرابين للآلهة.

* كانت القبائل العربية تدين بالولاء التام لقريش أو من خلال معاهدات مع البعض الآخر استنادًا إلى أهمية مكة من زاويتين ـ **الأولى:** أن مكة بها البيت الحرام والذى تحج إليه القبائل العربية كافة ولكل قبيلة صنم داخل الكعبة تتعبد به.

الثانية: أن مكة تعتبر المركز الذى تمر به القبائل سواء فى رحلاتها للشام أو اليمن.

- على الرغم من أن الدعوة الإسلامية أصبحت معروفة بين القبائل العربية ومتناثرة بين قبائل أخرى وعلم بها الكثير من أشراف قريش إلا أنهم فى بدايتها لم يلقوا لها أى بال بل استخفوا بها واستهزءوا بمن اتبعوها.

- كان الجهر بالدعوة حين دعا الرسول أهل قريش وأبلغهم أنه مرسل من الله تعالى برسالة التوحيد هنا أدركت قريش خطورة الدعوة على المجتمع والاقتصاد والتجارة ولأن من مبادئ الدعوة المساواة بين السادة والعبيد والذين يشاركون فيما يسمى بالقوة العاملة وكذا انضمام بعض الشباب من أشراف قريش ومعهم العديد من العبيد فإن سادات قريش أدركوا الخطر الذى يحيق بهم وقرروا مواجهته بكل الأساليب المتاحة وغير الممكنة.

●● هل كان فى مكة حكومة قبل البعث؟

بالفعل كان بمكة حكومة ممثلة فى أشراف القبائل وكبارهم والذين اتخذوا من دار الندوة مقرًا للتشاور واتخاذ القرارات من تحالفات ورحلات وغيرها.

- وكان قصى أول من أنشأ هذه الدار وطلب من أشراف قريش[1] أن يقيموا مساكنهم حول الكعبة وكانت أمور الحكم على النحو التالى:

١ـ الحجابة ٢ ـ مفتاح الكعبة. ٣ ـ السقاية. ٤ ـ اللواء. ٥ ـ الرفادة.

وكانت جميعها تحت يد قصى[2] والذى قام فى أواخر أيامه بتوزيع هذه المسؤليات بين أولاده ومع مرور الوقت استقرت الأمور على الآتى:

السقاية والرفادة لعبد مناف.

الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار.

تلك مقدمة بسيطة ومختصرة عن الأوضاع فى مكة قبل البعثة ويتضح منها أن مكة كان بها نوعان من البشر:

---

(١) سلسلة عبد الحميد جودة السحار (السيرة النبوية) عشرين جزءًا الجزء الخامس مايو ١٩٦٧.

(٢) قصى الجد الأكبر لقريش ومنه انبثقت العديد من القبائل.

١ ـ الأشراف وهم زعماء القبائل والبطون المختلفة.

٢ ـ طبقة العبيد وهى تشكل القوى العاملة فى المجتمع.

(ب) المجتمع المدنى قبل هجرة الرسول ﷺ

حين تناولت الحديث عن المجتمع المكى كنت مدركًا أن الدعوة الإسلامية لم تنجح[١] نجاحًا كاملاً فى مكة حيث تصدى لها قريش وحلفاؤها وحاربوا الرسول ﷺ بكل الوسائل والأساليب ولم يكتفوا بتعذيب وقتل المسلمين الضعاف بل تعدى الأمر للتآمر على قتل الرسول ﷺ ومن هنا كان مرورى كالعابر على هذه الجزئية.

أما بشأن المدنية المنورة فقد مكث بها الرسول ﷺ حوالى أحد عشر عامًا وأحدث العديد من المتغيرات الجوهرية داخلها وهو الأمر الذى يستدعى الكتابة باستفاضة عنها باعتبارها القلعة التى بنى فيها الإسلام ومنها انتشر فى العالم أجمع.

●● ـ حالة المدينة (مرحلة ما قبل الهجرة النبوية)[٢]

ـ حين عزم الرسول ﷺ على الهجرة للمدينة المنورة بعد تزايد إيذاء قريش له ولأصحابه قال لهم: (رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة لأرض بها نخل فذهب وهلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هى المدينة)[٣] صدق رسول الله ﷺ.

١ ـ الموقع الجغرافى

ـ تقع المدينة المنورة على الحافة العربية المنحدرة من الجزء السهلى للجزيرة العربية والمسافة بينها وبين ينبع حوالى ٢٧٥ كيلومتر بينها وبين مكة ٥٠٠ كم.

ـ ترتفع عن ساحل البحر الأحمر بحوالى ٦٣٩ مترًا تقريبًا وهى عبارة عن أرض برية وجبالية.

---

(١) المقصود النجاح الكامل وإن كان الرسول ﷺ نجح فى زرع البذور الأولى للدعوة وكان عمالقة الصحابة هم النواة الأولى للدعوة.

(٢) كتاب المدينة المنورة فى عهد الرسول ﷺ د. عبد الله إدريس / جامعة الملك سعود.

(٣) صحيح البخارى ومسلم.

ـ تعتبر المدينة المنورة من أحد أكبر مراكز البراكين فى العهود القديمة ولها عدة أودية تجرى من خلالها السيول ومياه الأمطار ولكثرة النشاط البركانى بها فقد كثرت الآبار فيها.

ـ يمكن القول إنها تعتبر مدينة زراعية فى المقام الأول ثم تجارية فى المقام الثانى.

– كانت المدينة قبل البعثة تسمى يثرب ثم سميت باسم المدينة المنورة كتوجيهات الرسول ﷺ.[1]

– وهكذا نتيجة العوامل السابقة أصبحت المدينة المنورة واحة صافية ولأنها كذلك كانت تمر عليها القبائل المتجهة من وإلى الشام وهذا الموقع جعل لها أهمية تجارية كبيرة كما جعلها مطمعًا للقوى المنافسة فى داخلها.

ـ كثرت بها الأسواق التجارية والمتاجر وكذا الصناعات مثل الحدادة والصياغة وبعض الصناعات المعتمدة على مواد النخيل مثل الخوص والحبال والأثاث والأبواب.

٢ ـ العناصر السكانية فى المدينة (قبل الهجرة)[2]

١ ـ اليهود

ينسب اليهود إلى يهوذا بن سيدنا يعقوب والذى استقر الملك فى ذريته ومع الوقت أهمل حرف الذال وبدل بالدال فسموا اليهود ولا توجد حقيقة يمكن تأكيدها بتوطن اليهود فى المدينة المنورة إلا أن أغلب الآراء كانت على النحو التالى:

ـ رأى يرى أن اليهود كانوا فى حملة جيش بنوثير حيث جاء تيماء فأقاموا بها.

ـ رأى يرى أن اليهود فروا إلى المدينة بعد ظهور الروم وفتكهم بالعبرانيين.

---

(١) توجيهات لفظ أمنى كتعليمات يجب تنفيذها.

(٢) المدينة المنورة فى عهد الرسول ﷺ د. عبد الله إدريس ـ جامعة الملك سعود.

- رأى يرى أنه بعد خروج اليهود من مصر مع سيدنا موسى لقوا رفضًا ومقاومة لهم؛ ولذا فضل بعضهم اللجوء إلى بلاد الحجاز.

- ولأن الموضوع ليس جوهر كتابنا فإنه يمكن القول بأن اليهود استقروا فى المدينة بين القبائل واتخذوا لأنفسهم أسماء عربية كنوع من التمويه والتقرب للعرب ولأن لديهم قناعة بأن النبى المنتظر سوف يخرج من بلاد العرب فقد استقروا فى المدينة وهيئوا أنفسهم لأن يكون هذا النبى من بينهم.

- ولأنهم أصحاب ثروة فقد أخذوا أخصب المواقع فى المدينة المنورة.

●● أعداد اليهود وقبائلهم

بالرغم من عدم وجود إحصائية دقيقة يعتمد عليها إلا أنه يمكن على وجه التقريب أن أعدادهم كانت على النحو التالى:(١)

● **يهود بنى قينقاع:** قدر عددهم بحوالى ألفين وثمانمائة شخص منهم سبعمائة مقاتل .

● **يهود بنى قريظة:** قدر عددهم بحوالى ثلاثة آلاف شخص منهم حوالى سبعمائة وخمسين مقاتلاً.

● **يهود بنى النضير:** قدر عددهم بحوالى ثلاثة آلاف شخص.

- هذه العوامل السابق الإشارة إليها جعلت لليهود نفوذًا وتعاليًا خاصة على قبيلتى الأوس والخزرج أهل المدينة وأكبر قبائلها مما جعل أحد أبناء يثرب ويدعى/ مالك بن عجلان أن يستغيث ببنى عمومتهم بالشام على اليهود فأرسلوا له قوة استطاعت التغلب على اليهود وقتل منهم حوالى ثلثمائة وخمسين مما جعلهم فى ضعف واستكانة وأخذوا يتوددون إلى رؤساء قبائل الأوس والخزرج حتى صاروا حلفاء لهم.

---

(١) نفس المصدر السابق.

ومن خلال ذلك أخذوا بالحيلة للوقيعة والدس بين القبيلتين حتى تنشب بينهما معارك عديدة كان من أبرزها واقعة (بعاث) قبل الهجرة بخمس سنوات وأنهكت قوة القبيلتين تمامًا مما أضعفهم لحساب اليهود فعادوا إلى دعايتهم بظهور نبى من بينهم سيكون لهم به الغلبة والنصر.

٢ ـ الديانة المسيحية

صلة المسيحية قديمة بالمدينة المنورة وترجع لأيام انتشار المسيحية فى بدايتها فقد وجدت كتب تذكر أن رسلاً من قبل سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ أرسلوا للمدينة.

ـ كما كان للتجار الذين يفدون بتجارتهم تأثير ملحوظ فى نشر المسيحية والتى استهوت بعض الشباب من الخزرج والأوس فاعتنقوها.

ـ يمكن القول بصفة عامة إن المسيحية عرفت لها بل كان فى بلاد الحجاز من خلال القوافل التجارية وعن طريق أهل اليمن وكان بالحيرة مركز كبير للنصرانية وكان يعرف معتنقوها "بالعباد" واستمرت هذه الصلة والتواجد حتى الهجرة النبوية والتى غيرت تمامًا هؤلاء المستنصرين إلى الإسلام وظل القليل مترددًا فى دخول الإسلام وكان عددهم لايذكر إلا أنه فى عهد سيدنا أبى بكر لم يبق أحد منهم وإلا وقد أسلم.

٣ ـ المجوس

هم أهل الفرس (إيران حاليًا) وكانوا يعبدون النار ويتخذونها إلها وكان بعضهم لا يزال بالمدينة حتى الهجرة النبوية ثم أسلموا وكان للمجوس وجود فى اليمن أيضًا وأخذ منهم الرسول ﷺ الجزية.

ويشار هنا إلى أن الصحابى (زيد بن ثابت ترجمان الرسول) ـ ﷺ ـ تعلم السريانية والفارسية والقبطية من أهلها المقيمين بالمدينة.

٤ ـ الأوس والخزرج[١]

الأوس والخزرج يرجع أصلهما لقبائل اليمن ولقبوا بالأنصار لنصرتهم لسيدنا رسول الله.

---

(١) كتاب (المدينة المنورة فى عهد الرسول ﷺ) د. عبد الله إدريس، جامعة الملك سعود.

- ينتمى الأنصار إلى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس الشاعر العربى المعروف.

- عرف الأوس والخزرج بين العرب باسم اليمانية ومنها جاء اسم حذيفة بن اليمان العبسى.

- ينقسم الأوس والخزرج إلى عدة بطون منهم مالك بن عدى وبنوعبيدة وبنى النجار (أخوال الرسول ﷺ).

- يرى المؤرخون أنه عقب خراب اليمن بعد حادث سيل العرم هو الذى دعا بالأوس والخزرج للهجرة إلى المدينة المنورة وبخاصة أن أرضها زراعية وهم العالمون بالزراعة.

- ولأن قناعة اليهود بأنهم الأعز فقد اضطر الأوس والخزرج لمسالمتهم بل وعقدوا معهم حلفًا ليأمنوا شرهم وأخذوا يتفرغون للزراعة حتى ملكوا الأموال وصار لهم المال والعدد.

- خشى اليهود من قوة الأوس والخزرج ففضوا الحلف الذى كان بينهم مما اضطرهم للاتجاه للشام حيث بنو عمومتهم من الغساسنة والذين أيدوهم بالمال والأفراد ثم استطاعوا كسر شوكة اليهود.

- يشار هنا أن الغساسنة كانوا يدينون بالمسيحية ولعلهم أرادوا بنصرتهم للأوس و الخزرج أن يكون الدين المسيحى متواجدًا بقوة أمام اليهود والذين رأوا أنه فى ظل قوة وتحالف الأوس والخزرج فإن سياسة الوقيعة وبذر الفتن هى خير أسلوب لمواجهتهم ونجحوا فى ذلك وأبدًا ينجحون فيه حتى دارت الحرب بين القبيلتين وكان أول معركة هى حرب "سمير" بسبب النزاع القبلى حول دية الحليف، وكانت حرب "بعاث" آخر معركة بين القبيلتين والذين أدركوا أن اليهود هم السبب الحقيقى للوقيعة بينهم.

٥ ـ الموالى والعبيد

شكل الموالى والعبيد طائفة اجتماعية كبيرة داخل المدينة المنورة وكان غالبيتهم من غير العرب.

- كان وجود العبيد والموالى ضرورة اقتصادية واجتماعية لا غنى عنها حيث كانوا يعتبرون القوى العاملة فى الزراعة وغيرها من الخدمات والتى كان العرب يأنفون منها.

- وكان بالبعثة المحمدية انهيار لهذا النظام حيث يرى الإسلام أنه لافرق بين عربى وعجمى إلا بالعمل الصالح والتقوى وكان لرسول الله ﷺ الكثير من المواقف العملية التى أعلت من شأن الموالى وجعلتهم على قدم المساواة ومنها على سبيل المثال قيام الرسول - عليه الصلاة والسلام - بتزويج ابنة عمته السيدة/ زينب بنت جحش وهى ذات الحسب والنسب لمولاه زيد بن حارثة.

- كان المصدر الأساسى للعبيد (الموالى أفراد ضعاف يعيشون فى كنف القبيلة وتحت حمايتها) السبى فى الحروب والغزوات بالإضافة للبيع لتسديد الديون وهو الأكثر شيوعًا بعد الغزوات حيث كان الرجل يعرض ابنه أو ابنته للبيع لتسديد ديونه.

٦ - فئة المولدين(١)

كان يقطن بالمدينة بعض الموالى يعرفون بفئة المولدين وينسبون لبلدهم أو قبيلتهم فيقال مولدى مكة أو مولدى مزينة.

- يسرى عليهم ما يسرى على العبيد من البيع والرق وخلافه.

٧ - موالى الفرس(٢)

وكانوا يقطنون المدينة قبل البعثة وكان الخطف المصدر الأساسى لهم حيث كانوا أثناء سفرهم للتجارة يختطفون ويباعون.

٨ - موالى القبط(٣)

كانت النوبة مصدرهم الأساسى.

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق نفسه.

ملحوظة مهمة:

أهالى المدينة كانوا يستحبون لفظ (الموالى) على الفئات المذكورة وكان الموالى يورثون بعد وفاة سيدهم لورثته ويمكن بيعهم فى أسواق العرب.

المبحث الثانى: المنهج الإسلامى فى تعريف الأمن

قال تعالى (سورة الرحمن)

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ صدق الله العظيم[1]

خلق الله تعالى الكون بما فيه من إنسان وحيوان وجماد ونبات وكذا الجان وغيرها من المخلوقات التى عرفت لنا والتى لم تعرف حتى الآن ولم يخلق الله تعالى ذلك عبثًا ولهوًا بل خلقهم لحكمة عنده وبالنسبة للإنسان والجان فقد حدد الله تعالى هذا الخلق لهدف واحد وهو العبادة قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَ وَالإِنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] ولأن حكمته الإلهية التى قطع فيها أى جدال هو الوحدانية له سبحانه وتعالى.

- وكلما ارتقى الإنسان فى العبودية لله تعالى ارتفعت منزلته وازداد قربًا من الله تعالى.

والسؤال هو : هل خلق الله تعالى الإنسان وتركه بمفرده كى يتعرف على الكون والمخلوقات ويعرف الطريق إليه سبحانه وتعالى بالطبع لا لأنه الرحيم بعباده حدد لنا منهاج ما نسير عليه وكذا كى يستطيع الإنسان أن يتعايش فى الكون ويتعايش مع نفسه، ولذا كانت عدالته ألا يترك الإنسان أعمى البصيرة ولذا وضع له المنهج الذى يسير عليه وهو" القرآن الكريم".

---

(١) سورة الرحمن الآيات رقم ١ : ٤.

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦.

ـ وضع الله فى هذا المنهج القواعد والأصوليات التى إن تعامل بها الناس سعدوا وارتقوا وأن تركوها تحملوا وزرها ولم يضع الله تعالى تكليفًا للإنسان إلا وقد سبقه بوضع اللبنة التى ينبغى السير عليها.

وكان للأمن : نصيب وافر فى القرآن الكريم وكذا السنة النبوية.

قال تعالى ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ [١] صدق الله العظيم

ـ من المبادئ السامية التى وضعها الإسلام للوصول إلى الأمن عدم الظلم واحترام حقوق الآخرين... إلخ.

قال تعالى ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[٢] صدق الله العظيم

كانت دعوة الإسلام ليس فقط فى نطاق الأمن الداخلى بل أيضًا والخارجى حتى يستطيع الإنسان أن يأمن على نفسه وماله وأهله[٣].

ـ كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدرك بفطرته أهمية الأمن ولذا قال:

(كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[٤].

ـ وحين جاء الصحابى عدى بن حاتم مع وفد من عشيرته لإعلان إسلامه سأله الرسول أتعرف الحيرة قال الصحابى لا أعرفها ولكنى سمعت بها قال له المصطفى (والذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز قلت (الصحابى) يا رسول الله كسرى بن هرمز قال له الرسول ﷺ نعم وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد)[٥]

---

(١) سورة النور آية ٥٥.

(٢) سورة الأنعام آية ٨٢.

(٣) ولاية الشرطة فى الإسلام دراسة فقهية تطبيقية تأليف عميد دكتور/ نمر محمد الحميدانى.

(٤) صحيح البخارى.

(٥) الظعينة: المرأة فى الهودج.

- أضاف الصحابى ولقد حضرت ذلك (صدق رسول الله).

- وهكذا نجد أن الرسول - عليه السلام - بشر بالأمن وهل هناك أمن أكثر من أن تسافر المرأة الضعيفة دون محرم أو حارس لها.

- ولقد روى عن الرسول الكريم أنه قال:

(من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت الرسول فقال له الصحابة ما له يارسول الله قال - ﷺ - (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)[1]

- وكان - عليه السلام - ينظر لمن يرجى منه الخير ولا يخاف أحد منه ويؤمن الشر من جانبه فإن هذا الإنسان يكون خير الناس فقال - ﷺ - أيضًا (خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره)[2]

- ولم يكتف المعلم الكبير للبشرية بذلك بل أنكر على من يرهب الناس بغير الحق ويهددهم ويسلبهم أموالهم وأنفسهم.

- عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال... قال رسول الله «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول فى النار قال الصحابى يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول فقال - عليه السلام - إنه كان حريصًا على قتل أخيه».

ومن هنا نرى أن الإعجاز للقرآن جعل الأمن نعمه جليلة من الله - عز وجل - فقال تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِنْ خَوْفٍ﴾[3] وعلى الجانب المقابل فقد جعل الله تعالى الخوف عكس الأمن فقال سبحانه وتعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[4].

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) ابن كثير ومسلم فى كتاب الجهاد.
(٣) صحيح البخارى (باب الشكر).
(٤) سورة النحل الآية: ١١٢.

المبحث الثالث: الشرطة والأمن فى عهد الرسول (ﷺ)[1]

أصبحت الشرطة مظهرًا من مظاهر أية دولة سواء كانت دولة متقدمة أو دولة متأخرة أو ما يطلق عليه دول العالم الثالث ولا غنى عنها فى أية بقعة معمورة وهى تمثل الأمن والأمان، بل لأن وظائفها تداخل مع العديد من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ وهنا قد يتبادر سؤال إلى الذهن هل كان المجتمع فى العهد النبوى به "الشرطة" وللإجابة عن هذا السؤال لابد من الوقوف أولاً على معنى كلمة الشرطة:

- منذ واجه الإنسان الحياة على ظهر الأرض وجد قوى الخير ووجدت قوى الشر وتمثل الخير دائمًا فى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ثم وجدت قواعد الأخلاق والسلوك والتى لاتخرج عن دائرة الفطرة السليمة.

● ولأن الخير كان وسيظل ملازمًا للشر فقد حاول الإنسان البدائى أن يبتكر وسائل يحمى بها نفسه من المعتدين عليه وكانت البداية ضد الحيوانات المفترسة ومع ظهور المطامع أصبح للإنسان وسائل وأساليب لحماية نفسه ضد الآخرين.

● وباكتمال المجتمع البدائى انتقلت مسئولية حماية القبيلة لأفرادها والذين تميزوا بأجسامهم القوية وسواعدهم الفارعة ثم أصبح هؤلاء الأفراد تحت تصرف شيخ القبيلة والذى بدأ يحدد أصنافًا معينة من الأشخاص ينطبق عليها

---

(١) ولاية الشرطة فى الإسلام (دراسة فقهية ـ تطبيقية تأليف العميد الدكتور/ نمر بن محمد الحميدانى ـ مكتبة المدينة المنورة.

عدة شروط منها الصحة ـ الجسم وكانوا نواة لحماية النظام الذى وضعه شيخ القبيلة.

ـ وأصبح هؤلاء الأشخاص النواة الأولى لوظيفة الشرطة.

ـ ومع تطور المجتمع البدائى أصبحت هذه المجموعات تختص بالمحافظة على قواعد الأخلاق والفطرة السليمة ومع ظهور المدن أصبحت الشرطة ذات تنظيم وقواعد محددة ولها أشخاصها الذين تخصصوا فى هذا العمل بمقابل مادى وزى خاص بهم.

(أ) معنى الشرطة فى اللغة

اتفقت معاجم اللغة العربية على تفسير كلمة الشرطة بما كان يتميز به رجالها من علامات ظاهرة أو شروط (إشارات) ملونة تميزهم عن غيرهم وتوضع هذه العلامات على العباءة أو الرأس.

ـ لفظ الشرطة يساوى لفظ (بوليس) باللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية وكانت تعنى عند الإغريق بأنها المدينة أو بمعنى آخر الحضارة.

ولأن بلاد الإغريق كانت عبارة عن مدن متفرقة لم تتوحد فى شكل دولة إلا فى عام ١٤٦ ق. م ثم أصبحت تطلق على الجهاز الذى يصون أمن المدينة والمرتبط برفاهيتها.

ثم تطور المعنى اللغوى وأصبحت كلمة بوليس بأنها الجهاز المسئول عن الأمن.

(ب) المعنى الاصطلاحى للشرطة

تعنى الشرطة اصطلاحًا الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالى فى استتباب الأمن وحفظ النظام والقبض على الجناة بعد ارتكابهم لجريمتهم.

ـ أول ما استخدمت كلمة شرطة فى عهد سيدنا الإمام/ على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وهو أول من وضع لها نظامًا محدد الواجبات واختار لها رجالاً عرفوا بالتقوى والصلاح والقوة وكان يطلق عليهم رؤساء الشرطة.

(جـ) كلمة العسس

ظهرت هذه الكلمة أول مرة فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب وكان أول من قسم المدينة المنورة لمناطق أوكل فيها التناوب للحراسة رجالاً أطلق عليهم العسس.

- كانت الشرطة فى بدايتها تابعة لأمير المؤمنين ثم أصبحت تحت ولاية القاضى ثم انفصلت عن القضاء واستقلت بذاتها.

- كان منصب صاحب الشرطة من أعظم وأجل مناصب الدولة وكان له مكانة عالية عند الحاكم والمحكومين وهو ما يطلق حاليًا وزير الداخلية أو وزير الشرطة.

لفظ الشرطة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة

- بصفة مبدئية لم يُشرْ القرآن الكريم إلى لفظ الشرطة صراحة ولكن وردت بعض الإشارات والعبارات التى توحى بوجود من يقوم بمهام الشرطة.

- ومثال ذلك فى قصة سيدنا موسى - عليه السلام - مع فرعون حين أرسل الأخير من يجمع له السحرة ويجمع الناس ليوم الزينة حيث قال تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾. [(١)]

- إلا أن العبارات كانت بصورة أوضح وأدق فى السنة النبوية وذلك على سبيل المثال:

أحاديث فى مجالات الحراسة الشخصية للرسول - عليه السلام

(أ) **عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:** إن قيس بن سعد كان يكون بين يدى النبى ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.[(٢)]

- يلاحظ أن لفظ الشرطة ورد صراحة

---

(١) سورة الأعراف آية ١١١.

(٢) صحيح البخارى باب الحاكم يحكم بالقتل، جزء ١٣، ص ٢٣٣.

وقام الإمام النووى يتبين معناه فقال: إن الشرطة طائفة من الجيش تقدم للقتال.[1]

(ب) حديث النبى (ﷺ)

(عينان لا تمسهما النار أبدًا : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله) صدق رسول الله - ﷺ - وهى من أبرز الأحاديث النبوية ويوضح فيها أن العين التى تحرس فى سبيل الله تتسع لتشمل الشرطة - الجيش كلٌ من يؤدى عمل لوجه الله تعالى يستدعى السهر والحراسة.

(جـ) حديث السيدة عائشة رضى الله عنها[2]

أنها قالت إن رسول الله - ﷺ - سهر فى مقدمة المدينة ليلة فقال ليت رجلاً صالحًا من أصحابى يحرسنى الليلة .. قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال - عليه السلام - من هذا قال سعد بن أبى وقاص[3] فقال له الرسول - ﷺ - ما جاء بك قال الصحابى : وقع فى نفسى خوف على رسول الله - ﷺ - فجئت أحرسه فدعا له الرسول - ﷺ -.

- ويستفاد من الحديث مشروعية الاحتراس من العدو والأخذ بالحزم وترك الإهمال فى موضع الحاجة إلى الاحتياط ويجب حراسة السلطان خشية التعرض له وفيه الثناء على المتبرع لذلك.

(د) حديث العباس بن عبد المطلب

روى الإمام مسلم عن سيدنا العباس بن عبد المطلب أنه قال شهدت مع رسول الله - ﷺ - يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن حرب رسول الله فلم نفارقه.[4]

(هـ) حديث أحمد بن عبادة بن الصامت رضى الله عنه.

قال خرجنا مع رسول الله فى غزوة بدر فالتقى الناس وهزم الله تعالى

---

(١) المصدر السابق.
(٢) صحيح الإمام البخارى سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٩١.
(٣) صحيح مسلم باب فضائل سعد بن أبى وقاص.
(٤) غزوة حنين (سيرة ابن هشام).

المشركين فقامت طائفة فى أثرهم حتى يطمئنوا لهروبهم وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ يحرسونه ويحمونه وقامت طائفة بجمع الغنائم حتى مضى الليل وحدث خلاف فى الرأى بين الطوائف الثلاث فيمن أحق بالغنائم حتى نزل قول الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ فقام الرسول - ﷺ - بتقسيمها وتوزيعها على المسلمين.

- وبالرجوع لكتب السيرة النبوية عن النفر الذين أحدقوا برسول الله لحمايته ذكر فيها أن الصحابى الجليل سعد بن معاذ كان قائمًا على باب العريش الذى كان يسكن فيه الرسول عليه السلام متوشحًا سيفه مع نفر من الأنصار خشية كره قريش مرة ثانية.

(و) صحيح البخارى[1]

ذكر الإمام البخارى عن المسور بن مخرمة ومروان - رضى الله عنهما - أنهما قالا:

- جاء عروة بن مسعود يفاوض النبى فى صلح الحديبية وكان كلما تكلم كلمة حاول أن يمد يده إلى لحية الرسول والمغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - قام على رأس الرسول ﷺ ومعه سيفه وكلما حاول عروة أن يمسك لحية الرسول ﷺ يضربه بنعل السيف وقال له أخر يدك عن لحية الرسول.

- يشار إلى أن من عادات العرب أن يتناول الرجل لحية من يحدثه ولاسيما عند الملاطفة وفى الغالبية يقوم الرجل الثانى بنفس الفعل وكان النبى - عليه السلام - يغض الطرف عن تصرف عروة لاستمالته إلا أن سيدنا المغيرة إجلالا منه لمقام الرسول ومعرفة بمنزلته كان يمنع عروة من الإمساك بلحية الرسول ولم يعارضه - ﷺ - فى ذلك.

- حارس وحاجب للرسول عليه السلام[2]

وجود الحاجب أو الحارس نوع من الأمن والأمان يقصد به أن يتصدى لأى

---

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى أسباب الشروط فى الجهاد، ج ٥، ص ٣٣٠.

(٢) صحيح البخارى مع فتح البارى كتاب فضائل الصحابة.

قادم ولايسمح له بالدخول إلا بإذن صاحب المكان وقد وردت فى السيرة النبوية بعض الوقائع والتى يتضح فيها أن الرسول - ﷺ - كان يتخذ حاجبًا وهو بالمعنى الآن حارس.

١ - ورد فى البخارى عن أبى موسى رضي الله عنه أن النبى - ﷺ - دخل حائط (أى بستان) وأمرنى بحفظ بابه فجاء رجل يستأذن فى الدخول فقال - ﷺ - ائذن له وبشره بالجنة فكان أبو بكر الصديق وجاء آخر يستأذن وكان عمر بن الخطاب فقال - ﷺ - ائذن له وبشره بالجنة ثم جاء سيدنا عثمان بن عفان فقال ائذن له وبشره بالجنة.

٢ - روى فى السيرة النبوية أن سيدنا عمر بن الخطاب حين سمع بأن النبى - ﷺ - طلق زوجاته ذهب إليه ليستوضح الأمر (قال سيدنا عمر) فصليت الفجر مع النبى ثم توجه عليه السلام لمشربة له (المشربة هى الغرفة العالية) فاعتزل فيها ودخلت على السيدة حفصة فإذا هى تبكى فسألتها عما يبكيها وسألها هل طلقها رسول الله؟ - ﷺ - قالت لا أدرى فقصدت المشربة التى بها الرسول فوجدت غلامًا أسود فقلت له استئذن لعمر فدخل الغلام المشربة ثم عاد يقول أنه أبلغ الرسول - ﷺ - فصمت فانصرفت ثم عدت بعد فترة فطلبت من الغلام أن يستأذن لى الرسول فدخل ثم عاد قائلاً ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفًا إذ بالغلام يدعونى قائلاً أذن لك النبى - ﷺ -.

- وهذه الأحاديث القليلة توضح أن الرسول - ﷺ - كان فى بعض الحالات يتخذ حارسًا أو حاجبًا حسب مقتضيات الظروف وكلما استدعت المصلحة العامة ذلك إلا أن ذلك لم يمنع الرسول - ﷺ - أن يشغله أى شىء عن الناس فكان ينزل الأسواق ويزور أصحابه فى منازلهم ويعود المريض ويمر على المقابر لأنه - ﷺ - بُعث للناس بشيرًا وهاديًا ولم يبعث سلطانًا أو ملكًا.

- قصدت من إبراز بعض الوقائع عن الأمن والحراسة بالنسبة للرسول - ﷺ - أن ذلك الموضوع (الأمن والحراسة) كانت معروفة فى عهده وكان يقرها حسب المقتضيات وما تستدعيه الظروف.

المبحث الرابع : مجتمع المدينة بعد هجرة الرسول - ﷺ - وتوجيهاته الأمنية

كان من الأهمية والضرورى أن يشار فى الاستعراض السابق للوضع الاجتماعى فى المدينة المنورة أما الطبيعة الأمنية للمدينة قبل الهجرة؟، وقبل وصول الرسول - ﷺ -، حتى يمكن لأى شخص أن يتصور كيف كان المجتمع الذى دخل إليه الرسول متعارضًا ومتناقضًا فى طبقاته الاجتماعية وبالتالى فى تقاليده وعاداته وهو الأمر الذى يجعل مثل هذا المجتمع هشًا للغاية ومتفككًا ولا يمكن توليفه بل يمكن بالتأكيد انفجاره فى أية لحظة.

- بالإضافة لذلك كانت هجرة المسلمين الأوائل قبل الرسول - ﷺ - يمثل عاملاً اجتماعيًا جديدًا يضاف للموروثات السابقة ولعل معاصرى هذا العصر يمكن بسهولة أن يتصوروا هذا المجتمع ويتم مقارنته بمجتمع كان يسمى الاتحاد السوفيتى جمع العديد من المتناقضات فى القوميات والسلوكيات وفى ظاهره كان قوة عظمى إلا أن حقيقته كان مجتمعًا مفككًا وهشًا لم يستمر أكثر من سبعين عامًا ثم انهار انهيارًا كاملاً عكس مجتمع المدينة والذى أسسه الرسول - ﷺ - منذ أكثر من ألف وأربعمائة وخمسة وعشرين عامًا ولا يزال هذا المجتمع قائمًا متعاليًا بالرغم من بعض حالات السبات التى تنتابه من حين لآخر إلا أنه يبقى أنه مجتمع أقامة إعجاز غير عادى لإنسان أمى ينجح فيما لم ينجح فيه أحد قبله ولا بعده.

هل كان الرسول - ﷺ - حين هاجر إلى المدينة المنورة يعلم أنه اخترق مجتمعًا مفككًا ومهلهلاً؟ نعم كان يعلم ذلك ولعل تصديه للعديد من المشكلات التى سوف

نمر عليها يؤكد ذلك وكان الرسول - ﷺ - بحق بعد هجرته جمع من الإدارة السياسية والنبوة بعكس مجتمع مكة كان - ﷺ - نبيًا فقط ولا ينال هذا من إعجاز الرسول - ﷺ - فقد ساس الفترة المكية بحنكة تتناسب مع هذه المرحلة.

المصاعب الاجتماعية والاقتصادية (الإفرازات الأمنية)

(أ) الاجتماعية (السكن)

كانت أولى الصعوبات التى واجهت الرسول - ﷺ - عند دخوله المدينة المنورة وقد هاجر قبله العديد من الصحابه وبعد هجرته كان من المتوقع أن يتزايد أعداد المهاجرين، وكانت مشكلة السكن الملائم أول ما تصدى لها الرسول - ﷺ - فماذا فعل سيد المعجزيين:

١ ـ أمر المسلمين المهاجرين أن ينزلوا على بيوت الأنصار بقباء كمرحلة أولى.

٢ ـ أمر - ﷺ - بضرب الخيام فى أنحاء المدينة.

٣ ـ تشجيع المهاجرين على بناء مساكن جديدة ودعا بالبركة لمن باع عقارًا ودارًا وجعل ثمنها فى مثلها.

٤ ـ أنشأ ما يسمى ببيت الغراب وقيل بيت الغرباء.

٥ ـ آخى بين المهاجرين والأنصار وجعل كل مهاجر يقيم مؤقتًا مع أخ له من الأنصار.

(ب) الصعوبات الاقتصادية

تمثلت الصعوبات الاقتصادية فى كيفية توفير الطعام للنازحين المهاجرين إلى المدينة حيث كانت المدينة ذاتها قبل الهجرة تمر عليها أوقات لا يوجد سوى الماء والتمر وأحيانًا خبز الشعير.

ـ فماذا فعل الرسول - ﷺ - لحل هذه المعضلة الاقتصادية؟

ـ قام الرسول - ﷺ - بإشراك أهالى المدينة وحثهم على استضافة المهاجرين.

- نهى عن ادخار لحوم الأضاحى لأكثر من ثلاث ليال وأن يتصدق بالباقى منها.

- دعا دعوته لأصحابه المهاجرين "يرحم الله رجلاً كفانا قدمه" مما جعلت المهاجرين يسعون فى التجارة والبيع.

- قام أصحاب النخيل بتوجيه الرسول - ﷺ - بوهب الثمار للمهاجرين والبعض الآخر يهب شيئًا معلومًا من نخيلهم يعرف باسم العرايا.

وبذلك يكون الرسول - ﷺ - وضع نظامًا اجتماعيًا أمنيًا ناجحًا وكان من إفرازاته عدم وجود أية حوادث سرقات أو تعدى على أشخاص وذلك فى حد ذاته مع اختلاف الطباع الاجتماعية للوافدين مع القاطنين منع انفجارًا بينهما وكان فى جوهره نظامًا اجتماعيًا ناجحًا إلا أنه يمكن القول إضافة لذلك أن هذا النظام جنب المدينة الفساد الأمنى وإفرازاته.

المرجع/ كتاب مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول للدكتور عبد الله بن إدريس/ جامعة الملك سعود.



• الباب الأول

مقدمة وأسس العمل الأمنى السياسى

مقدمة : أسبقية الرسول فى إرساء الأمن السياسى

الفصل الأول

١ - المبحث الأول : ملامح من الإعجاز الأمنى السياسى للرسول (ﷺ) قبل النبوة

٢ - المبحث الثانى : «السرية/ المفاتحة/ الاستقطاب»

٣ - المبحث الثالث: المعلومات

المبادئ والأسس التى وضعها الرسول - ﷺ - فى مجال الأمن السياسى

مقدمة

(أ) كان للرسول - ﷺ - الأسبقية فى إرساء وابتداع العديد من المبادئ والأسس والتى تعتبر حاليًا قوانين فى مجال الأمن السياسى ولعله من أبرزها:

١ - أهمية المعلومات وسرعة توافرها.

٢ - الشائعات وكيفية مواجهة إفرازتها السلبية مع إجهاضها.

٣ - تنويع المصادر لضمان وصول أكبر قدر من المعلومات مع ضمان صحتها.

٤ - تأكيد المعلومات من خلال تنويع المصادر.

٥ - دراسة أمنية للمنطقة وكذا الأراضى المحيطة بها مع معرفة المداخل والمخارج.

٦ - استخدام ما يسمى اليوم بالشفرة وهى كلمة السر.

٧ - كيفية الاستفادة من شخص معين (مصدر) وكيفية زرعه فى إحدى المنظمات المناهضة والسرية.

٨ - كيفية توجيه المصدر ومتى يترك له حرية العمل والتصرف.

٩ - أهمية دراسة ردود الفعل سواء داخل المنظمات المناهضة أو داخل المكان الأمنى نفسه.

١٠ ـ استخدام الرسول ـ ﷺ ـ ما يسمى بسياسة تصعيد وتعميق الخلاف بين أعدائه وهى سياسة أمنية هدفها الوقيعة بين أفراد والتنظيم ليس فقط بل الوصول بالخلافات بين أعضائها لأعلى مستوى ممكن.

(ب) أهمية عنصر الوقت فى تطويع المعلومة والاستفادة منها:

السرية ـ الاستقطاب

(جـ) فى الفصول القادمة جارى توضيح هذه المبادئ والأسس التى تمثل بنيان الأمن السياسى وذلك من خلال وقائع وأحداث تسمى أمنيًا قضايا وموضوعات أمنية سياسية.

المبحث الأول : ملامح من الإعجاز الأمنى السياسى للرسول - ﷺ - قبل البعث (قبل النبوة)

مقدمة:

(أ) فى أروقة الأمن السياسى تتردد هذه العبارات بصفة مستمرة:

* ذو بعد نظر سياسى.
* الحاسة الأمنية عالية جدًا.
* متحسب لأية واقعة.
* له عقلية أمنية غير تقليدية.
* فكره الأمنى عالٍ.
* ده أحسن ضابط أمن دولة أو مخابرات.
* كمبيوتر فى الأمن السياسى.
* ذاكرته كمبيوتر.

وأخيرًا فلان الفلانى إذا أبلغته باسم ثنائى لرد عليك فورًا باسمه الرباعى ورقم ملفه وتاريخه السياسى بالصفحة والسطر......إلخ.

- هذه الكلمات السابقة وغيرها من العبارات والكلمات تطلق باستمرار على ضابط المباحث العامة أو ما يطلق عليه حاليًا (مباحث أمن الدولة) وكذا أجهزة الأمن القومى بالإضافة للعديد من الألفاظ غير التقليدية، والتى تطلق على بعض الأشخاص فى

جهاز الأمن السياسى بصفة عامة (أمن الدولة - المخابرات العامة - المخابرات العسكرية... وغيرها) وهى كناية عن الشخص الذى أطلقت عليه هذا الوصف بأنه شخص غير عادى وغير تقليدى وصعب تكراره وبمراجعة وترتيب هذه المسميات العبقرية على الجانب المحلى ولايمكن إغفال الجانب الدولى وتقال هذه الأوصاف أيضًا على القليل جدًا من القيادات الأمنية التى كان لها دور فى الأمن السياسى.

مثلاً فوشيه وزير الأمن فى عهد نابليون بونابرت وهملر مؤسسة الجستابو فى عهد هتلر وبصرف النظر عن دورهما الشرير والهادم للأخلاق إلا أنه لايمكن إغفال ذكرهما كمؤسسين وواضعين لقواعد أمنية جعلت للإمبراطورية الفرنسية والدولة الألمانية شأنا ما فى وقت ما ولأنها قامت على أسس واهية فقد انهارت بسرعة أيضًا.

وعكس ما ذكرنا فإن القواعد الأمنية مهما قيل عنها فإن أساسيتها أخلاقية ولا يمكن أن تفرق الأخلاق عن الأمن وهى المعادلة التى لم ينجح أحد فى تحقيقها سوى سيدنا رسول الله - ﷺ - فقد جمع بين القواعد الأخلاقية والأسس الأمنية وكان بفطرته الطبيعية خير من مزج بين السياسة والأمن.

●● السلطة تزال بالسلطة

هناك مقولة خالدة إن السلطة تزال بالسلطة ولا غنى عن القوة فى إخضاعها والقوة لا غنى عنها للأمن فالقوة بدون أمن لا فعالية لها.

- ولعله يمكن الإشارة بأن الإسلام هاجمه أعداؤه بأنه انتشر بالسيف وهذا لايعيب الإسلام ولاينقص من قدره فالسيف حارب سلطة تقف فى طريق فكره ولم يحارب الإسلام الفكرة ذاتها لأن منهجه الفكر بالفكر وأنه إذا تجاوزت السلطة وحاربت الفكرة الممثلة فى الإسلام فهنا لايكون لها بديل إلا سلطة مثلها.

- لم يكن الرسول - عليه الصلاة والسلام - يحب الدماء ولم تكن رغبته القتال ولم يطلب الحرب للحرب بالإضافة لذلك كان - ﷺ - يعمل لمنهاج وعقيدة وليس من أجل هدف شخصى أو مصلحة ذاتية وإن كان اضطر للحرب فإنه لم يتعلم فى مدارس حربية ولم يتلق علم الأمن فى أكاديميات أمنية بل كانت خطواته بحسابات

وخططه بإتقان وكان يأخذ بالمشورة ويستفيد من آراء أصحابه ولم تمنعه عظمته ومكانته العالية عند أصحابه أن ينزل لرأيهم وهناك العديد والعديد من الوقائع والتى ليس مجالها كتابنا كان يأخذ برأى ومشورة أصحابه.

●● كان نابليون بونابرت[١] يعتمد فى خططه العسكرية على أسلوب المفاجأة وكان جوهر خططه مبادرة عدوه بعدة هجمات سريعة مفاجئة وكانت خططه تعتمد على المحاور التالية:

١ ـ اختيار الموقع المناسب الذى يعسكر فيه.

٢ ـ اختيار الفرصة المناسبة.

٣ ـ معالجة عدوه قبل تمام استعداده.

●● وهذه النظريات تدرس فى الأكاديميات العسكرية الحديثة فهل هناك من سبق نابليون؟ نعم إنه الرسول ـ عليه السلام ـ ولعل خير مثالين لذلك معركة بدر حيث أشار إليه أحد الصحابة باختيار موقع بئر بدر ولم يكتف بذلك بل قام بردم بقية الأبيار حتى لايستفيد منها قريش.

● وكذا معركة أحد[٢] حيث اختار مكانًا أعلى الجبل وأمر خمسين من الصحابة الرماة بالبقاء فيه وكان النصر للمسلمين بفضل ذلك إلا أنهم حين تركوا موقعهم الذى أمر به الرسول ـ ﷺ ـ كانت الهزيمة.

● وكذا حفر الخندق فى غزوة الأحزاب وهو الأمر الذى كان من الأسباب الرئيسية لهزيمة الأحزاب.

وما سبق إطلاله تم المرور عليها مرور العابرين قبل الدخول فى الموضوع الأساسى وإنما مقصدى أن أوضح أن الرسول ـ ﷺ ـ كان مؤسسًا لنظريات أمنية أصبحت قواعد تدرس حاليًا فى أعلى وأرقى الجامعات العلمية التى تتخصص فى المجال الأمنى.

---

(١) كتاب حياة نابليون بونابرت.

(٢) معركة غزوة أحد (السيرة النبوية حياة محمد د. محمد حسين هيكل).

(ب) نماذج لإعجاز الرسول - ﷺ - قبل النبوة

١ - واقعة الحجر الأسود

هل كان للرسول - ﷺ - مجالاً لما يسمى بالأمن السياسى بمعنى بعد النظر وسعة الأفق والتى هى الأساس فى رجل الأمن السياسى؟

- نعم فباستعراض حياة الرسول - ﷺ - قبل البعث توجد الكثير من الموضوعات والحوادث والتى يطلق عليها أمنيًا "قضايا" ولعلى هنا أكتفى بواقعة واحدة لها مدلول أمنى وسياسى وكان للرسول - ﷺ - دور كبير فى منع ما يسمى "بالحرب الأهلية" بما تفرزه من قتل وخراب ولاتبقى على أخضر أو يابس **الا وهى قضية "الحجر الأسعد"** .[1]

- قبل البعث بسنوات قليلة طغى على مكة سيول جبارة انحدرت بقوة من الجبال وكان لها من السرعة بحيث دمرت كل ما صادفها وما قابلها من منازل - خيام - حيوانات - ولعله من أخطر إفرازاتها تسللها إلى الكعبة فتصدعت بعض جدرانها ولم تكن مسقوفة وهو الأمر الذى سهل للصوص من الأعراب التسلل إليها ونهب ما تصل إليه أيديهم من تماثيل ذهبية ونفائس لاتقدر بمال.

- لم تستطع قريش أن تأخذ قرارها فى ترميم الكعبة وتسقيفها ويرجع ذلك لتناثر أساطير تهدد بهلاك من يقترب منها.

السبيل الأول: وجدت قريش نفسها بعد هذا السيل وتصدع جدران الكعبة أمام أمر واقع أما أن تقوم بترك الأمر على ما هو عليه وسيؤدى ذلك لانهيار البيت كاملاً وهو الذى يمثل زعامة دينية وروحية سواء لقريش أو العرب بصفة عامة وبالتالى ضياع مكانة قريش وهيبتها التى تستمدها من البيت الحرام.

السبيل الثانى: أعاده بناء وترميم ما انهار من الكعبة مع تسقيفها .

- انتهى الرأى إلى أن السبيل الثانى هو الأفضل.

---

(١) لفظ قضية مفهوم أمنى يقابله واقعة وحادثة أو موضوع... إلخ

- بدأت فى تنفيذ الترميم بأن تعاقدوا على شراء أخشاب سفينة متهالكة وقامت كل قبيلة ببناء ركن من أركان الكعبة وأسهم كل قرشى فى ذلك باعتباره تشريفًا له.

- انتهى البناء إلى وضع الحجر الأسعد وهنا حدث الخلاف بين العشائر والبطون وكان من أبرزها أربعة بطون تحوى قبائل مكة القرشيين وكانت كل قبيلة ترغب فى نيل شرف حمل الحجر الأسعد ووضعه فى مكانه بالبيت .

- بدأت التحالفات بين البطون وتصاعدت الأمور إلى حد أن بنى عبد الدار وبنى عدى وهما من أشرف البطون أن يضعوا أيدهم فى حفنة دماء تعاهدوا فيها على القتال حتى الموت أو نيل شرف حمل الحجر الأسعد.

- حين ذلك اجتمع بعض الحكماء من قريش فى محاولة لإجهاض الحرب الأهلية الموشك قيامها واقترح أحدهم ويدعى/ أبو أمية بن المغيرة وكان من أشرافهم ورأية مسموع لهم بأن يختار القوم أول داخل لبيت الله الحرام على أن يكون حكمه ملزم لجميع البطون.

- اتفقوا على أن يكون الداخل من باب الصفا ووافق الجميع على ذلك.

- جلس القريشيون بقلوب راجفة وترقب بلهفة وأمنيات بأن يكون أول من يدخل من باب الصفا أحد أبنائهم أو المتحالفين معهم ولم يطل مكوثهم إلا وقد دخل الرجل وكان المصطفى - ﷺ - فظهرت الفرحة فى وجوههم وتعالت أصواتهم بالتهليل وبعدت أياديهم عن سيوفهم فقد أدركوا أنه خير حكم وأنه برجاجة عقله سيكون المنقذ لهم فى عدم وقوع حرب أهلية.

- ماذا فعل الرسول الكريم... بالتأكيد فكر قليلاً وبحسه الأمنى العالى[1] وبعد نظره وثقابة فكره رأى لو أنه أعطى هذا الشرف لبطن دون الآخر لرفض ذلك الباقون ولن يكون هناك مجال آخر سوى القتال والحرب.

* رؤية أخرى لو حمل هو الحجر الأسعد ووضعه فى مكانه لقالوا سلبنا بنو هاشم هذا الشرف.

---

(١) طبعًا لا يمكن بحال إغفال الجانب الإلهى.

* لو ترك الأمر لفترة زمنية لأعاده ما يسمى دراسته (ما يطلق عليه دراسة أمنية) فقد يسأم الناس طول الوقت كما أن ذلك سيفتح مجالا للمناقشات التى مؤكدًا ستنتهى لشجار ثم الحرب الأهلية.

* أى قرار له سلبيات وإسقاطات بجانب له مؤيدون وأنصار.

وهنا توصل القائد الملهم والسياسى الأمنى لقرار لم يسبق أن جال بخاطرهم كما لم يسبق فى التاريخ أن سبقه آخرون فى ذلك .

- أنه - ﷺ - كان مدركًا أن فشله سيؤدى للحرب ونجاحه سيؤدى لإجهاض حرب وشيكه... طلب - ﷺ - إحضار ثوب كبير وفى رواية أخرى نزع ردائه ثم قام بنشره على الأرض وبيده الكريمة أخذ الحجر الأسعد الكريم ووضعه فى وسط الرداء ثم طلب من كل قبيلة أن تختار شخصًا يمثلها وبالفعل تم اختيار أربعة من أشراف القبائل وكلف كل شريف فيهم بأن يحمل طرفًا من الرداء وهكذا حمله الأربعة المندوبون عن القبائل إلى مكانه من البيت ثم قام الرسول - ﷺ - بيده الكريمة بوضع الحجر الكريم فى موضعه.

•• وهنا نتساءل بالتعبير الأمنى ما ردود الفعل لذلك التصرف الحكيم؟؟

* أدركت كل قبيلة أن كبيرها وشريفها نيابة عنهم جميعاً قد تشرفت برفع الحجر الأسعد وبالتالى زال سبب البغضاء والتنافس لأنهم جميعًا شاركوا فى حمل الحجر الأسعد وبالتالى لايوجد أى مبرر للخلاف أو التنازع أو الحرب الأهلية والتى كانت قاب قوسين أو أدنى .

وبما يترتب عليها من سفك دماء وسلب ونهب وبذلك أرسى الرسول - ﷺ - مبدأ مهمًا فى بعد النظر والحنكة السياسية والأمنية والتى لو توافرت أصبح المجتمع الإسلامى آمنًا وهى أول الصفات المطلوبة فى رجل الأمن السياسى.

المبحث الثانى : السرية / المفاتحة / الاستقطاب

أساس العمل الأمنى السياسى وعموده الفقرى هو " السرية "[1] ولعل أجهزة الأمن السياسى وكذا المخابرات فى كافة دول العالم تختلف الأسس والمبادئ والأهداف والأساليب التى تحكمها من دولة لأخرى إلا أن هناك عدة عوامل هى الأساس المشترك فيما بينهم جميعًا هو قاعدة السرية والتى يؤدى التمسك بها لنجاح أى عمل أو أية مأمورية أو أية مهمة حيث ولو كان الهدف فى النهاية سيحظى بالعلانية إلا أن السرية ستؤدى أما إلى نجاحه أو إلى فشله.

ولأن موضوعنا هو إعجاز الرسول ﷺ فى الأمن السياسى فإن جانب السرية نرى فيه أنه - ﷺ - كان يطبق هذا المبدأ بحذافيره فى حياته **فى مكة عن الدعوة ثم فى المدينة ثم فى حروبه ومعاركه المختلفة إلى أن انتهت بفتح مكة.**

●● المعنى لكلمة السرية[2]

وقبل الدخول فى هذا الإطار أحب أن أوضح معنى كلمة السرية وهى مأخوذة من السر أى الأمر أو الموضوع والذى يكون بين اثنين لايطلع عليه ثالث إلا فى ظروف أو توقيت معين أو يظل هذا السر مع الاثنين لحين وفاة أحدهما أو كلاهما.

---

(١) ، (٢) الخفاء.

ـ أما بالنسبة للسرية فهى تحتم وجود أمر ما لا ينبغى لأحد الاطلاع عليه أو معرفته حتى يأتى الوقت والظروف المناسبة لإعلانه بالأمر وهذا لايكون إلا بالتأكد التام من أن هذ الشخص لن يقوم بتسريب الخبر أو الموضوع لآخرين مما قد يؤدى لإجهاض العمل قبل نجاحه.

(أ) السرية فى مكة

كان الرسول ـ ﷺ ـ (بالطبع لايمكن أبدًا إغفال الجانب الإلهى) بالرغم من عدم تعليمه فى مدارس أو كليات أمنية أو شرطية فإنه بفطرته السليمة وبقوة إيمانه وإحساسه الأمنى أدرك تماماً بأن السرية هى أساس نجاح دعوته إلى الله تعالى.

ـ حين نزل الوحى على الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إيذانا بشروق شمس الهداية ونور الإسلام وما حدث من حديث سيدنا جبريل لسيدنا الرسول فماذا فعل؟؟

ـ أدرك الرسول ـ ﷺ ـ بفطرته أن ذلك أمر غير مسبوق وكان لابد له أن يتحدث إلى أحد لا يشى بالرسول ﷺ أو يشكك فى قدراته وقد يتهم بتهم باطلة كالخيال أو الجنون مثلا وهو حتى الآن لايدرك طبيعة وأبعاد ما حدث معه فكان خطوته الأولى هى البحث عن إنسان يثق فيه ويأتمنه على السر الذى حدث معه.

ـ لم يجد ـ ﷺ ـ سوى أمنا الحبيبة السيدة/ خديجة المعروف عنها رجاحة العقل وحسن الرأى والأمانة فى حفظ السر فأفضى إليها بحديث الوحى.

ـ فأخذت ـ رضى الله عنها ـ تهدئ الرسول ـ ﷺ ـ وتسرى عنه وتبشره بأنه النبى المنتظر قائلة له (يا ابن العم أبشر وأثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة، والله لا يخزيك أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر).

ـ وهنا نتوقف لنرى أسسًا أمنية بفطرة الرسول وهى:

١ ـ عرف أن هناك أمرًا ما وهذا الأمر لا يحتمل نشره بين الناس فجأة.

٢ ـ أن هـذا الأمـر لا بد أن يعـرض علـى من يطـلق عـليه أهل "الـثقـة وأهل الخبـرة" الثقة لضمان عدم الإضرار بالشخص والخبرة توافر الرجاحة والعقل عند ذلك الشخص قد تؤدى لمعرفة أبعاد الموضوع وخلفياته.

ـ ونرى أن هذين العاملين تحققا فى السيدة خديجة فهى زوجته وحبيبته وأم أولاده وسوف تحافظ عليه مهما كان الأمر وأيا ما كان إفرازاته أما أهل الخبرة فهى أيضاً معروفة برجاحة عقلها وسعة علمها (الخبرة) فهى تعلم وسمعت عن نبى يرسل فى هذا الزمان وهو دليل على قوة ثقافتها ويأتى قوة إدراكها وصدق حدسها فى وصفها للرسول ـ ﷺ ـ المنتظر والذى من صفاته صلة الرحم الصدق فى الحديث والإعانة على نوائب ومصائب الدهر ولأنها عاشرت الرسول ورأت فيه هذه الصفات وعلمها عن صفات النبى المنتظر ومع إبلاغ الرسول ـ ﷺ ـ لها بنزول الوحى استطاعت أن تطابق الواقع ونجحت فى تهدئة الرسول عليه السلام.

(ب) ولأن الثقة والخبرة أساسًا فيمن يتم إخباره بالسر حتى يستطيع التصرف مع الموضوع بكياسة وسرية فإن السيدة/خديجة وقد سمعت من الرسول ـ ﷺ ـ حديث الوحى وأزالت عنه ذبذبات الخوف والقلق إلا أنها ذاتها كانت تشعر بالقلق وترغب فى تحديد وحسم هذا الموضوع وذلك لن يكون إلا من عنده العلم وتضمن ألا يشى بزوجها وبسره كما تضمن ألا يسىء إليها فأخذت تفكر فيمن يجد إجابة لأسئلتها فلم تجد أفضل من ابن عمها (ورقة بن نوفل) وهو من يطلق عليه "مرجع" وكان قد توصل بعقلة وقلبه إلى وحدانية الله تعالى من خلال دراسته وتعرفه على الأديان ووجد أن المسيحية بحقيقتها هى الأقرب للوصول لمعرفة الذات الإلهية فاعتنقها.

ـ توجهت إليه السيدة خديجة مدركة أنه فيصل هذا الموضوع وبالفعل حين حدثته عما حدث مع رسول الله أبلغها أن الوحى هو الناموس الأكبر الذى كان يأتى سيدنا موسى وأن سيدنا عيسى أنه النبى المنتظر.

(جـ) أدرك الرسول ـ ﷺ ـ أنه النبى المنتظر وأنه مكلف بالدعوة لوحدانية الله وعدم الشرك به فماذا فعل الرسول الكريم؟

(ب) السرية المطلقة فى الدعوة[1]

لم يعلم أحد الرسول - ﷺ - ما يسمى فى الأمن السياسى بالاستقطاب والمفاتحة والاستقطاب هو كيفية استمالة شخص ما لدعوة ما أو أمر ما دون أن يخشى من ما يسمى بردود الفعل أو تسريب السر والمفاتحة هى اختيار الوقت المناسب لإبلاغ الشخص بما يسمى بطبيعة المأمورية أو المهمة مع أخذ الاحتياطات اللازمة فى حالة عدم قبول الشخص لهذه الدعوة.

- فماذا فعل الرسول - ﷺ - أن المهمة الملقاه عليه خطيرة وصعبة ولم يأذن الله له بالجهر بهذه الدعوة هنا لابد أن يستند على قواعد صلبة تحميه ويستطيع الوقوف عليها .

- وهنا كانت قوة بصيرته وصدق حدثه حيث استخدم ما يسمى بالدائرة الضيقة و الدائرة المحيطة به فبحث فيمن حوله علماً بأنه - ﷺ - كان صديقًا للجميع وأخًا للكبير وأب للصغير إلا أن خطورة وأهمية نشر الدعوة لها محاذيرها حيث إنها تتعارض تمامًا مع القيم والنظم الاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك.

- **وكانت بداية الدائرة أهل بيته زوجته السيدة خديجة ثم بناته .**

- اتسعت دائرة السرية قليلاً لتشمل خادمه زيد بن حارثة والذى كان يرعى متطلبات بيت النبوة وعاشر الرسول - ﷺ - وعرف عنه الصدق والأمانة وكان حبه واحترامه وثقته بالرسول - ﷺ - أنه فضله على أبيه وكان يطلق عليه زيد بن محمد إلى أن قضى الله تعالى بعدم التبنى.

- وكان لا بد للسلسلة أن تتسع بعض الشىء وبكل الحذر فكان اختيار سيدنا أبى بكر الصديق والذى حين عرض عليه الرسول - ﷺ - ما أنزل إليه لم يفكر لحظة بل أجابه فى الحال.

- شملت الحلقة أيضًا سيدنا على بن أبى طالب حيث كان يقيم ببيت النبوة ولمس صدق ابن عمه وأمانته فاستجاب له على الفور بل أنه حين شاور أباه أبا

---

(١) لا يمكن إغفال الجانب الإلهى لسيدنا الرسول - ﷺ -.

طالب حين رآه يصلى وأبلغه بالإسلام أكد عليه باتباع الرسول وعدم مخالفته بالرغم من أنه ذاته لم يسلم.

- وكان لا بد للحلقة أن تتسع أيضًا بشىء من الحذر ومن هنا نرى أن سيدنا أبا بكر قام بدعوة أقرب أصدقائه إليه ضمانًا لعدم انتشار الخبر وحتى لا يؤدى ذلك لمشكلات مع الرسول - ﷺ - فلم يجد سيدنا أبو بكر خيرًا من أهل بيته فأسلمت زوجته وأبناؤه ثم توسع فى حركيته[1] ونشاطه (تصعيد نشاطه بالمفهوم الأمنى الحديث) فاستطاع أن يستقطب كلا من سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا عبد الرحمن بن عوف والاثنان من أكبر ما يسمى اليوم (رجال أعمال) وكانا من كبار التجار ثم زادت الدائرة فشملت الصحابة طلحة بن عبيد الله وسيدنا سعد ابن أبى وقاص - وسيدنا الزبير بن العوام وسيدنا أبا عبيدة بن الجراح.

■ تحليل ونتائج

هذا الاستطراد السابق يوضح إعجاز الرسول - ﷺ - فى اتخاذ النهج الأمنى كوسيلة للوصول إلى هدفه الأكبر وهو تنفيذ التكليف الإلهى برسالة الوحدانية لله تعالى.

- والأمر الطبيعى أن منطق الجهر بالدعوة فى بدايتها سيؤدى لإجهاضها تمامًا حيث تتعارض كلية مع المعتقدات والمصالح الموجودة فلو كان الرسول - ﷺ - لم يتخذ عدة مبادئ أمنية للوصول بدعوته لبداية الأمان لكانت قريش له بالمرصاد وكان للدعوة الإسلامية بالتأكيد شكل آخر (فى عدم إغفال الجانب الإلهى فى أمره للرسول - ﷺ - بالجهر بالدعوة).

استخلاص القواعد الآتية:

- حين توجد قضية ما متعارضة مع سلوكيات وقيم مجتمع فإن أفضل سلوك اتبعه الرسول - ﷺ - كان فى الآتى:

---

(١) لفظ أمنى حديث يعنى النشاط فى التحرك لجذب الآخرين.

١ ـ طبيعة الشخص المكلف بالمأمورية وصفاته ومدى مصداقيته لدى الآخرين هنا نجد أن الرسول ـ ﷺ ـ كان معروفًا بالصدق والأمانة وله مصداقية لدى أهل مكة كلها.

٢ ـ وجود قضية أو رسالة لها مصداقية حتى يمكن الاقتناع بها ولم يكن هناك أفضل من قضية الألوهية والوحدانية لله تعالى.

٣ ـ البحث فيمن يطلق عليه أهل الثقة حتى يمكنهم الإيمان والاقتناع بهذه القضية وحتى فى حالة عدم قناعتهم ضمان الحد الأدنى بعدم تسريب ذلك السر أو الموضوع لآخرين قد يضروا بالقضية.

(هذا الأمر حدث مع سيدنا على بن أبى طالب حين شاهده والده أبو طالب يصلى) من أنه وكان من الممكن أن يفشى سر ابن أخيه وابنه.

٤ ـ تضييق حلقة البحث فى المراحل الأولى بحيث لم يفاتح الرسول ـ ﷺ ـ إلا أهل بيته ثم خادمه ثم مع اتساع الدائرة شملت أصدقاءه القريبين إليه.

٥ ـ نجاح الرسول ـ ﷺ ـ فى مفاتحة صديقه أبى بكر وكان كل من دخل فى الحلقة الأولى وهو ما يطلق عليه أمنيًا (النجاح فى الاستقطاب)[١] مع النجاح فى ما يسمى بالمفاتحة (وهو الأمر الذى نجح فيه الرسول ـ ﷺ ـ تمامًا)[٢].

٦ ـ كيفية توسيع الدائرة بحيث لايمثل أى خطر وهو الأمر الذى شمل الصحابة الأوائل.

وهكذا نجد أن الرسول ـ ﷺ ـ قد نجح تمامًا فى استخدام مبدأ السرية والمفاتحة والاستقطاب وهو الأمر الذى كان له بالتأكيد دور فى الدعوة الإسلامية حين جهر بها الرسول فنجد أن النجاح فى استقطاب مثلا سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا عبد الرحمن بن عوف وهما من كبار الأثرياء (رجال الأعمال) كان له أهمية فى كسب العديد من العبيد لصالح الدعوى الإسلامية.

---

(١) الاستقطاب: جذب آخر لصالح شخص أو قضية.

(٢) المفاتحة: هى كيفية الاقتراب من شخص ما لضمان عدم إفشائه الأمر.

المبحث الثالث : المعلومات

تمهيد

تقاس قوة وسيطرة أى أجهزة أمنية (المخابرات العامة ـ أمن الدولة . الرقابة الإدارية ـ المخابرات العسكرية... إلخ) إلى ما تملكه من معلومات وكلا بحسب نوعه وتخصصه وكلما ازدادت المعلومات أصبحت الخريطة الأمنية واضحة المعالم أمام مصدر القرار وباستعراض بسيط وموجز نجد أن المعلومات كانت مطلوبة منذ فجر البشرية وعرف الإنسان بغريزته ضرورة المعلومات للوصول لأماكن الصيد والثمر والماء وهى مكونات الحياة المادية للإنسان البدائى واختلفت هذه الممارسات من مجتمع لآخر حسب التقاليد والعادات فمثلاً الشعب اليابانى يرى أن التجسس بعضه على بعض لا يسبب أية حساسية أو حرج بل إنه جزء أساسى فى حياتهم.

١ ـ مثال أول:

وذكر فى الإسرائيليات أن الكتاب المقدس (التوراة) إن الرب كلَّف سيدنا موسى بأن يرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا (الرب) معطيها لبنى إسرائيل فأرسل سيدنا موسى رجالاً كلفهم بأن يصعدوا أعلى الجبل وينظروا الأرض وماهى والشعوب المقيمة فيها.. إلخ آخر النص التوراتى وعادت جواسيس سيدنا موسى لإبلاغه بأن الأرض يندفع منها اللبن والشهد ساكنيها من العملاقة فطلب منهم سيدنا موسى أن يدخلوها فرفضوا وردوا عليه بأن يذهب وهو وربه ليقاتلا وكان جزاء ذلك أن حرَّمها الله عليهم أربعين عاماً.

٢ ـ مثال آخر:

ـ لعل من أهم عمليات البحث عن معلومات كانت فى عهد الفراعنة حيث أراد الملك تحتمس الثالث غزو وفتح مدينة يافا وحاصرها شهورًا عديدة ولم يتمكن من دخولها.

ـ علم من بعض مصادره (أهمية المصادر) أن هناك أزمة خبز داخل يافا نتيجة الحصار فقام بإرسال بعض جنوده المنتقين داخل أجولة الدقيق وأوعز لبعض مصادره داخل يافا بأنهم سوف يحصلون على أجولة دقيق لصالح أهل يافا من خلال بعض أنصارهم داخل جيش تحتمس بالفعل دخلت شحنة الأجولة الدقيق وفى بعضها بعض جنوده والذين استطاعوا التسلسل فى جوف الليل.

وباغتوا حراسة إحدى البوابات وقتلوهم وفتحوا البوابة لجيش تحتمس ولم يجد أهالى يافا سوى الاستسلام حيث ظنوا أن تحتمس نجح فى دخول مدينتهم.

(أ) تعريف المعلومات

المعلومات: هى الجوهر الأساسى لأى موضوع سواء كان هذا الموضوع اقتصاديًا ـ عسكريًا ـ سياسيًا ـ أمنيًا وتمثل العمود الفقرى لأية عملية أو موضوع وبدونها يكون الفشل تماماً وبها يكون النجاح المؤكد.

ـ وهناك مقولة صادقة: "أن الحصول على أفضل المعلومات هو مفتاح النجاح فى أى مجال".

■ تعريف المعلومة

اختلفت التعريفات حول كلمة معلومة إلا أن أقرب وأصح التعريفات بأن المعلومة هى الكلام الصادق المؤكد وجوده والذى يؤيد أمرها أو ينفيه وذلك بعكس الخبر الذى قد يحتمل الكذب ويحتمل الصواب ومن هنا يقال فى أجهزة الأمن المعلومة المؤكدة بالنسبة للأولى ويقال الشائعة بالنسبة للثانية.

وبتعريف يميل إلى البساطة نجد أن كلامنا يحتاج المعلومات ويتعامل بها فعلى مستوى حياته الشخصية والعملية:

مثال ذلك : - شاب عين فى وظيفة مهندس مثلا فى بنى سويف وهو يقيم فى الزقازيق ولم يسبق له مغادرتها فماذا يفعل:

- يقوم بسؤال أصحابه ومعارفه الأسئلة التالية:
- أين تقع محافظة بنى سويف؟
- ما أفضل وسيلة للسفر إليها ... القطار - السيارة - الأتوبيس؟
- كم من الزمن تستغرق الرحلة؟
- ثمن التذاكر وأجرة السيارة وأجرة الأتوبيس؟
- من أين يستقل الوسيلة المناسبة؟
- ما حالة الطقس هناك؟
- ما حالة الأسعار؟
- كيف يمكن تدبير السكن هناك ؟
- ما المرتب الذى سوف يتقاضاه وكم من النقود تكفيه حتى يحين موعد استلام مرتبه؟
- ما طبيعة وظيفته هناك؟
- ثم يقرر أخيرًا بعد الحصول على الأجوبة من أكثر من شخص الموعد والوسيلة المناسبة وكذا ما يحتاجه هناك من ملابس وغيرها من الأجوبة التى تعطيه صورة صادقة عن المجتمع الجديد الذى سوف ينزح إليه.

مثال آخر: أحد المصريين العائدين من دول الخليج بعد فترة أكثر من عشر سنوات متصلة لم يتردد خلالها على بلده ويرغب فى الاستقرار وعمل مشروع تجارى ناجح فإنه يسأل معارفه وأصدقاءه بعض هذه الأسئلة:

- ما أفضل مشروع يمكن عمله؟
- كيف يمكن إدارته؟

- تقدير تكاليفه . المساحة المطلوبة من الأرض - تكاليف البناء

- حجم العمالة المطلوبة.

- كيفية توزيع المنتج؟

باختصار ما يسمى "بدراسة الجدوى" عن المشروع وفى النهاية يقرر تنفيذه أو تغييره حسب ظروفه وإمكاناته.

مثال ثالث: شخص يرغب فى الزواج من أخرى شاهدها فى إحدى الحفلات الأسرية فإنه يقوم بالاستفسار عن:

اسمها - مؤهلاتها - أسرتها - أخلاقها - سابقة خطوبتها أو زواجها وغير ذلك من الأسئلة الشخصية بالإضافة لتاريخها الطبى.

هذه الأمثلة الثلاث السابق تقديمها يمكن إيجازها بكلمة واحدة هى المعلومات فالشخص الذى نقل لعمل فى المثال الأول واستفساره عن ما سبق هو فى نهايته يسمى بتجميع معلومات عن الحياة الثانية التى سينتقل إليها وكذا المثال الثانى دراسة الجدوى هى المعلومات عن المشروع المزمع عمله والمثال الثالث أيضًا هو جمع معلومات عن السيدة التى سوف تشاركه حياته ويعطيها اسمه.

ولقد تعمدت ذكر هذه الأمثلة لأؤكد أننا جميعًا لا نستغنى ولانستطيع أن نعيش بغير معلومات وكلما كانت المعلومات صادقة كلما كان النجاح مؤكداً والعكس صحيح تماماً فالمثال الأول إذ قام الشخص بالسفر لبنى سويف دون تجميع ما يسمى بالمعلومات والحصول على الأجوبة للأسئلة السابق ذكرها فإنه بالتأكيد سيعانى متاعب مادية وجسدية كثيرة وهو الأمر الذى سيؤثر على نفسيته واستعداده للعمل وسيصيبه بالإحباط.

والمثال الثانى فى حالة عدم حصوله على ما يسمى بدراسة الجدوى (المعلومات) فإن أى عمل سوف يبوء بالفشل المادى وضياع ما تكبده فى حياته وقد يؤ دى لإصابته بأمراض جسدية ونفسية والمثال الثالث نراه فى فشل الزواج الذى لا يبنى على أسس سليمة.

والأمر المؤكد أن حياتنا بدون نظام (والنظام نوع من المعلومات) لايمكن أن تكون ميسرة وإلا سوف تفاجئنا أمور غير مستعد لها وغير متحسب لوقوعها.

فى مجال الأمن السياسى بصفة عامة

أى جهاز أمنى كما سبق أن أوضحت هو الأولى بالحصول على المعلومات اللازمة حتى يضمن نجاح واستقرار النظام السياسى ولأن الأمن له قاعدة وهدف أساسى هو منع وقوع الجريمة وإذا وقعت ضبط مرتكبيها.

نرى هنا عاملين أساسيين : الأول المنع الثانى الضبط وبدون الدخول فى الدهاليز الفلسفية فإن جوهر العاملين هو كلمة واحدة هى المعلومة فعدم توافر المعلومات المناسبة يؤدى لوقوع الجريمة سواء كانت سياسية أو جنائية وعدم توافر المعلومات لن يؤدى لضبط مرتكبيها أيضاً سواء كانت جنائية أو سياسية أى أن العامل المشترك هو توافر المعلومات وبها يمكن أن تتم الدورة الأمنية سواء فى الضبط أو فى المنع.

مثال فى الأمن السياسى

- تردد فى أوساط المواطنين أن الحكومة قامت برفع أسعار البنزين ولم يعلن ذلك فى الصحف أو المجلات الحكومية.

- هنا لابد من اتخاذ عدة خطوات:

- الاستفسار من مباحث التموين عن صحة ذلك الخبر.

- سؤال أصحاب محطات البنزين عن ورود تسعيرة جديدة.

- سؤال بعض أصحاب السيارات من المعارف والأصدقاء عن صحة ذلك فى أضيق نطاق وبصورة مباشرة.

- مراقبة المواقف بصورة غير ملحوظة.

- مراقبة محطات البنزين.

- هنا يكون الأمر إما حقيقيًا أو أنه إشاعة كاذبة.

- فى الحالة الأولى يتم فى أسرع وقت إرسال تقرير للقيادات وإبلاغهم بورود هذه الإشاعة والعمل على نشر بيان فى التليفزيون والصحف يشير لعدم صحة ذلك بالإضافة لتكثيف الخدمات حول محطات البنزين حتى لايستغل بعضهم ذلك ويقوم من تلقاء نفسه برفع الأسعار كما يتم التنبيه على أصحاب المحطات بوضع قائمة الأسعار وعدم رفض تموين أية سيارة بحجة عدم وجود تموين.

أما فى الحالة الثانية وتأكد صحة ذلك فإنه يتم رفع تقرير سريع للقيادات يتم فيه التوصية بأن ينشر بيان هذه الزيادة طفيفة ولا تؤثر على المواصلات ويتم ملاحظة المواقف لعدم رفع تسعيرة السفر كما يتم الاتفاق مع الجهات الحكومية التوفير وسائل مواصلات بديلة إذا اقتضت الحاجة ذلك.

- من خلال العرض السابق يتبين أهمية المعلومات سواء كانت حقيقية أو إشاعات حتى يمكن التعامل مع أية واقعة دون أى تجاوزات وبما يحقق الهدف القومى.

(جـ) وسائل جمع المعلومات:

لأجهزة الأمن السياسى العديد من الوسائل التى تلجأ إليها لجمع المعلومات ولعل بعضها معروف والآخر غير معروف على النحو التالى:

١ - الوسائل المعروفة

- الصحف والمجلات سواء الحكومية أو ما يسمى بصحف المعارضة أو الصحف المستقلة.

- وسائل الإعلام المختلفة من التليفزيون ووكالات الأنباء.

- الأحاديث الشخصية مثل سائقى التاكسى - العاملين بالسنترال - الحلاق - البائعين المتجولين.

- الكتب الدورية والإرشادية والتى يتم إرسالها بصفة شبة دائمة للجهات الأمنية.

٢ ـ الوسائل غير المعروفة

١ ـ أدوات التصنت والتسجيل (حساسة ودقيقة وصغيرة جداً).

٢ ـ المراقبات التليفونية.

٣ ـ المراقبات البريدية.

٤ ـ المراقبات الشخصية سواء كانت علنية أو سرية.

٥ ـ تقارير الرأى العام.

٦ ـ التحليلات والدراسات.

٧ ـ الأبحاث العلمية والأدبية.

وأخيراً وليس آخراً أهم وسيلة للمعلومات المصدر



الفصل الثانى

أساسيات العمل الأمنى السياسى

المبحث الأول : (أ) المصدر فى الأمن السياسى

المبحث الثانى : تجنيد المصادر

المبحث الثالث : (أ) أساس نظرية تقدير الموقف

(ب) نماذج عملية لتقدير الموقف من السيرة النبوية



المبحث الأول : (أ) المصدر فى الأمن السياسى

كما سبق أن أوضحت أن الرسول - ﷺ - كان له بعد نظر أمنى سياسى ورؤية أمنية غير مسبوقة وللتعرف على ذلك ينبغى الوقوف على العديد من المسميات والتعاملات الأمنية السياسية ولعل أبرزها هو المصدر.

ما المصدر؟

اختلفت التعريفات الأمنية حول تعريف كلمة مصدر بمدلولها السياسى الأمنى ولعل من أبرزها:

- المصدر هو شخص مؤتمن يأتى بالمعلومات والترديدات والتى عرفها بحكم تواجده وتعايشه وسط مجموعة معينة فى مكان أو أماكن مختلفة.

- المصدر هو قلب المعلومة. (وسط مجموعة معينة).

- المصدر هو شخص يتم زرعه داخل مجموعة ما أو مكان ما تحت هوية ما للوقوف على طبيعة وتضاريس المكان أو طبائع وأسرار الناس المتواجدين فيها.

- المصدر هو شخص حائز على ثقة مجموعة ما أو شخص ما مطلوب الحصول على معلومات عنه لايمكن الوقوف عليها إلا من خلاله.

- **يمكن إجمال هذه الآراء** بتعريف جامع عن المصدر بأنه شخص ما ذو مهارة معينة وإمكانات عقلية غير عادية أمكن زرعه أو تجنيده[1] من خلال مجموعة معينة أو شخص معين لاستطلاع أخبارهم.

---

(١) استمالته.

وقد يتقدم شخص ما من تلقاء نفسه أو من خلال نجاح ولى الأمر فى استقطابه والسيطرة عليه مما يجعله يقدم معلومات عن موضوع جديد أو موضوع يكون غير مكتمل الحلقات وتكون هذه المعلومات بمثابة خريطة واضحة أمام مصدر القرار للتعامل مع الأمر.

- لا يشترط أن تكون المعلومات متكاملة أو مباشرة بل تكون متناثرة أو جزئية وفى كل الحالات تعتبر استكمالاً لسلسلة يمكن إغلاقها وهى مثل ضوء بسيط يؤدى لتحديد المسار وكلما كان الضوء مكثف (المعلومات) كلما كان الطريق واضحًا ومحددًا.

●● أنواع المصدر:

مقدمة بسيطة لأهمية المصدر

بالرغم من أن عالم اليوم يشهد طفرة غير مسبوقة فى التطور العلمى مما جعل دور الأمن السياسى ليس فقط مهمًا وأساسيًا بل إنه يعتبر أهم الأنشطة والتى تدعمها أية دولة لمواجهة أى خطر حالى وتحسبًا لأى أخطار مستقبلية سواء فى داخلها أو خارج حدودها.

- ونتيجة التطور العلمى المذهل فى أجهزة التجسس والتصنت لم يعد العالم يعرف ما يطلق عليه بالسر فالمعلومات أصبحت مباحة للجميع وأصبح مفهوم الأمن القومى واسعًا ومتخوفًا من أن يشمل ليس فقط الجانب العسكرى بل الاقتصادى والعلمى والاجتماعى وغيره من المجالات والتى أصبحت تحت عباءة الأمن بمسميات مختلفة.

- كان البعض يرى أن التطور العلمى فى ضوء الثورة العلمية وما أفرزته من مخترعات حديثة مثل القمر الصناعى والكمبيوتر وشبكات الإنترنت يمكن أن تحل محل الإنسان.[1]

---

(١) إلا أن الأحداث والتجارب أكدت أنه لا يمكن الحصول على المعلومة بالمخترعات العلمية الحديثة إلا بعد تحليلها وذلك لا يكون إلا بالعنصر البشرى وهو الإنسان، ولعل حرب أكتوبر كانت خير دليل على ذلك برغم التفوق التكنولوجى لأمريكا وإسرائيل وكذا أحداث ١١ إبريل فى الولايات المتحدة قمة الحضارة والعلم وكان هناك معلومات إلا أن تحليلها كان قاصرًا حيث لم يستخدم الإنسان (المصدر).

أنواع المصادر

هناك أنواع عديدة من المصادر إلا أنه يمكن إبراز أهمها على النحو التالى: .

١ ـ **مصدر دائم**: يكون هذا المصدر موجودًا بمكان معين ومرتبط بالمقيمين أو العاملين فيه ويمكنه من خلال ممارسته لحياته العادية والوقوف على أخبارهم.

ومثال ذلك (سيدنا العباس بن عبد المطلب) كما سوف نوضحه فى حينه.

٢ ـ **المصدر المزدوج** : وهو شخص أمكن استقطابه بوسيلة ما (المال ـ المنصب ـ الإقناع) ويقوم بنقل معلومات غير حقيقية لمن أرسلوه بهدف تضليلهم ومثال ذلك (سراقة فى واقعة الهجرة).

٣ ـ **المصدر العرضى**: وهو شخص يتصادف وجوده فى مكان ما أثناء حدث معين يمكن من خلال مناقشته الحصول على الغديد من المعلومات ومن تحليلها (العامل الإنسانى) يمكن الوقوف على حقائق معينة.

مثال ذلك (الإعرابى[1] الذى قابله الرسول ﷺ بالصدفة قبل غزوة بدر واستفسر منه عن قريش ولم يكن الأعرابى يعلم حقيقة شخص الرسول ﷺ والذى نجح فى الحصول على معلومات قيمة (جارى عرضها).

ـ بالإضافة لذلك قد يكون المصدر مقابل مبلغ مالى أو هدية أو تحت ضغط معنوى أو شخص يحب الظهور والتودد لأجهزة الأمن وغير ذلك وهو ليس موضوعنا.[2]

---

(١) غزوة بدر الكبرى (سيرة ابن هشام).

(٢) سيأتى ذلك فى حينه.

المبحث الثانى : تجنيد المصادر

من أصعب وأعقد المشكلات الأمنية هى كيفية العثور على مصدر للمعلومات؛ ولأن المصدر بمعناه الفنى يتطلب العديد من الشروط والمواصفات والتى من النادر توافرها فى الأشخاص بصفة عامة وفى متابعة الأنشطة النوعية بصفة خاصة ويعتبر نجاح أى جهاز أمنى ليس بإمكاناته وسلطاته واختصاصه، بل نجاحه فى المقام الأول هو تجنيد أكبر عدد ممكن من مصادر المعلومات وكلما زادت المصادر المتخصصة كلما زادت المعلومات وبالتالى يمكن أن يقيم الجهاز بالقوة والنجاح.

- ولعل من أول الأسس والمبادئ التى يتعلمها رجل الجهاز الأمنى سواء فى جهاز مباحث أمن الدولة أو المخابرات العامة أو الأجهزة المشابهة سواء على مستوى مصر أو مستوى أجهزة المعلومات على المستوى العالمى هو:

١ - ضرورة وجود مصدر وإقناعه بالتعامل مع الجهاز الأمنى بمختلف الوسائل.

٢ - كيفية التأثير على هذا المصدر بحيث يتم توجيهه والسيطرة عليه.

- ويشار هنا إلى وجود نوع من المصادر يطلق عليه المصدر المزدوج وهو الذى يعمل الجهتين فى وقت واحد دون أن تعرف أحدهما أن هذا المصدر يتعامل مع الجهة الأخرى ولعله من أهم أسس الأمن السياسى كيفية معرفة هذا النوع والأخطر أن يتم السيطرة عليه وتوجيهه كلية نحو الطرف المضاد لتضليله وخداعه.

- ولأهمية وجود المصادر والتى نجح سيدنا رسول الله - ﷺ - فى تجنيدها بل إن قدرته - ﷺ - نجحت فى الجزء الأخطر وهو استقطاب عميل وتجنيده لصالحه وهو ما سيأتى فى هذه السطور القادمة.

(أ) **المصدر المزدوج**

- نجح الرسول - ﷺ - فى أكبر قضية غيرت الإنسانية ألا وهى نجاحه فى تدبير وترتيب خروجه من مكة إلى المدينة المنورة ولأن قريشًا تدرك جيدًا أن كافة الموازين سوف تنقلب عليها إذا لم تنجح فى العثور على الرسول واغتياله قبل وصوله للمدينة المنورة وأنهم وإن كانوا يئسوا فى اغتياله فإنهم لم ييأسوا فى تعقبه ولكن بعدة صور أخرى غير المطاردة على الوجه الآتى:

- بث العديد من رجالها فى الطرق المؤدية للمدينة للعثور عليه أو على أى أخبار يمكن أن تدل عليه.

- أعلنت قريش عن مكافأة مالية قدرها مائة ناقة لمن يأتى بالرسول حيًا أو ميتًا أو يدلى بمعلومات عن مكان تواجده.

وهنا يجدر الإشارة إلى أن الناقة فى بيئة صحراوية تمثل سفينة الحياة وهى بما تدرها من لبن، وكذا استغلالها فى السفر من مكان لآخر وفى النهاية ذبحها والاستفادة من لحومها وهذا إغراء لرجال قريش وأعوانهم وأى شخص يسمع بمثل هذه المكافأة الضخمة وغير المسبوقة.

- بالفعل أدرك أحد الوافدين لمكة أهمية المعلومات حيث قصد مجلس لبعض رجال قريش وأبلغهم بأنه شاهد (المطلوب البحث عنهم وضبطهم ... (التعبير الأمنية) فى أحد الطرق المؤدية للمدينة وكان فى هذا المجلس القريشى/ سراقة ابن مالك بن جشم ومعروف بأنه من فرسان قريش ولأن الجائزة كبيرة فقد طمع فيها سراقة وأدرك أن حديث ذلك الأعرابى بمشاهدته للرسول وصاحبه قد يضيع عليه المكافأة وفكر وفى لحظات قليلة قرر أن يضلل الرجال الحاضرين معه فى المجلس فقرر بأن من شاهدهم الأعرابى هم رعاة غنم لأحد سادات العرب ثم قام بفض المجلس وأنفرد بالأعرابى وأخذ يسأله فى

كافة التفاصيل عن مشاهدته وطلب وصف الركب الذى رآه وأدرك تمامًا أنه الرسول وصاحبه.

- أعد سراقة عدته من رمح وحصان من أجود الخيول ثم انطلق للطريق الذى حدده الأعرابى وهنا حدثت بعض الأمور والتى تؤكد أهمية وجود رعاية من الله تعالى لنبيه (عدم إغفال الجانب الإلهى) فحين اقترب من ركب الرسول عثرت الحصان فى الرمال فقام بزجرها فقامت مستوية فتوجه بها نحو الركب وهنا فوجىء سراقة بأن الجواد يكبو كبوة عنيفة ألقته على الرمال فهنا أدرك تمامًا أن النبى له حارس يمنعه ويمنع أى معتدٍ عليه وأنه إذا حاول مرة ثالثة فهو هالك لا محالة فطلب الأمان من الرسول وأن يكتب له كتابًا يكون آية له.

وفعلاً أمر الرسول سيدنا أبا بكر بتحرير الكتاب والذى وعده بسوار كسرى ملك الفرس وهو الأمر الذى تحقق فعلاً فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب.

- يشار هنا إلى قدرة الرسول - ﷺ - فى إقناع سراقه واستقطابه بل وتجنيده لتضليل قريش وهو الأمر الذى فعله حين شاهد عقب عودته والتشرف بمقابلة الرسول بعض فرسان قريش يجوبون المكان بحثًا عن الرسول فقرر لهم أنه بحث فى هذه المنطقة ولم يجد أحدًا واصطحبهم لمكان آخر معاكس تمامًا للطريق الذى كان فيه ركب النبى.

- وهنا نرى هذه العبقرية الأمنية للرسول، والذى نجح فى استقطاب سراقة دون أن يعطيه مالاً والأخير كان فى يده مائة ناقة بالإضافة لما سوف يحوز عليه من شرف وعلو مكانة لدى قريش لو كان قد نجح فى القبض على الرسول أو اغتياله وكان لحديث الرسول معه قمة النجاح فى التجنيد يضاف لذلك إقناعه لتضليل قريش وهو الأمر الذى يعجز عنه أباطرة الأمن ونجح فيه الرسول الذى لم يتعلم فى إحدى كليات الشرطة أو المعاهد الأمنية.

(ب) أهمية المصدر

كان الرسول بحنكته وحكمته يعلم بأهمية ضرورة وجود مصدر للمعلومات فى كل مكان يتواجد فيه بشر ولم يكن الرسول فقط ينتظر وصول معلومات له عن

وضع معين أو استعداد خاص من إحدى القبائل للهجوم على المدينة بل إنه كان يرسل ما يسمى بمصادره لكل مكان يأتون إليه بأخبار قريش بصفة خاصة والعرب بصفة عامة ولعل إضافة هذه المواقف التى تدل على إعجازه فى تجنيد المصادر وسرعة اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب.

- جلس بعض العرب وهم :

١ - سليط بن النعمان (من الصحابة).

٢ - اليهودى / كنانة بن أبى الحقيق.

٣ - الصحابى الجليل/ نعيم بن مسعود (قبل إسلامه).

وذلك فى أحد المجالس يتعاطون الخمر بالمدينة المنورة ويتحدثون فيما بينهم عن الأحداث الجارية والجدير بالذكر أن الخمر لم يكن سبق أمر الله تعالى بتحريمها وعندما لعبت برءوسهم ذكر نعيم بن مسعودأن قريشًا أعدت خطة لتأمين تجارتها إلى الشام وخاصة بعد تعرض الرسول لهم وأنهم يعدون قافلة كبيرة ولتضليل المسلمين سيسلكون عند عودتهم طريقًا آخر يسمى طريق الشرقية الجديدة وأنهم حاليًا يترقبون وصول هذه القافلة.[1]

- لأهمية هذه المعلومات قام الصحابى/ سليط بن النعمان بالتوجه فورًا للرسول - ﷺ - وأخبره بما دار فى مجلس الخمر.

- اتخذ الرسول قراره الحكيم برصد هذه القافلة وأرسل من يتجسس أخبارها وبالفعل نجح رجال الرسول فى مباغته القافلة وأسر رجالها والذين لم يكونوا متوقعين هذا الهجوم وسلموا جميعًا للرسول - ﷺ -.

(جـ) القواعد المستفادة من هذه الواقعة

١ - أهمية أن يكون رجل الأمن له مصادره فى المقاهى والأماكن العامة وأماكن اللهو والسمر حيث هناك تكون النفس البشرية مستعدة ومهيأة للخروج عن طبيعتها سواء فى التكلف أو التظاهر بمظهر حقيقى بعيد عن المظهر الخارجى.

(١) عبقرية محمد (عباس محمود العقاد).

٢ ـ عدم إهمال أى خبر أو معلومة فالرسول ـ ﷺ ـ بنظرته الثاقبة وبصيرته وضع المعلومات التى وردت لها فى إطارها الصحيح ولم يستهن بها أو يهملها باعتبارها معلومة جاءت من أشخاص سكارى بل اهتم بها وأرسل من يؤكدها وحين أيقن صدقها أرسل سرية لمباغتتها.

٣ ـ السرية عند تحرى المعلومة وعدم الجهر بها كان الرسول ـ ﷺ ـ مدركًا أن مجتمع المدينة المنورة به عيون لقريش سواء من اليهود أو الأعراب أو القليل الذين لم يسلموا من أهل المدينة وفى حالة عدم تعامله مع هذه المعلومة بسرية فقد تتسرب الأخبار عن معرفة الرسول لأمر القافلة وبالتالى تجد قريش من يحذرها وتضيع هذه الفرصة الثمينة كما اختار الرسول أحد الصحابة ويطلق عليهم أمنيًا (شخص مؤمن) ألا وهو سيدنا زيد بن حارثة[1] والذى استطاع الخروج من المدينة مع بعض المسلمين الذين كلفهم الرسول بما يسمى (**بضبط الواقعة**) ونجحوا فى مهمتهم.

ـ وهكذا نجد أن الرسول وضع العديد من القواعد الأمنية يمكن تلخيصها فى الآتى:

١ـ أهمية وجود مصدر فى أى مكان وكذا فى أى وقت.

٢ـ ضرورة أن يكون المصدر ذا حنكة وبعد نظر حتى يكون مستعدًا لسماع أية معلومة يدرك أهميتها.

٣ـ أهمية التوقيت فى نقل المعلومة حتى يمكن الاستعداد لها.

٤ـ عدم الاستهانة بأى خبر أو معلومة مهما كان مصدرها أو المكان الذى جاءت منه.

٥ ـ السرية فى التعامل مع المعلومة وأهمية تأكيدها.

٦ـ اتخاذ الإجراء اللازم لإجهاض المخطط.

---

(١) سيرة ابن هشام.

المبحث الثالث

(أ) أساس نظرية تقدير الموقف

تقدير الموقف بنيان أساس فى أساسيات الأمن السياسى والمقصود به عند حدوث موقف أو قضية ما فإن المختصين بالأمن السياسى يعدون ما يسمى "بورقة تقدير الموقف "وهى تعنى ببساطة شديدة إعادة دراسة للقضية أو الأزمة سواء بإفرازاتها السلبية أو نتائجها الإيجابية وتكون هذه الدراسة أمام مصدر القرار مشفوعة بآراء كى يستطيع اتخاذ موقف أو قرار بشأن ما حدث فى هذه الواقعة.

- ومن خلال دراستنا للسيرة النبوية الشريفة فى منظورها السياسى الأمنى نرى أن الرسول - ﷺ - قد أنشأ هذه النظرية فى مواقف عديدة لعل من أبرزها ما حدث بعد واقعة أحد والذى أعد هذه الدراسة كان القائد الملهم من الله تعالى سيدنا الرسول وهو الأمر الذى يوضح أنه كان ذا حس أمنى وذلك من خلال استيضاح الآتى:

١ - نموذج غزوة أحد

- رأى الرسول أن غزوة أحد كان لها إفرازات سلبية كما أنها أوجدت وخلفت العديد من الحقائق والموضوعات والتى كان له أن يتصدى لها.

أولا: على مستوى الأمن الداخلى

لا يمكن لأى محلل أو مؤرخ عسكرى أن يؤكد أن غزوة أحد كانت هزيمة كاملة للمسلمين وذلك لأسباب موضوعية وأسباب شخصية.

(أ) الأسباب الموضوعية

١ ـ بالرغم من انتصار قريش عسكريًا من الناحية الظاهرية ولولا أن عدد قتلى المسلمين كان كبيرًا بالنسبة لعددهم إلا أنه من الناحية العملية فإن نظرية النسبة والتناسب تؤكدان خسائر المسلمين بالمقارنة لخسائر قريش تكاد تكون بسيطة للغاية مقارنة بأعداد المقاتلين.

٢ ـ لم تنجح قريش فى فرض إرادتها على الرسول والمسلمين وهو الأمر الذى كان يمثل لها الهدف الأساسى بل إنها فشلت فى محاولتها لغزو المدينة المنورة والقضاء على الدعوة الإسلامية.

٣ ـ نجحت قريش فى الإجهاز على العديد من كبار الصحابة ومنهم سيدنا/ حمزة بن عبد المطلب إلا أن مقتله وإن كان له تأثير معنوى سيئ على الرسول والمسلمين إلا أن قريشًا كانت تهدف لقتل الرسول ذاته وهو الأمر الذى فشلت فيه تمامًا.

٤ ـ انسحاب قريش السريع من المعركة خشية أن تنقلب لنصر المسلمين بل إن الرسول طاردها حتى اطمأن لخروجهم لمكة.

(ب) الأسباب الشخصية

١ ـ خرج الرسول سليمًا معافًا ومعه كبار الصحابة والذين كانوا مستهدفين من قريش وذلك بصرف النظر عن الشهداء والمصابين.

٢ ـ أن هزيمة المسلمين الظاهرية كان سببها عدم اتباعهم وطاعتهم لأمر الرسول وبخاصة الرماة الذين كانوا يمثلون ظهر الجيش وانقلبوا للبحث عن الغنائم.

المستجدات:

كان من ضمن دراسة تقدير الموقف والذى كان أمام عين الرسول ـ ﷺ ـ عدة نقاط:

أولاً: اليهود

منذ قدم الرسول للمدينة لم يكن لليهود سوى هدف واحد هو إحداث الوقيعة والفتنة بينه وبين قريش من جهة وبين المسلمين الأنصار والمهاجرين من جهة أخرى بكافة الطرق والأساليب.

- وكانت تصرفاتهم ومكائدهم واضحة أمام الرسول كرجل أمنى إلا أنها كانت خفية على المسلمين والذين لم يكونوا مدركين لأبعادها ولم يشأ الرسول وهو فى بداية عهده بالمدينة المنورة أن يتخذ ضدهم أى إجراء وكان له رؤية أمنية وسياسية تتمثل فى الآتى:

(أ) لم يشأ الرسول أن يفتح ما يسمى بجبهة داخلية ضده فى توقيت يحاول فيه جمع المسلمين من أنصار ومهاجرين.

(ب) كان الرسول مدركًا لتصرفات اليهود مع قريش من ناحية أخرى فلم يشأ أن يزيد من الفجوة بين المسلمين فى المدينة وبين اليهود وبخاصة أن اليهود كانوا لا يزالون مرتبطين ببعض زعماء المسلمين من الأوس والخزرج.

(جـ) مناورات ودسائس اليهود كانت تتم بدهاء وسرية دون أن يظهروا كطرف فيها وهو ما جعل الرسول يغض البصر عن اتخاذ قرار بشأنهم فى الوقت الذى يحبط أية محاولات منهم للوقيعة بين المسلمين.

تغير الموقف تمامًا بعد غزوة أحد حيث جاهر اليهود بعدائهم للرسول والصحابة بل إنهم أخذوا يهاجمون الرسول ليس فقط فى مجالسهم الخاصة بل على الشيوع بالإضافة لذلك كان لديهم قناعة بأن هذه الفرصة مناسبة تمامًا لأخذ ثأرهم لإخوانهم بنى قينقاع والذين طردوا من المدينة.

- أخذ اليهود يشيعون أن الرسول لو كان نبيًا حقًا ما انهزم وهو الأمر الذى مجمله يقصد به أمنيًا هدم وتخريب الجبهة الداخلية وإثارة المسلمين وغيرهم على قائدهم.

ثانيًا: المنافقين

مثلهم الأمس مثل اليوم لم يكتفوا بإظهار فرحتهم من هزيمة المسلمين بل أخذوا فى المجاهرة بهذا العداء وأخذوا يرددون ما يردده اليهود من أحاديث وأقاويل على الرسول ومنها أنه لو كان نبيًا حقًا ما هزم قط.

ـ كانت هذه المعلومات تصل للرسول دومًا من خلال مصادره وهو الأمر الذى جعله نقطة أساسية فى دراسة الموقف الذى كان فى صدر أجندته الأمنية السياسية.

ثانيًا: على المستوى الأمنى الخارجى

أفرزت غزوة أحد أمام الرسول موضوعات مستجدة وذلك على النحو التالى:

(أ) بالنسبة لقريش

استغلت قريش نصرها المزعوم ومن خلال وسائل الإعلام المتمثلة فى الشعراء والمترددين على بيت الله الحرام وأخذت تذيع انتصارها بين القبائل لزيادة هيمنتها وسيادتها وبخاصة إذا أخذ فى الاعتبار أن العديد من القبائل العربية كانت على ما يسمى بالحياد فلم تشأ أن تتدخل صراحة لصالح أحد الطرفين وبالتالى أصبح لها السيادة والتى كانت فقدتها فى غزوة بدر الكبرى.

(ب) القبائل العربية

ـ رأت العديد من القبائل العربية أن انتصار قريش أعاد الأمور لمجراها الطبيعى لقناعتها بأن قريشًا هى زعيمة العرب ومصالحهم المتمثلة فى التجارة وزيارة بيت الله الحرام لا تكون إلا من خلالها.

بالإضافة لذلك كانت بعض القبائل قد أعلنت إسلامها بعد غزوة بدر والبعض الآخر أخذ فى التودد للرسول والمسلمين، أما بعد واقعة أحد فقد أدرك هؤلاء أن الغلبة لقريش وعادوا للتحالف معها وبالنسبة لمن أسلموا وكان إيمانهم ضعيفًا فلم يقوَ على الوقوف أمام سطوة قريش.

- بالإضافة لذلك كانت بعض القبائل تنظر للصراع بين الرسول وقريش على أنه صراع شخصى وبين قبيلة وأحد المنشقين عليها ولذا كان موقف بعضها الحياد والبعض الآخر مع قريش أما الآن فقد حسمت العديد من هذه القبائل موقفها وأعلنت وقوفها فى خندق قريش.

٢ - نموذج لتقدير الموقف (الرؤية الأمنية)

كان لغزوة بدر إفرازاتها على المستوى السياسى والاقتصادى والإعلامى والأمنى وخلقت أوضاعًا جديدة فى منطقة الجزيرة العربية بصفة عامة ومكة والمدينة بصفة خاصة.

- ولأن موضوعنا يتعلق بالجانب الأمنى أما على المستوى السياسى والاقتصادى والإعلامى فليس هذا الكتاب مجاله وأكتفى بالنظرة الأمنية السياسية.

(أ) إفرازات غزوة بدر الأمنية السياسية

كان أهم إفرازات غزوة بدر أن أصبحت كلمة الرسول - ﷺ - هى الأولى وبخاصة فى المدينة المنورة وجوانبها ولقناعته - ﷺ - بأن اليهود هم ما يسمى بطابور خلفى لقريش فقد استقل الرسول بنظرته الأمنية الثاقبة وقوع حادث فقام بطرد يهود بنى قينقاع من المدينة، وكانت الفرصة أمام الرسول حين تعدى بعض اليهود على سيدة مسلمة مستهزئين بها وقاموا بقطع ثوبها فتصادف وجود أحد المسلمين والذى قام بقتل اليهودى المتسبب فى ذلك فقام اليهود بقتله ثم لحقوا بحصونهم للاحتماء بها وكان الرسول بعبقريته الأمنية أعد ما يسمى بدراسة الموقف وكان بين أمرين:

الأول: أن يعبر هذه الأزمة بطريق سلمية وبأخذ دية المسلم المقتول وينتهى الأمر عند ذلك.

وهنا تتجلى عبقريته وبعد نظره حيث رأى أن الأمر الأول سوف يؤدى لسلبيات على النحو التالى:

١ ـ زيادة شكيمة اليهود وتعاليهم على المسلمين.

٢ ـ تضييع نتائج انتصار غزوة بدر وضياع هيبة المسلمين فى المدنية وهو الأمر الذى سيؤدى لانخفاض روحهم المعنوية.

٣ ـ ستؤدى لتطاول القبائل العربية المجاورة للمدينة وطمعهم فى سلبية المسلمين.

٤ ـ سيتردد فى الجزيرة العربية أن اليهود نجحوا فى كسر شوكة المسلمين وهو الأمر الذى سيؤدى لمطامع من قريش لسرعة الأخذ بالثأر.

الثانى: أما فى حالة قتال اليهود وطردهم سيحقق إيجابيات عديدة للمسلمين بخاصة أنه ـ ﷺ ـ وضع الاعتبارات التالية:

١ ـ أن يهود (بنى قينقاع) يمثلون خطرًا على المسلمين باعتبارهم طابورًا احتياطيًا لقريش.

٢ ـ أنهم (اليهود) كانوا عيونًا لقريش على المسلمين ولأن الرسول بحكمته وبعد نظره لم يشأ أن يفتح جبهتهم وجبهة قريش فى وقت واحد ففضل الانفراد بقريش أولاً ثم تصفية حساباته مع اليهود.

٣ ـ وجود اليهود فى المدينة بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين سيجلعهم ينشرون الشائعات والأكاذيب ومحاولة بث الفرقة بين المسلمين وبخاصة إذا أخذ فى الاعتبار وجود فريق من المنافقين على استعداد لتصديقهم وتأييدهم ضد الرسول.

نتائج دراسة تقدير الموقف

فى حالة القضاء على اليهود سوف تتحقق النتائج الآتية:

١ ـ سيتمكن المسلمون من الاستيلاء على حصونهم وأسلحتهم وأموالهم لتكون ركيزة لبناء الدولة الناشئة فى المدينة.

٢ ـ توصيل رسالة لباقى طوائف اليهود بنى قريظة / بنى النضير أن أى إخلال بوعودهم سيكون مصيرهم مثل بنى قينقاع كما سيؤدى ذلك لإثباط همتهم.

٣ ـ سيؤدى لمنع نشر أى أكاذيب أو فتن فى المدينة أو حولها.

٤ ـ قطع قناة معلومات لقريش عن المسلمين.

٥ ـ رفع الروح المعنوية للمسلمين.

ـ هذه الدراسة تسمى أمنى الحنكة السياسية والرؤية الأمنية الثاقبة.

(ب) نماذج عملية لتقدير الموقف من السيرة النبوية

●● مأمورية الحبشة[1]

كانت مهمة الهجرة إلى الحبشة تدل على (إعجاز أمنى سياسى) على أعلى مستوى وبإيجاز سريع يمكن استعراض ذلك فى الآتى: ـ

اشتد الإيذاء بأصحاب الرسول ـ ﷺ ـ وقامت قريش بالتنكيل بهم بكافة الصور الإرهابية والتعذيب اللاإنسانى وبالرغم من ذلك ازداد الصحابة قوة وصلابة ولم يصرفهم عن الإيمان بالله ورسوله وألا أن الرسول الرءوف الرحيم بالمؤمنين وقد رأى ذلك فأراد أن يبعد أصحابه عن الاضطهاد والتعذيب فأشار عليهم أن يذهبوا إلى الحبشة قائلاً لهم: (اذهبوا للحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه).

ـ كان هجرة المسلمين مرتين الأولى بها أحد عشر رجلاً وأربع نساء.

ـ الهجرة الثانية كانت حوالى ثمانين شخصًا بأسرهم وأطفالهم وظلوا هناك حتى هاجر الرسول للمدينة فتوجهوا إليه.

ـ وهنا قد يتساءل البعض أين مكمن إعجاز الرسول فى ذلك وما حدود القدرات الأمنية وبخاصة أنه معروف أن أهل الحبشة يدينون النصرانية وهو ظاهر الأمر الذى يجعل المسلمين فى خطر أكبر فى بلاد غريبة عنهم وأنهم فى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، حياة محمد د. محمد حسنين هيكل.

مكة بالرغم من التنكيل والتعذيب إلا أنهم فى وسط أهليتهم وبلدهم ومن المؤكد وجود شبه صلة للرحم على أقل تقدير لم يجدوها هناك.

- نعم كان للرسول ما يسمى ببعد النظر والرؤية الأمنية البعيدة الثاقبة وذلك على النحو الآتى:(1)

- رؤية الرسول أن المسلمين بإيمانهم العميق القوى وما تعرضوا له من تهديد وتعذيب من جهة وإغراء ومحاولات جذب من جهة أخرى لا يجعلهم يخرجون عن دينهم وأنهم مهما لاقوا من عذاب لن يكون مثل الذى شهدوه فى مكة وعلى جانب آخر وهنا تأتى أهمية المعلومات عن المكان والشخص فكانت معلومات الرسول - ﷺ - أن الحبشة بها ملك لا يظلم أحدًا ولا يضطهد أحدًا ولايفرض على أحد الدخول فى النصرانية وأن بلاد الحبشة بها خيرات عديدة سواء فى التجارة أو الزراعة وهى حياة أيسر بالتأكيد من حياة الصحراء الجافة وهناك سيجد المسلمون الراحة والاستقرار والعدل.

- ولأن الرسول - ﷺ - نبى الله والملهم منه - سبحانه وتعالى - فهو علم أن الدين المسيحى شابه الخلل وأن قوامه أصبح يقوم على الثلاثية المقدسة (الآب - الابن - الروح القدس) وغيرها من المحرفات مثل ألوهية المسيح والامتزاج وغيرها أما بالنسبة للمسلمين المهاجرين فهم لديهم قناعة تامة بأن الله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد وبالتالى فإنه - ﷺ - كان (مطمئنًا) على عقيدة أصحابه كما أن الرسول يعلم تمامًا أن النجاشى حاكم الحبشة لايجبر أحدًا على الدخول فى المسيحية بل إنه أقرب إلى الإسلام كما ظهر فيما بعد.

- وبالتالى لم يرم الرسول أصحابه إلى الهلاك وإنما كان يهدف للآتى:

١ - إبعادهم عن جو التنكيل والتعذيب بمكة.

٢ - توفير الأمان لهم ليعبدوا الله دون خوف أو رعده.

---

(١) عدم إغفال الوحى الإلهى.

٣ ـ توصيل رسالة الإسلام بصورة غير مباشرة إلى الحبشة من جهة ومن جهة أخرى إلى البلاد التى يمرون عليها.

٤ ـ إبلاغ النجاشى بصورة غير مباشرة بنزول النبى المنتظر والمبشر عنه فى الإنجيل والتوراة.

ـ كانت تعليمات الرسول لأصحابه بأن يهاجروا فرادى أو فى مجموعة صغيرة متخذين من الليل ستارًا حتى لاتشعر بهم قريش ونجح فعلاً أمر وصول المسلمين هناك بالهجرتين.

القواعد الأمنية المستفادة

١ ـ ضرورة أن يحافظ القائد على أنصاره ويحاول إبعاد أى أضرار تقع لهم.

٢ ـ أن يكون القائد أو الرئيس ملمًا إلمامًا كاملاً بالهدف الذى من أجله يسعى إليه.

٣ ـ الاقتناع التام بطبيعة وثقافة أنصاره حتى يمكنهم التصدى لأى معوقات أو مشكلات.

٤ ـ معرفة طبيعة المكان الذى يتم اللجوء إليه وكذا طبيعة القائمين عليه ومعرفة المعلومات الكافية عنهم وهو ما نجح فيه الرسول ـ ﷺ ـ بأن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد حتى لا يرمى بأنصاره للتهلكة أو الفتنة.

٥ ـ السرية فى الهجرة للصحابة (سرية التحرك وطريقته) حيث لم تعلم بالأمر قريش إلا وكان المسلمون هناك فى الحبشة.[١]

---

(١) التخفى.

الفصل الثالث

أساليب العمل فى الأمن السياسى

المبحث الأول : تأمين المكاتبات

المبحث الثانى : الأوامر المختومة

المبحث الثالث : تحليل المضمون (المناقشة/ الاستجواب)



المبحث الأول : تأمين المكاتبات

هناك العديد من القواعد الأمنية تم إرساؤها فى العصر الحديث وتعتبر هذه القواعد من أهم أسس الأمن السياسى بصفة خاصة وباقى الأفرع بصفة عامة.

بالبحث فى السيرة النبوية فى هذه القاعدة المهمة نجد الرسول - ﷺ - تمتع بعقلية أمنية سياسية على أعلى مستوى، وخاصة إذا أخذ فى الاعتبار الآتى:

* المجتمع الذى عاصره الرسول كان مجتمعًا قبليًا وليس دولة أو إمارة تحكمه القبائل والعشائر على حسب سيادتها وقوتها.

* كان النبى - ﷺ - أميًا لايعرف القراءة أو الكتابة.

- ولمعرفة أهمية ما أرساه الرسول - ﷺ - من قواعد وأسس فى تأمين المكاتبات يجدر الإشارة للآتى:

قاعدة تأمين المكاتبات: وتتلخص هذه القاعدة فى أن المكاتبات التى تصدر أو ترد عن شخصية مهمة أو وزارة مهمة لها درجات من السرية حسب أهميتها وينبغى الحفاظ على هذه الدرجات تحسبًا لتسربها لأشخاص قد يسيئون استخدامها سواء بقصد أو بدون قصد.

* كلما كانت المكاتبات تتدرج فى مستوياتها كلما زادت درجات السرية والأهمية إلى أن تصل للقيادة العليا أو ترد منها لمستويات أقل.

* درجات السرية هى سرى/ سرى جداً/ سرى شخصى / سرى للغاية/ سرى للغاية وشخصى.

- تضع الأجهزة الأمنية قواعد لضمان عدم تسرب هذه المكاتبات لما تسببه وتفرزه من نتائج وبالتالى يكون هناك ما يسمى بأرشيف لكل جهة أمنية يتم توزيع المكاتبات فيه بحيث تتدرج فى درجاتها وتحفظ كل درجة فى دواليب معينة يكون مسئول عنها شخصًا محددًا أو عدة أشخاص محددين حسب أهمية المكاتبات وأهمية المكان ولضمان تأمين هذه المكاتبات فإن المكلفين بالاطلاع عليها أو حفظها يكونون دائمًا فى مجال تحريات مستمرة على فترات متقاربة أو متباعدة. ولا تشملهم هذه التحريات بأشخاصهم فقط بل تشمل أقاربهم وذويهم حتى درجة قرابة معينة بل قد تمتد هذه التحريات لتشمل أصدقاءهم ومعارفهم.

- عند ظهور أى اشتباه أو شك يتم فورًا بعض الإجراءات منها :

* نقل هذا الشخص لمكان آخر.

* تغيير وضع الملفات وأماكن حفظها.

- الهدف من ذلك تأمين الشخص المكلف بالمكاتبة سواء كتابتها أو حفظها أو عرضها بالإضافة لتأمين المكاتبة.[1]

- يشار إلى أن العصر النبوى وكما وضحت كان مجتمعًا قبليًا مفتوحًا لا مجال فيه لهذه القواعد وهذه السرية.

- إلا أن الرسول الأعظم قد أسس وسنَّ هذه القواعد ولعل هذه الواقعة تؤكد ذلك:[2]

- كان - ﷺ - يستعين بأحد اليهود من بنى النضير ويكلفه بالآتى:

١ - كتابة تعليمات ورسائل الرسول المختلفة التى يرغب فى إرسالها لأى شخص أو قبيلة.

---

(١) ملحوظة مع ظهور الكمبيوتر والإنترنت حديثًا إلا أن القواعد ذاتها هى التى تطبق أو غالبيتها.

(٢) أخرجه أبو عبادة فى سننه فى كتاب العلم باب رواية حديث أهل الكتاب، جـ ٣، ص ٣١٧ وأيضًا أخرجه الطبرى، جـ ٣ ، ص ٤٢ / أحمد أمين فجر الإسلام ص ١٤٢.

٢ ـ ترجمة ما يرد للرسول من مكاتبات والتى كتبت بلغات غريبة عن العرب ومنها العبرية والسريانية[١].

ـ كان هذا اليهودى مصدر ثقة ولم يعرف أنه خان هذه الثقة وكان يسمى "**كاتب سر النبى**" وكان لا يزال على دينه ولم يسلم.

ـ إلا أن الرسول فى رؤيته الأمنية السياسية وفى قدرته العملية فى وقت ما رأى أن هذا اليهودى قد يتعاطف مع أهليته من اليهود أو يغدر بالرسول فيما يكتبه من رسائل أو ما يترجمه من مكاتبات وتحسبًا لأى موقف استبعده الرسول ـ ﷺ ـ وكى لايترك هذا المجال خاليًا فإنه أعد البديل لأنه بإدراكه وحسه الأمنى السياسى بأهمية ذلك كلف الصحابى الجليل/ زيد بن ثابت بأن يتعلم السريانية والعبرية ويكون هو كاتم السر.

وبذلك يكون الرسول أسس المبادئ والقواعد الأمنية الآتية:

- ضرورة أن يستبعد أى موظف من عمله ممن هم موضع الشبهات سواء لقناعة ذاتية أو فكر مناهض أو صلة قرابة بذلك مع أى شخص مناهض للدولة.
- أن يحيط الرئيس نفسه بمجموعة أشخاص أمناء (مؤمنين) وذوو علم حتى تكون المعادلة أهل الثقة مع أهل الخبرة.
- ألا يكون هذا الكاتب أو العامل من ديانة أخرى تخلق فى داخله دوافع مناهضة تؤدى لإهدار مبدأ السرية والأمن.
- أن يكون الشخص على قدر عالٍ من الثقافة والعلم حتى يستطيع إنجاز ما يكلف به.
- فى هذا الإطار يشار إلى أن أجهزة الأمن بخاصة العربية وبصفة أدق المصرية لايوجد فى مستوياتها المختلفة عناصر لها ديانة غير الإسلام وفى حالة الضرورة يكون الاستعانة لمرحلة معينة ولفترة محددة ولهدف محدد تحسبًا لأى انعكاسات سلبية أو إفرازات أمنية.

---

(١) يجدر الإشارة إلى أهم قاعدة وضعها الرسول ـ ﷺ ـ ألا وهى معرفة لغات الأعداء والأصدقاء على حد سواء ولعله من الأسباب الرئيسية لهزيمة العرب فى حرب ١٩٦٧ أنهم كانوا يجهلون الكثير عن إسرائيل بل كانت أية ثقافة أو كتب يهدد به محرم تداولها، وهو الذى دعا بنا للجهل عن العدو ثم إدراك ذلك فى حرب ١٩٧٣م.

المبحث الثانى: الأوامر المختومة

- الأوامر المختومة من أهم وسائل أجهزة الأمن والمخابرات الحديثة وهى عبارة عن مأمورية معينة محددة المكان والزمان تكون مكتوبة داخل مظروف مغلق موضح فيه طبيعة المأمورية ويكلف المندوب بحمل هذا المظروف وعدم فتحه لأى ظروف أو اعتبارات إلا فى وقت محدد فى مكان محدد.

- تستخدم هذه الوسيلة استنادًا "لقاعدة السرية" وأمن الحفاظ على المأمورية وطبيعتها حتى لا تتسرب أنباؤها فتؤدى ليس فقط لفشل المأمورية كما تؤدى لانتكاسة أمنية ونتائج عكسية.

- وكثير ما تستخدم الأجهزة الأمنية هذا المظروف والمسمى حديثًا "الأوامر المختومة" وفيها يتسلم الضابط مظروف من رئاسته يحدد له فيها مأمورية ضبط أو تفتيش شخص أو مكان معين فى ساعة معينة ولا يطلع أحد على هذا المظروف وتظل المأمورية مجهولة لحين الوقت المناسب لفض المظروف.

- وعادة ما تقوم أجهزة الأمن السياسى بهذه الوسيلة حيث تستصحب معها قوة من الأمن المركزى وضباط المباحث الجنائية وجميعهم لايعلمون بطبيعة المكان أو الشخص المطلوب ضبطه إلا فى توقيت مناسب حتى لايتسرب الخبر سواء بالصدفة أو بالقصد وهو الأمر الذى يؤدى لفشل هذه المأموريات.

- بالإضافة لمهام الأمن السياسى فإن أجهزة مكافحة المخدرات تستخدم أيضًا هذه الوسيلة وأيضًا ما يسمى **بالحملات الأمنية** المكبرة والتى تهدف بلدة معينة بقصد ضبط الخارجين على القانون.

وفى غالبية الأحوال لاتكون هذه المأموريات معروفة إلا لمن يسمى بضابط النشاط المسئول عن المكافحة فى هذا المجال.

- وباستعراض السيرة النبوية نجد أن الرسول - ﷺ - قد استحدث هذا الأسلوب قبل نابليون فى تدميره للأسطول الإنجليزى بالإسكندرية وأيضًا قبل المصريين فى حرب ٦ أكتوبر حيث لم يعلم بساعة الصفر إلا وصول مظروف معين قبل الساعة الثانية ظهرًا والذى حدد لكل ضابط مأموريته.

نجد أن الرسول - ﷺ - نجح فى استنباط ذلك قبل هؤلاء وغيرهم جميعًا مما يدل على ما توافر بما توافر له من حس أمنى عالٍ[١] وذلك على النحو التالى.

•• سرية عبد الله بن جحش

استقر الرسول بالمدينة المنورة بعد هجرته وأذن الله له بالقتال لإعلاء كلمة الإسلام وقد لايعلم البعض أن غزوة بدر لم تكن أول معركة بين الرسول وقريش بل سبقها بعض المناوشات، والتى كان يهدف الرسول من خلالها إشعار العرب بقوة المسلمين ومن جهة أخرى استرداد حقوق المسلمين المهاجرين مع الهدف الأسمى وهو بزوغ دين جديد يهدف لإعلاء كلمة التوحيد.

- كانت البداية حين أرسل الرسول الصحابى[٢] عبد الله بن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين وكلفه بحمل مظروف مغلق لايفتحه إلا بعد مسيرة يومين وفى مكان معين يفتح الكتاب.

- وتنفيذًا لأمر الرسول وبعد مسيرة يومين فتح المظروف فوجد فيه ما يسمى بالتكليفات التالية:

---

(١) لا يمكن إغفال الجانب الإلهى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى(٤)﴾ (سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤).

(٢) كتاب السيرة لابن هشام مع الروض الآنف، جـ ٣، ص ٣٣ وأيضًا الإمام الماوردى ص ١٨ ، ص ٢٤.

(إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة (وادى ناحية بدر بين مكة والطائف)

فترصد بها قريش وتعلم لنا من أخبارها)

- وبتحليل ذلك المظروف يمكن الوقوف على الآتى:

١ - أن المظروف كان مغلقًا حتى لا يتسرب محتواه من المسلمين بحسن نية أو من اليهود أو المنافقين إلى قريش.

٢ - حامل المظروف والذين معه لايعلمون بطبيعة المظروف حتى لايضعف ذلك من عزيمة أحد كما يضمن عدم الثرثرة وهى أمر يؤدى لفشل أية مأمورية.

٣ - سعة معلومات الرسول ﷺ وعلمه بلدة نخلة والتى يمكن من خلالها رصد القوافل المعادية.

وفعلاً كانت رؤية الرسول ثاقبة حيث نزل الصحابة ببلدة نخلة وكمنوا للقوافل ومرت بهم قافلة لعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخيه نوفل وآخرين وقام الصحابة بالاحتيال على قريش من خلال قص شعورهم والإيحاء لهم بأنهم حجاج حتى سنحت لهم فرصة مباغتة القافلة ونجحوا فى ذلك وقتلوا وأسروا عددًا من قريش استولوا على القافلة.

٤ - حين وجه الرسول هذه السرية ولزيادة فى الاحتياط والتمويه فإنه ﷺ أمرهم ظاهريًا بالمسير نحو الشرق بينما كان هدفه الجنوب وهو الأمر الذى وضع بعد مسيرة اليومين ولم تنجح قريش وجواسيسها فى الوقوف على تلك الحملة.

المبحث الثالث : تحليل المضمون (المناقشة/ الاستجواب)

(أ) تحليل المضمون

تحليل المضمون يقصد به فحص أى خبر أو معلومة يمكن من خلالها التوصل لحقيقة وضع معين ومفتاح الوصول لهدف يمكن تحقيقه.

- أصبح تحليل المضمون علم بذاته يدرس فى الأكاديميات ذات الصلة بالدراسات الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية والعسكرية وتكون نتائجه باهرة.

- وفيما يتعلق بالأمن السياسى فيعتبر هذا العلم من أهم العلوم التى تدرس داخل المؤسسات الأمنية وأنشئت له إدارات مستقلة داخلها وفرت لها كافة الإمكانات البشرية والمادية والعلمية ودور هذه الإدارات تحليل أى خبر والوصول به لأن يكون معلومة مؤكدة توضع أمام مصدر القرار حتى يكون ملمًا بكافة جوانبه السلبية والإيجابية.

(ب) المناقشة:

- تعتبر المناقشة إحدى الوسائل الجوهرية التى تعتمد عليها الأجهزة الأمنية.

- وفكرة المناقشة تقوم على خلق حوار عام داخله مجموعة أسئلة محددة يقوم بها رجل الأمن بإلقائها بعفوية ثم يستخلص منها المعلومات المطلوبة أو الجزء الأكبر منها.

ـ والمناقشة لها أصوليات أهمها عدم استخدام العنف بل كلما كان الحوار يسير فى جو هادئ لأفرزت نتائج أفضل وهى هنا تختلف عن الاستجواب والذى يعتمد بدرجة أساسية على استخدام العنف.

ـ يكون للمناقش صفات عديدة أهمها الثقافة - الهدوء - ضبط النفس - القدوة على إثارة المستجوب.

ـ ومن خلال دراسة السيرة النبوية وفحصها بصورة أمنية وجدت أن الرسول ـ ﷺ ـ كان أول من وضع هذه السياسات الأمنية فى مجال المناقشة والاستجواب وأمكن له ـ ﷺ ـ من تحقيق نتائج باهرة ولعل هذه الأمثلة والوقائع يتبين ذلك:

١ ـ واقعة بدر (نموذج عملى)

ـ وردت للرسول عليه الصلاة والسلام معلومات من مصادر متعددة بأن أبا سفيان بن حرب عائد من الشام بتجارة كبيرة ولقناعة الرسول عليه السلام والمسلمين بأن هذه القافلة من أموالهم التى تركوها حين هاجروا للمدينة واستولت عليها قريش ولأن المسلمين فى حاجة إليها لبناء الدولة الجديدة بالإضافة إلى أنها حق لهم.

ـ شعر أبو سفيان بن حرب بتحركات المسلمين للاستيلاء على قافلته من خلال المنافقين واليهود المقيمين بالمدينة فقام الداهية باتخاذ الخطوات التالية:

ـ بتغيير طريقة القافلة بأن اتخذ طريقاً غير مباشر وبعيدًا عن طريق الرسول وصحابته.

ـ أرسل مندوبًا عنه لقريش يبلغهم بأن تجارتهم فى خطر ويستنفرهم لإنقاذها.

- كان الرسول ـ ﷺ ـ حين توجه لاعتراض القافلة غير مستعد للحرب والقتال بل كان يهدف فقط لاسترداد أموال المسلمين ولذلك لم يجبر أحداً من المسلمين للخروج معه.

تصرفات الرسول الأمنية

ولأن رسول الله بفطرته وتأييد الله له يعلم جيداً أهمية المعلومات وأهمية الوقوف على أخبار أعدائه فإنه اتخذ ما يسمى خطة أمنية متكاملة قامت على المحاور التالية:

(أ) محور تأمين

لأن الذين خرجوا مع الرسول كان عددهم قليلاً وغير مستعدين للقتال وكان لدى العرب عادة تتمثل فى وضع أجراس على رقبة الإبل[1] حتى يتعرف بعضهم على مكان بعض ولأن الحاسة الأمنية عالية عند الرسول وحرصاً على أصحابه وتأمينهم فإنه أمر بنزع هذه الأجراس من رقبة الإبل حتى لايتعرف أحد على مكانهم وتحركاتهم.

(ب) محور كيفية الحصول على المعلومات عن قريش

- كان للرسول إدراك بأهمية المعلومات ولذا أرسل عيونه أو ما يسمى بمندوبه[2] للوقوف على أخبار أبى سفيان فكلف كلا من :

١ - الصحابى بسبس بن عبد عمرو الجهينى واختاره الرسول لأنه من خلفاء بنى سعدة وهى من القبائل الموجودة فى هذه المنطقة (حسن اختيار المندوب)

٢ - الصحابى/ عدى بن أبى الزغباء وهو حليف بنى النجار.

وأمرهما بالتوجه لطريق المدينة ومحاولة الوقوف عن أخبار القافلة وفعلاً تغللا فى الصحراء حتى وصلا إلى منطقة بدر[3] وبها بئر بدر وتظاهرا بأنهما يطلبان الماء وأثناء ذلك سمعا النساء اللاتى حول البئر يتحدثون عن قرب وصول قافلة أبى سفيان ولا بد من إعداد الماء اللازم لهم فغادرا المكان بسرعة للرسول لإبلاغه بذلك.

---

(١) سيرة ابن هشام . وكذا حياة محمد د. محمد حسنين هيكل.

(٢) لفظ تداولته الأجهزة الأمنية.

(٣) غزوة بدر الكبرى كتاب غزوات الرسول (حياة محمد د. محمد حسنين هيكل).

ـ وهنا نتوقف لتحليل ذلك بأن أية مأمورية يكلف بها شخص ما لابد أن يتصف بعدة صفات منها الفراسة وحسن التصرف وإدراك أهمية الوقت مع اتخاذ ما يسمى أمنىَ بالكفر[1] اللازم لتغطية المأمورية والتحسب لأى مستجدات.

ونرى أن الرسول ـ ﷺ ـ وفق فى اختيار مندوبيه واللذين نجحا فى اختراق النساء حول البئر تحت مظهر الباحثين عن الماء وهو أمر طبيعى لا يثير أى شكوك.

المعلومات وتحليل المضمون

أولاً: فحص المعلومات:

١- الاستيثاق من المعلومات.

٢- التثبت من المصدر.

٣- قيمة المعلومات ونوعيتها.

ثانياً: تحليل المضمون:

ـ حين علم الرسول من مندوبيه بخبر قرب وصول قريش لبدر فإنه اختار سيدنا أبا بكر وتوجها معًا إلى بدر وكان الرسول يهدف لتحقيق أكثر من أمر:

١ ـ تأكيد المعلومات التى سبق وصولها إليه عن قرب وصول قريش.

٢ ـ الوقوف بنفسه على طبيعة المكان ودراسته جيداً بنظرة الفحص الشخصى.

٣ ـ الوقوف على أى معلومات تساعده فى رسم خطته.

ـ وهنا يكون الرسول قد سبق العديد من القادة فى مجال الأمن حيث يعتمد غالبيتهم على ما يسمى بالتقارير المكتوبة أو المسموعة ولا يحاول بنفسه إلقاء

---

(١) عبد الرؤوف عون (الفن الحربى فى صدر الإسلام)، ص ٢١٥. وكذا سيرة ابن هشام وهو الغطاء الخارجى.

نظرة موضوعية على حقيقة هذا التقرير من الأمر الواقع وهو الأمر الذى يؤدى فى الكثير من الحالات لاتخاذ قرارات خاطئة، كما قد يكون واضع التقرير سواء المكتوب أو الشفهى ليس لديه خبرة أو حس أمنى أو بعد نظر مما يفرز قرارًا غير صحيح.

- اكتفى الرسول بصاحبه/ سيدنا أبى بكر ولم يخبر أحدًا من أصحابه بوجهته حتى لايؤدى لما يسمى بتوتر نفسى نتيجة إحساس أصحابه بعدم وجوده وسطهم ومن جهة أخرى خوفهم عليه وأيضاً لضمان عدم تسرب ذلك لقريش.

- تقابل الرسول مع أعرابى يدعى/سفيان الغمرى[1] ولم يكن يعلم بشخصية الرسول ودار حوار يدل على بعد نظر وحس أمنى عالٍ للغاية وبدأ بسؤال الرسول للأعرابى عن محمد وأصحابه وأين موقعهم فرد الأعرابى بأنه يطلب شخصيتهم ومن محدثه قائلاً (لن أحدثكما حتى أعرف من أنتما) فرد الرسول على سؤاله قائلاً إذا أخبرتنا أخبرناك وهو صواب يدل على حسن اختيار الرد فقال الأعرابى بلغنى أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا فإن صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وحدد منطقة بدر ثم استطرد الأعرابى أما قريش فإن كان الذى حدثنى صادقاً فإنهم خرجوا يوم كذا وبالتالى هم اليوم فى منطقة كذا وحدد اسم المكان الذى فيه قريش ولما فرغ من ذلك سئل الرسول ومن أنتما فرد - ﷺ - نحن من ماء وانصرفا عنه عائدين لأصحابه.

- ورد الرسول - ﷺ - جوابًا صادقًا فهو النبى الذى لايكذب مهما كانت الظروف فحين قال نحن من ماء فكل البشر وهو سيدهم خلقنا الله من ماء وطين ثم انصراف الرسول سريعًا حتى لا يعطى فرصة للأعرابى لسؤاله عن أمور أخرى وهو الأمر الذى يدل على الذكاء والفطنة التى ينبغى أن يتحلى بها رجل الأمن والإدراك بمتى يمكنه إنهاء الحوار.

---

(١) عبد الرؤوف عون (الفن الحربى فى صدر الإسلام) ص ٢١٥. وكذا سيرة ابن هشام وهو الغطاء الخارجى.

أهمية تأكيد المعلومات

لم يكتف - ﷺ - بما حصل عليه من معلومات بل إنه أراد تأكيدها.

فقام بتكليف كلا من:[1]

١ - سيدنا / على بن أبى طالب.

٢ - سيدنا/ سعد بن أبى وقاص.

٣ - سيدنا/ الزبير بن العوام.

ليلتمسوا صحة الخبر عن مكان قريش واستعدادها واستطاعوا الوصول لبئر قريبة من معسكر قريش ووجدا هناك غلامين يقومان بالسقيا فأسروهما وتوجهوا إلى الرسول بهما.

فن المناقشة وتحليل المضمون والاستجواب

لكيفية إدارة المناقشة والوصول من خلالها لمعلومات مؤكدة أو شبه مؤكدة حدث ذلك الحوار بين الرسول الكريم وبين الغلامين الأسيران:

سأل الرسول ما أخبار قريش فردا بأن قريشاً وراء كثبان رملية وسألهم عن عددهم فأجابا بأنهم كثيرون ولايمكن حصرهم وحين سألهم عن عدتهم نفوا معرفتهم بأى شىء وهنا بدأ الرسول فى توجيه المناقشة لجانب آخر وبخاصة أنه شعر أن الغلامين صادقين فى ردهما ولأن عبقريته وحسه الأمنى وقدرته على ما يسمى بتحليل المضمون فقد اتجه ناحية أخرى غير مباشرة وهى ما يعرف "بتحليل المضمون".

فسأل كم ينحر القوم لطعامهم من الإبل يوميًا فرد أحد الغلامين بأن قريشًا تنحر يومًا تسعًا من الإبل ويومًا عشرًا من الإبل فسألهم عن أشراف قريش فأجابا بأنهما شاهدا كلا من حكيم بن حزام وسهيل بن عمرو والحارث بن عامر

---

(١) سيرة ابن هشام. .... حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

وذكروا أسماء أكثر من عشرة من أشراف وكبار قريش فأمر الرسول بحسن معاملتهم مع حبسهما حتى لا يسربوا خبر مقابلته.

ـ ما النتائج التى خرج بها الرسول من هذا الحوار؟ (تحليل المضمون)

أولاً: استطاع الرسول تحديد مكان معسكر قريش بدقة حيث كونهم خلف كثبان رملية ولأن المنطقة صحراوية فإن عنصر الماء هى الحصان الرابح والفيصل بين أى جهتين فى زمن يتحكم فيه الماء فإنه يستطيع ونظرا لطبيعة الصحراء الشديدة الحرارة فإن الإنسان والخيل والإبل تحتاج للماء وهنا بعد أن استشار الرسول أصحابه عن المكان الذى يرابطون فيه انتهى الرأى إلى بئر بدر وهو من العوامل الأساسية لانتصار المسلمين.

ثانياً: كان حديث الرسول ـ ﷺ ـ مع الغلامين الأسيرين بنبرة هادئة وهو الأمر الذى جعلهما يتسابقا فى الإدلاء بما يعرفانه واستطاع الرسول ـ ﷺ ـ من ذلك الوصول للحقيقة عن قريش وقياداتهم.

كيفية تحليل المضمون

١ ـ معرفة عدد المحاربين من قريش بالتقريب شبه المؤكد وذلك أن الرسول حين سأل الأسيرين عن عدد الإبل التى تذبح يومياً قررا أنها تسع فى يوم وعشرة فى يوم ولأن المعروف والمعتاد عند العرب ولخبرة الرسول فى ذلك يعلم أن الناقة الواحدة تكفى ما بين تسعين إلى مائة رجل وبتحليل ذلك يكون عدد المحاربين من قريش ما بين تسعمائة وبين الألف محارب.

٢ ـ تحديد مكان قريش حين سأل الرسول الأسيرين عن معرفتهما بأشراف قريش حددا له أكثر من عشرة من أشرافهم وهو الأمر الذى يعنى أن قريشا جاءت لهدف محدد، ولذا اصطحبوا اشرافهم وقوادهم وهو القضاء على الرسول والمسلمين وهنا قال الرسول كلمته الخالدة (هذه قريش ألقت إليكم أفلاذ أكبادها) وحين قال الرسول ذلك فإنه كان يقصد رفع الروح المعنوية لأصحابه حيث يعلم أن الشخص حين يعرف عدوه فإنه يحتاط له ويتخذ العدة المناسبة للتعامل معه.

- بالإضافة إلى أن هناك ثأرًا قويًا بين المسلمين المهاجرين وبين أشراف قريش الذين أذاقوهم سوء العذاب ولهذا كان معرفة أسماء أشرافهم عاملاً نفسيًا قويًا لصالح المسلمين المهاجرين كى ينتقموا من قريش ويردوا اعتبارهم.

- وبالفعل نجح المسلمون بفضل إيمانهم بالله وبرسوله فى الانتصار الكبير على قريش وكان الفضل فى ذلك للرسول وعبقريته الأمنية ومعلوماته التى تحصل عليها وكان بعضها بمعرفته شخصيًا.

نقطة أخيرة أن الرسول - ﷺ - حين أنهى حواره مع الأعرابى وكان معه سيدنا أبو بكر يوضح أهمية أن يكون المحاور ذا كياسة وفطنة حتى لا يترك لدى محدثه أى شك كما يستطيع أن يتصرف فى أى سؤال وكيفية توجيهه ثم إنهاء الحوار بصورة طبيعية لا تترك أى شكوك لدى محدثه ولم يكذب حين قال إنه من ماء فأصل الإنسان الماء.

الأمر الثانى أن الرسول - ﷺ - حين ناقش واستجوب الصبيان وانتهى لما يريد الحصول عليه أمر بحسن معاملتها وهو ما يسمى أمنيًا **"التحفظ عليهما"** حتى لا يقوما بإخطار قريش بما حدث وهو الأمر الذى قد يؤدى لإفرازات سيئة.

• الباب الثانى

الشائعات

الفصل الأول : (تعريف)

المبحث الأول : تعريف الشائعة مع تأصيلها
في القرآن الكريم

المبحث الثانى : الشائعات فى المرحلة المكية



المبحث الأول : تعريف الشائعة مع تأصيلها
فى القرآن الكريم

● ما الشائعة

كثرت التعريفات حول معنى كلمة شائعة واختلف مدلولها من وقت لآخر ويطلق عليها باللغة العامية (إشاعة).

بالمعنى العامى "الشائعة" هى عبارة عن خبر غير حقيقى يتناوله الناس فى فترة معينة لظروف معينة محيطة بها وهو الأمر الذى يضفى عليها ثوب الحقيقة وأنها أمر واقع فعلاً وهى من أهم أسلحة العالم الأمنى الحديث وقد تؤى لانهيار نظم واختفاء شخصيات محورية كما تؤثر على المجال الداخلى والخارجى لأية دولة.

- الشائعة أصبحت اليوم علمًا كاملاً يدرس على كافة المستويات المختلفة.

- الأكاديميات العلمية وضعت لها ضوابط وأسس وأساليب وأصبح لها متخصصون، ولم تعد تشمل المجال العسكرى كما قد يفهم البعض بل تشمل كافة المجالات الاقتصادية والأمنية والسياسية والإعلامية.... إلخ.

- وعلى ذات الجانب تقوم الأجهزة الأمنية بدراسة الشائعة باعتبارها تؤثر على الأمن القومى بل أيضًا تقوم هذه الأجهزة بتخصيص أقسام لتجميع الشائعات ودراستها وفحصها.

- لم تكتف الأجهزة الأمنية بتتبع الشائعة ودراستها فقط بل تقوم أيضًا فى أوقات مختلفة بخلق الشائعة وإطلاقها وذلك لتحقيق الآتى:

١ ـ هدف معين وقد يكون هذا الهدف تلميع أو إلقاء الضوء على شخص معين وعلى العكس قد يكون الهدف ما يسمى "أمنيًا" بحرق هذا الشخص وهدمه تمامًا أو حتى حول قبول الناس لأمر ما أو شخص ما لتولى منصب معين.

٢ ـ كما قد تتواجد الشائعات فى أوقات عصبية بهدف رفع الروح المعنوية مثلما حدث بعد حرب "١٩٦٧" وشائعة ظهور **السيدة مريم** كناية عن تأييد الله للمصرين عقب النكسة.

تعريفات الشائعة على المستوى العلمى

كما سبق أن أوضحنا فإن تعريف الشائعة أصبح لها مدلولات كثيرة ولعل من أهمها تعريف العالم النفسى/ جولدن البورت وليوبوستمان فى كتابهما المشترك (سيكولوچية الشائعة)[١] بأنها اصطلاح يطلق على رأى موضوعى معين كى يؤمن به من يتلقاه ويسمعه حتى يقوم بنقله بسهولة شفاهة دون أن يتطلب ذلك برهان أو دليل سواء فيه جزء صدق أو كذب.

ـ وقد تنتقل الشائعة عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة من تليفزيون وصحافة... إلخ.

ـ لما كانت الشائعة تتناول موضوعًا معينًا فإن الاهتمام به يكون مؤقتًا وتروج الشائعة فى ظروف ملائمة لموضوعها ثم تنتهى بموتها أو انتهاء الظروف.

ـ الشائعة لم تعد مقصورة على مجال معين أو شخص معين بل أصبحت تمس كافة جوانب المجتمع من فيضانات وكوارث والحوادث والأزمات وكذا الأشخاص من مسئولين وزعماء معارضة وشخصيات فنية وثقافية وقيادات حكومية أو حزبية.... إلخ.

ـ وليس كل الشائعات خيالية فقد تكون كذلك إلا أن غالبيتها يلبس بعض ثوب الحقيقة حتى تؤدى لمصداقية لمن يتلقاها أو يرددها وهو الأمر الذى يسهل انتشارها وتداولها وتحقيق الهدف منها.

---

(١) كتاب سيكولوچية الشائعة / جولدن البورت صدر فى ١٩٨٥

الشائعات فى القرآن الكريم

كان وسيظل القرآن الكريم هو النور الهادى لنا فى كافة مجالات الحياة وحتى فى مجال الشائعات فقد تناولها الله - سبحانه وتعالى - فى العديد من السور لتوضيح مواقف معينة وطبعًا نتناول بعض الأمثلة التى وردت فى القرآن الكريم.

● المثال الأول:

خلق الله تعالى سيدنا آدم وخلق له قبل ذلك كل وسائل الرفاهية والنعم فيما عدا شجرة واحدة أمره الله لحكمة ألا يقترب منها واستجاب سيدنا آدم إلا أن الشيطان والذى كان وسيظل عدوًا للإنسان للأبد أخذ يوسوس لآدم - عليه السلام - بأن أشاع له بأن هذه الشجرة هى شجرة الخلد والملك الأبدى وهو الأمر الذى نجح فيه تمامًا حتى صدق أبونا آدم ذلك وخالف أمر الله تعالى وتناول من ثمراتها.(١)

- لقد كان سيدنا آدم - عليه السلام - ضعيف النفس حين وسوس له(٢) الشيطان بذلك وتقبل هذه الشائعة بأن الشجرة لها سر أبدى عاصيًا أمر الله تعالى ولولا أن تاب الله عليه لكان وكنا معه من الهالكين.

● المثال الثانى:

خلق الله الكون من زوجين سالب وموجب ذكر وأنثى إلخ أن هذه القاعدة أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يعلمنا أن قدرته غير محدودة ولا نهائية ولذا خلق سيدنا آدم بدون أب أو أم وخلق أمنا حواء من سيدنا آدم وخلقنا جميعًا من أب وأم وبقى لاكتمال المربع أن يخلق من الأم دون وجود أب وهو معجزة السيد المسيح - عليه الصلاة والسلام - حيث خلقه الله من السيدة العذراء البتول مريم واصطفاها على نساء العالمين وكان إفراز ذلك السيد المسيح بمعجزاته من كلام وهو طفل وكذا إبراء الأبرص بكلمه وإحياء الموتى وطبعًا كل ذلك بإذن الله تعالى فماذا فعل اليهود أشاعوا الباطل عن السيدة مريم واتهموها بشائعات هى منها

---

(١) سورة مريم.

(٢) الوسوسة أمنيًا تسمى شائعة.

بريئة تمس شرفها وتشكك فى شرعية السيد المسيح فقام الله تعالى بتبرئتها وتفنيد إشاعتهم بل أكد سبحانه وتعالى على طهارتها وعفتها.

● **المثال الثالث : قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ** كان وسيظل سيدنا يوسف عليه السلام يعتبر أو قضية تلفيق أمنى لنبى كريم حفظه الله تعالى فقد أشاع إخوته أن الذئب أكله والذئب من دمه برىء بل لتأكيد شائعتهم أتوا على قميصه بدم كذب كى يؤكدوا بأن الذئب أكله (وهو ما يطلق علميًا إلباس الشائعة ببعض مظاهر الحقيقة).

ـ وفى مرحلة أخرى أشاعت نسوة فى المدينة بأن امرأة العزيز على علاقة مع سيدنا يوسف وهو من ذلك برىء وحتى يعصمه الله طلب منه أن يسجن ليبعده عنهم واستجاب الله لدعاه (سورة يوسف).

● **المثال الرابع : سيدنا سليمان عليه السلام:**

أشاع اليهود عن سيدنا سليمان أنه كفر بالله ـ سبحانه وتعالى ـ ونجاه الله تعالى بأنه لم يكفر وقرر أن الشياطين هم الكفرون.

المبحث الثانى: الشائعات فى المرحلة المكية

مقدمة

نرى أن الشائعات بدأت فى ملاحقة الرسول فور إبلاغه بالرسالة ولم تكن هذه الشائعات تتناوله قبل البعث وكان الكثير من هذه الشائعات تهدف للقضاء عليه وعلى رسالته وكان لهما مرحلتان الأولى:

فى مكة كانت تهدف للنيل منه - ﷺ - وإفقاده المصداقية أمام أهله وأمام العرب الذين يترددون على مكة للحج والتجارة ومن الملاحظ أن الشائعات فى مكة لم تكن تصمد طويلاً ولم تجد الجو المناسب لانتشارها وذلك بعكس المدينة المنورة والتى كان للشائعات فيها نصيب ومجال للترديد ولعل من أسباب ذلك كما سوف نوضح اليهود والمنافقين وهما لم يكن لهما أى دور أو تواجد فى مكة.

الشائعات فى مكة

قام الرسول - ﷺ - بإبلاغ رسالة التوحيد لله تعالى وبالطبع كانت هذه الدعوة بمثابة انفجار فى مكة فقام أشرافها بالتصدى له ولأصحابه واستخدموا فى ذلك أسلوبين:

الأول: التعذيب والتهديد والإرهاب للمسلمين.

الثانى: حرب الشائعات على الرسول وأصحابه.

وبالنسبة للبند الأول فهو معروف ما أصاب الرسول والمسلمين من تعذيب وحصار وضرب وسب وخلافه (ليس ذلك موضوعنا).

- نأتى للبند الثانى وهو الشائعات حيث رأى أشراف قريش أن الأسلوب الأول لم يأت بنتائج إيجابية بل إن عدد المسلمين كان فى تزايد واستمالتهم بدينهم كان أقوى وحبهم لرسولهم فوق أية مهانة أو تعذيب.

وبدأت قريش تدرك مدى أهمية خطر الرسول - ﷺ - حين بدأت دعوته فأخذ طريقها إلى القبائل والعشائر التى تأتى مكة فى أوقات الحج والتجارة وأن دعوته قد يستجاب لها فهنا بدأت حرب الشائعات وذلك على النحو التالى:

● أمثلة لحرب الشائعات:-

١ - شائعة السحر والكهانة والجنون:

- بدأت وفود العرب فى القدوم لمكة فى موسم الحج وهنا اجتمع أشراف قريش ومنهم أبو الحكم بن هشام (أبو جهل) والوليد بن المغيرة وغيرهم وأخذوا يتشاورون فى كيفية إجهاض[1] دعوة الرسول للقادمين وماذا يقولون لهم حتى يكون كلامهم واحداً ولايختلفون أمام هؤلاء الوفود .

- اقترح البعض أن يشيعوا بأن الرسول كاهن فرد الوليد بن المغيرة بقوله إن ما يقوله محمد ليس بزمزمة وسجع الكهان والزمزمة هى الكلام الخفى غير المفهوم أما كلام محمد فهو واضح ومفهوم.

- اقترح آخرون بأن يشيعوا بأن النبى مجنون فرد البعض بأن هذا الرأى ليس بسليم لأن المجنون تصاحبه ظواهر لاتخفى على أحد ومحمد لا يوجد فيه تلك الظواهر.

- أضاف البعض بأن يشيعوا بأنه ساحر فرد الوليد بن المغيرة بأن الساحر يأتى بأعمال وتصرفات لم يفعلها محمد.

---

(١) التعبير الأمنى، ويوازى المواجهة والقضاء على الدعوة.

- اقترح آخرون بأنه ساحر البيان وأن ما يقوله سحر يفرق به بين المرء وزوجه والابن وأبيه والأخ وأخيه والرجل وعشيرته واستندوا فى هذا الرأى بأن مكة المعروف عنها وحدة العشيرة وقوة الرابطة أصبحت معروفة بالتناحر والفرقة والتخاذل.

- إلا أن هذا الرأى أيضًا لم يجد أيضًا قبولاً حيث ردد البعض بأنه كيف نجح محمد فى سحر مجموعة ولم ينجح فى سحر مجموعة أخرى.

وهنا نتوقف قليلاً لنرى أن هذه الأمثلة ينطبق عليها "المبادئ العامة للشائعة" وأنه لابد للشائعة ظل من الحقيقة حتى يمكن تصديقها ومع عدم إغفال الجانب الإلهى نرى أن قريشًا حاولت إشاعة الرسول بأنه ساحر وكاهن ومجنون فلم يجدوا فى هذه الشائعات ما يؤدى لتصديقها لما هو معروف عن الرسول - ﷺ - من صفات وأخلاقيات وتصرفات تجعله بعيدًا تمامًا عن هذه الشائعات وبالتالى لم تلق مجالاً لترديدها أو نجاحها حيث أجهضت بفضل الله تعالى بأية ولسان قائليها ولم تجد لها أى قبول أمام وفود العرب النازحين لمكة للحج والتجارة **سورة الحاقة** "**﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤)﴾**[1].

٢ - شائعة الكذب

أشاعت قريش أنه يدعى كذبًا أنه تلقى وحيًا من الله تعالى إلا أن الرد كان عندهم كيف يكون كاذبًا ولم يسبق أن عرف عنه أنه كذب فى حديث أو وعد وأخلف بل إنه كان يلقب بالأمين وأجهضت هذه الشائعة أيضًا.

٣ - شائعة تلقيه القرآن على يد راهب نصرانى

كان يقطن بالشام وقرب الجزيرة العربية شخص نصرانى يدعى جبرا، وكان الرسول فى بعض الأحيان وأثناء خروجه للتجاره يقابله مع من معه قبل البعثة

---

(١) سورة الحاقة، (الآيات ٤٠ : ٤٤).

وهنا استغل البعض تلك الواقعة وأشاعوا أن الرسول يتلقى عن النصرانى جبرا وهنا الأولى اتباع النصرانية أن كان لا بد من الخروج على دين الآباء والأجداد إلا أن الرسول أتى بشريعة مناهج تختلف تمامًا عن النصرانية ورد الله تعالى مجهضا قولهم .

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١)

إجهاض الله تعالى لشائعتهم كان قاطعًا بأن هذا النصرانى يتحدث بلغة أعجمية فكيف يتلقى منه الرسول ذلك وهو أمى لايقرأ ولايكتب ولايعرف اللغة الأعجمية وأن ما يتلوه عليه السلام بلغة عربية فصحى؟

وهنا نتوقف عن هذه الشائعات التى قررها الله تعالى فى القرآن الكريم لنرى كيف دافع الله تعالى عن رسوله وكان دفاعه من خلال ألسنتهم وقلوبهم ولم تنجح أى شائعة ولم يكتب لها أن تستمر.

٤ ـ شائعة الحبشة

ـ وقبل الانتهاء من المرحلة المكية نتحدث عن شائعة حدثت بالحبشة وكيفية تأثيرها على المسلمين:

ـ أمر الرسول ـ ﷺ ـ أصحابه بالهجرة للحبشة للفرار بدينهم من التعذيب والاضطهاد وحتى يأمنوا قريش ويعبدون الله فى أمان فهاجر فعلاً مجموعة منهم وظلوا هناك لفترة حوالى ثلاثة شهور إلى أن وصلت لأسماعهم شائعة بأن مكة كلها أسلمت وأن قريشًا دخلت فى دين الله ولم يحاول المسلمون التأكد من هذه الشائعة وكان من الممكن ذلك إلا أنهم من فرحتهم عادوا للحاق بالرسول وأصحابه وبالتالى حين وصلوا لمكة وجدوا عدم صحة لهذه الشائعة وعاد القليل منهم للحبشة وبقى أغلبيتهم فى مكة يعانون من إرهاب واضطهاد قريش حتى أذن لهم الرسول بالهجرة للمدينة المنورة.

---

(١) سورة النحل آية ١٠٣.

وهنا نرى أن هؤلاء المجموعة من المسلمين كان يجب عليهم أن يتأكدوا من صحة ما قيل عن إسلام قريش ويرسلوا واحدًا أو اثنين ممن يثقون فى قدراتهم وأمانتهم لتأكيد صحة ذلك من خلال مقابلة الرسول أو أحد أصحابه فإذا وجد هذه الشائعة حقيقية عاد إليهم وأبلغهم وإن رأى عكس ذلك عاد دون أن يشعر به أحد وأكد لهم أن ذلك شائعة.

وكان ذلك سيؤدى لعدم الوقوع بهم مرة ثانية فى أيدى قريش وللأسف هو الأمر الذى حدث وأفرز العديد من المصاعب والكوارث للمسلمين العائدين من الحبشة.

وهنا نرى ضرورة عدم الاستماع للشائعة والتصرف من خلالها دون تأكيدها أو نفيها قد يؤدى إلى آثار عكسية.



الفصل الثانى

مرحلة الشائعات فى المدينة المنورة ونماذج لها

المبحث الأول : شائعة غزوة حنين

المبحث الثانى : شائعة مصرع الرسول فى غزوة أحد (منظور الشائعات)

المبحث الثالث : قضية حديث الإفك



مقدمة

- ومن خلال علم دراسة الشائعات أمكن الوقوف على أن الشائعة تظهر فى مجتمعات القوة أكثر من مجتمعات الضعف لأنه بالطبع القوى لايستطيع أحد أن يتصدى له ومن هنا فإن خصمه يميل فى محاولة للنيل منه لإطلاق الشائعات عليه وفى مجتمع مكة[1] كان محور الشائعات حول الرسول - ﷺ - فقط أما فى مرحلة المدينة المنورة فقد وجدت الشائعات آذانًا تسمعها والسنة ترددها لأن مجتمع المدينة توحد بوجود رجل قوى استطاع بفضل الله تعالى أن يؤلف بين قلوب المسلمين ويجعلهم على قلب رجل واحد ودين واحد.

وهنا لم يستطع اليهود والمنافقون التصدى بصورة مباشرة للرسول - ﷺ - خشية منه فبدءوا فى ترديد الشائعات كلما وجدوا الفرصة متاحة إلا أن الرسول - ﷺ - بما وهبه الله من فطرة وإيمان وحاسة أمنية كانت الشائعة تصل إليه فورا وبعقلية الأمن السياسى (طبعًا دون إغفال الجانب الإلهى) يستطيع إجهاضها فورًا.

ومن استعراض السيرة النبوية أمكن الوقوف على العديد من الشائعات وكيف تصدى الرسول الكريم لها وذلك على النحو التالى:

(١) كلمة أشراف قريش بيدهم زمام الأمور فلم يحتاجوا للشائعات لضعف الرسول والمسلمين وعلى جانب آخر فإن الشائعة فى مكة لم يكن لها مصداقية لما هو معروف عن الرسول عليه السلام.

أمثلة للشائعات المدنية

المبحث الأول : شائعة غزوة حنين

أطلقت العديد من الشائعات البعض منها كان بحسن نية إلا أن غالبيتها كان بسوء نية وبهدف إفساد العلاقة بين المسلمين فيما بينهم.

وكانت حرب هوازن انتصر فيها المسلمين أتبعها شائعة أطلقها بعض الأنصار بحسن نية وكان من الممكن أن تؤدى إلى آثار سلبية لانتصار المسلمين إلا أن سرعة وصولها للرسول وكيفية تصديه لها أجهضتها فورا وهو الأمر الذى لو كان تركها لتسربت للمنافقين واليهود والذين بالتأكيد يتربصون لإحداث الوقيعة بين المسلمين وبين الرسول - ﷺ -.

وللوصول إلى ذلك ينبغى عرض التسلسل كالآتى:

١ - الموضوع ذاته.

٢ - الشائعة التى أطلقت.

٣ - سرعة وصولها للرسول - ﷺ -.

٤ - إجهاضها - الموقف الأمنى من الشائعة.

١ - الموضوع:

عقب انتهاء الرسول من فتح مكة وما حدث فى حصار الطائف عزم الرسول على العودة لمكة للمرة الثانية وأثناء ذلك نزل مع أصحابه فى منطقة تسمى الجعرانة وبدأ الرسول فى توزيع وتقسيم الغنائم وأسرى هوزان على المسلمين.

ـ أثناء ذلك حضر للرسول وفد من هوزان قوامه عشرون شخصًا أعلنوا إسلامهم وطلبوا من الرسول استرداد أموالهم ونسائهم ولأنه ـ ﷺ ـ ليس بجابى غنائم فقد أعادها إليهم بخاصة أن من ضمن الوفد كانت الشيماء بنت الحارث أخت الرسول من الرضاعة.[1]

ـ أعلن الرسول أن مالك بن عوف لو أتى مسلما لرد له ماله وأسراه وزيادة عليه مائة من الإبل وحين علم مالك بذلك حضر للرسول معلنًا إسلامه وقومه فرد عليه الرسول ما أخذه المسلمون ومعه مائة من الإبل التى تعهد بها.

ـ بدأ الرسول فى تقسيم باقى الغنائم وكانت غنائم هائلة وبعد أن حجز الخمس المحدد لله ورسوله أعطى من كان أشد الناس عداوة للإسلام نصيبًا[2] أكبر من غيره من الأنصار والمهاجرين فمثلاً أعطى أبا سفيان بن حرب نصيبه مضافًا إليه مائة من الإبل وكذا الحارث بن كلدة وسهيل بن عمرو ورؤساء العشائر والقبائل ثم أعطى خمسين من الإبل لمن هم أقل شأنا ومكانة وكان ـ ﷺ ـ غاية فى السماحة والكرم فلم يصد أحدًا حتى لو طلب زيادة عما أعطاه الرسول وهو الأمر الذى جعل أعداء الأمس ومسلمى اليوم تنطلق ألسنتهم بالمديح له والثناء عليه ولم يدع أحدًا من أهل مكة ومن حولها ممن أسلموا وله طلب إلا وقضاه له وكان الرسول ـ ﷺ ـ يهدف إلى تأليف قلوبهم وبخاصة أنهم حديثى العهد بالإسلام وهم من أطلق عليهم (المؤلفة قلوبهم)[2].

٢ ـ الشائعات التى أطلقت

إفرازات ذلك:

كما سبق أن أوضحنا اختص الرسول أهل مكة ورؤساء العشار بالنصيب الأكبر من الغنائم وهو الأمر الذى انتشر بين المسلمين المهاجرين والأنصار أما المهاجرون

---

(١) حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

(٢) المؤلفة قلوبهم والذين ودخلوا فى الإسلام أثناء أو بعد فتح مكة.

فلم يلتفتوا لذلك باعتبار أن هذه الغنائم وزعت على أقاربهم وذويهم وكان الأمر يختلف تمامًا بالنسبة لبعض الأنصار حيث دار همس بين بعضهم ثم علا هذا الهمس مرددًا بأن رسول الله أعطى أقاربه وأهله الغنائم ولم يعط للأنصار مثلهم وأنه - ﷺ - سيمكث مع أهله بمكة ويترك المدينة المنورة وبخاصة أن مكة بها بيت الله الحرام الذى يقدرونه ويعظمونه ويعلمون جيدًا مدى تعظيم الله ورسوله لمقامه.

- وهنا أتوقف قليلاً لنرى أهمية ما تردد فنجد أنه فى جزء يتوافق مع الواقع من الناحية الظاهرية فالرسول عليه السلام فتح مكة وأسلم أهلها بل قام بتوزيع الغنائم على كبارهم ورؤسائهم وإذا وضعنا فى الاعتبار أن بيت الله تعالى هو قبلة للمسلمين وهو غاية الرسول من فتح مكة وهدم الأصنام ليصبح ما تردد يصل لمرحلة الحقيقة ونتيجته الظاهرية استقرار الرسول بمكة وسط أهله وعشيرته وعودة الأنصار للمدينة وحدهم، وهو الأمر الذى لو كان قد حدث سيتلقاه اليهود والمنافقون وسيكون مجمل حديثهم أن الأنصار نصروا الرسول على أهله وحين استقر له الأمر تركهم وبالتالى سوف يؤدى ذلك لأثر سيئ فى أوساطهم وإحداث الفرقة حتى بين الأنصار أنفسهم.

٣ - سرعة وصولها للرسول

أهمية وصول الشائعة فى الوقت المناسب:

وصلت هذه الأقاويل (الشائعات) إلى الرسول - ﷺ - من سيدنا عمر بن الخطاب والذى بمجرد أن سمعها وأدرك خطورتها نقلها للرسول. وفى رواية أخرى أن سيدنا سعد بن عباده وهو من كبار الأنصار نقل هذه الشائعات للرسول - ﷺ - حين سمعها من قومه. والأرجح أن سيدنا عمر حين سمع بهذه الشائعات نقلها للرسول عليه السلام ولأنه ذو عقلية أمينة ويدرك جيدًا مدى أهمية ما وصله من سيدنا عمر فإنه قد يكون دعا سيدنا سعد بن عبادة وهو من رؤساء الأنصار واستفسر منه عن صحة ما وصله من ترديدات وأكدها له.

على أية حال فإن الرسول - ﷺ - تأكد من صحة ما يتردد بين الأنصار ولأن له بعد نظر أمنى ورؤية مستقبلية فإنه قد أدرك أن هذه الشائعات قد تؤدى للفرقة والانقسام بين المسلمين من الأنصار وبينهم وبين المهاجرين وكذا المؤلفة قلوبهم مما قد يدفع للأمور إلى فتنة خاصة أن - ﷺ - يدرك جيدًا أن بعض المؤلفة قلوبهم قد يكون على الشرك وإن جاهر بالإسلام.

٤ - كيفية إجهاض الرسول لتلك الشائعات

كيف تصرف الرسول ذو البعد الأمنى وذو القدرة الفائقة الأمنية أرسل لزعيم الأنصار وسيدهم / سعد بن عبادة وطلب منه أن يجمع الأنصار فى مكان محدد وهنا دار حوار على أرقى مستوى بشرى حوار لم تنقصه الروحانيه ولا الواقعية وليس فيه تزايد بل تقرير لأمر واقع فماذا حدث؟

- بدأ الرسول حديثه بالهجوم ثم اللين مخاطبًا العقل والوجدان تساءل عليه السلام قائلاً يا معشر الأنصار مقولة بلغتنى عنكم وحدة وجدتموها فى أنفسكم...؟ ألم أآتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم.

- قالوا بلى يا رسول الله.... قال - ﷺ - ألا تجيبونى يا معشر الأنصار... قالوا بماذا نجيبك ولله ولرسوله المن والفضل.

- هنا بدأ الرسول - ﷺ - مرحلة اللين فقال:

أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم أتيتنا مكذبًا فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريدًا فآويناك وعائلاً فآسيناك. أوجدتم فى لُعاتمة (الشىء اليسير من الدنيا) تآلفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم.

ثم أضاف ألا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون أنتم برسول الله إلى بلادكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ولو سلكت الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

٥ ـ نتيجة ذلك:

ما أن انتهى الرسول من ذلك حتى ارتفعت أصوات الأنصار بالبكاء قائلين رضينا برسول الله قسما وحظًا وبذلك تم إجهاض الشائعة.

تحليل هذه الواقعة (تحليل الشائعة)

على المستوى الأمنى السياسى نحن هنا أمام عدة نقاط:

١ ـ استياء عام فى أوساط الأنصار من توزيع الغنائم على أقارب الرسول وأهل مكة والمؤلفة قلوبهم.

٢ ـ شائعة أن الرسول سيلحق بأهله فى مكة وسيعود الأنصار من دونه للمدينة.

٣ ـ المصداقية بأن بيت الله الحرام فى مكة هو قبلة الإسلام.

ـ الأمر الأول

ـ رسول الله يدرك جيدًا أنه بالرغم من أنه فتح مكة دون سفك دماء وأن أهلها دخلوا فى الإسلام إلا أنه يعلم أن بعضهم لايزال قلبه غير معلق بالدين الجديد لأن حياة العرب كلها تقوم على الغنائم وبخاصة أن أهالى مكة لايعرفون الزراعة أو الصناعة والغنائم هى عماد حياتهم سواء فى أكلها أو التجارة بها أو استخدامها كوسيلة مواصلات ولأن الرسول يرغب فى تقوية نفوسهم وإيمانهم وتثبيت الإسلام فى قلوبهم فإنه يعلم أن مكافآتهم على إسلامهم بتوزيع هذه الغنائم وبخاصة إذا أخذ فى الاعتبار أنه ـ ﷺ ـ لم يأخذ لنفسه شيئًا حتى الخمس المفروضة له من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإنه كان يوزعه على المسلمين.

ـ الأمر الثانى

حين وصلت هذه الشائعات للرسول وتأكد منها لم يطرحها جانبًا، بل تصدى لها وكان أسلوبه فى غاية الحكمة وبعد النظر الأمنى والسياسى حيث كان حواره مبنيًا على مراحل:

١ ـ مرحلة جمع الأنصار فقط دون غيرهم من المسلمين المهاجرين حتى لايترك مجالاً لكلمة أو تصرف قد يكون غير مناسب من (المهاجرين) باطلاع الأنصار على حقيقة الأمر.

٢ ـ كان إجهاضه من خلال حديث مرتب بداهة بالهجوم على الأنصار مقررًا لهم أن الإسلام فضل ونعمة من الله تعالى عليهم حيث جمعهم بعد أن كانوا أعداء وهداهم بعد ضلال كانوا فيه.

٣ ـ تحديد الهدف من توزيع الغنائم

ذكر لهم الرسول السبب الحقيقى فى توزيعه للغنائم على المؤلفة قلوبهم إنه يهدف لتثبيت إيمانهم وأن ما أخذوه هو شىء يسير لايذكر بالنسبة لإسلام وإيمان الأنصار والذى يعلمه جيدًا.

٤ ـ مرحلة الإشادة وتقدير الواقع

ـ تدرج حديث الرسول للإشادة بالأنصار مؤكدًا لهم أنهم أصحاب فضل على المسلمين وعليه شخصيًا ـ ﷺ ـ لأنهم لو قالوا لصدقوا بأن الرسول أتاهم فنصروه ووقفوا معه ثم قام الرسول بتوجيه كلمته الأخيرة مؤكدًا لهم عدم صدق ما ردده البعض بأنه سيمكث فى مكة بل إنه قال لهم إنه منهم وأنه اختار طريقهم وحياتهم ووطنهم هو وطنه ثم ختم كلمته بأن دعا لهم ولأحفادهم بالرحمة من الله تعالى[١]

النتائج المستخلصة:

ـ قرار رجل الأمن السياسى لابد أن يكون مرتبًا ومدروسًا من كافة جوانبه.

ـ ضرورة التصدى السريع للشائعة لإجهاضها.

ـ كيفية إدارة الحوار بدأ بالشدة ثم اللين إلى الوصول للنتيجة النهائية وهى إجهاض الشائعة بالمنطق والعقلانية والموضوع.

سلامًا عليك يا سيدى يا رسول الله

---

(١) هذا الدعاء يمتد ليشمل أحفاد الأنصار ليوم القيامة.

المبحث الثانى : شائعة مصرع الرسول فى غزوة أحد
(منظور الشائعات)

على المستوى الأمنى ودون الدخول فى جوانب أخرى نرى بحق أن تدرس غزوة أحد باعتبارها أمنيًا قضية تحققت فيها العديد من مبادئ الأمن السياسى ووضح خلالها مقدرة الرسول الأمنية فى مجالات تجنيد المصادر وكذا مجالات الحرب النفسية - تحليل المضمون........................ إلخ.

والتكليفات الأمنية ـ تأكيد المعلومات ـ ردود الفعل مكافأة المصدر ـ الشائعات وكيفية إجهاضها.

ولذا أتناول هذه القضية من خلال تقسيمها بحسب مبادئ الأمن السياسى من حيث الشائعات أما باقى الجوانب الأمنية فسوف يتم إدراجها فى دراسة عن باقى المجالات فى الأمن السياسى ويرجع ذلك لأهمية الشائعات وبخاصة أنها المرة الأولى التى أطلقت فيها شائعة تمس حياة الرسول فى توقيت كان من الممكن لولا قدراته وذكاؤه الأمنى أن تؤدى لإفرازات خطيرة (طبعًا لايمكن إغفال الجانب الإلهى).

ـ دخلت قريش غزوة أحد بحوالى ثلاثة آلاف مقاتل مقابل ستمائة من المسلمين وللأعداد الدقيقة من الرسول فقد رأى ببعد نظرة الأمنى والعسكرى أن يقف عدد حوالى خمسين تقريبًا أعلى الجبل لرمى النبال وأمرهم الرسول بألا يتركوا أماكنهم سواء فى حالة النصر أو الهزيمة إلا بأمر منه مباشرة.

- وبالفعل بدأت المعركة وانتصر المسلمون لقوة عقيدتهم وفر مقاتلو قريش من أمامهم تاركين كل شىء خلفهم كل شىء من إبل وخيل . وحين رأى الرماة ذلك نزلوا لجمع الغنائم مقدرين أن قريشًا هزمت فعلاً وحدث خلاف بين الرماة حيث أصر البعض على تنفيذ أمر الرسول بعدم مغادرة أماكنهم وكانوا حوالى عشرة من المسلمين أما الباقون فتركوا مواقعهم ونزلوا لجمع الغنائم وهنا استغل / خالد ابن الوليد وكان لا يزال على شركه هذه الفرصة ورأى خلفية المسلمين مفتوحة أمامه فجمع بعض أصحابه ودار من خلف الجيش حتى أصبح خلف المسلمين وباغتهم بالهجوم وكانت صيحة خالد بن الوليد لها تأثيرها على الفارين من قريش والذين حين سمعوا صيحته استداروا للخلف وواجهوا المسلمين والذين أصبحوا بين قريش من جهة أمامهم ومن خلفهم خالد بن الوليد وأصحابه.

- فقد المسلمين صوابهم وتوازنهم واندفعوا للفرار والهرب من الموت التأكد من ذلك حيث انعدم الإدراك تمامًا .

- هنا أطلقت قريش أخطر "شائعة" فى تاريخ الرسول وهى أنهم صرعوا الرسول - ﷺ - وهو الأمر الذى أدى لتقوية روحهم المعنوية واندفع فرسانهم وكل منهم يمنى نفسه بأن يمثل بالرسول حتى يكون له الفخر والشرف فى ذلك.

- أدرك القريبون من الرسول - ﷺ - حقيقة الموقف.

وكان من أبرزهم سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا على وسيدنا سعد بن أبى وقاص وغيرهم من الأنصار والذين أحاطوا بالرسول إحاطة السوار بالمعصم للدفاع عنه وحمايته.

- اعتقدت قريش بمصرع الرسول وأخذوا يبحثون عنه بين القتلى.

- رؤية الرسول وتصرفه

رأى الرسول نفسه بين عدد بسيط من المهاجرين والأنصار وأدرك أن الغلبة لقريش ستدفعهم للثأر والبحث عنه للانتقام منه وحين أطلقت شائعة مصرعه

فإنه ببعد نظره أدرك أن قريشًا لو علمت أنه لايزال حيًا لاجتمع فرسانها ناحيته فأمر صحابته بألا يعلنوا عن حياته ويتركوا قريشًا لترديداتها.

ـ نجحت هذه الخطة لفترة ما حيث انشغلت قريش بالبحث عن جثة الرسول وهو الأمر الذى جعله وحوله أصحابه لتغيير مواقعهم حتى يكونوا بعيدين عن أعين وأيدى قريش .

ـ إلا أن أحد الصحابة ويدعى أبا "دجانة"[١] شاهد الرسول من خلال مفرقته فنادى صائحًا فى المسلمين أن الرسول حى وهو الأمر الذى قوى من عزيمتهم وإرادتهم أما قريش فقد فشلت فى اللحاق بالرسول وصحابته.

وهنا يبن كيف يكون القرار فى إجهاض الشائعة سلبيًا أو إيجابيًا بالظهور أو الاختفاء وهذه هى المقدرة الأمنية والرؤية الثاقبة.

---

(١) سيرة ابن هشام.

المبحث الثالث : قضية حديث الإفك[1]

«الشائعة القاتلة»

شائعة قاتلة كادت تؤدى لفتنة كبرى ولولا فضل الله تعالى ورحمته وكفاءة وقدرة الرسول وبصيرته ورؤيته الأمنية لكان لهذا الموضوع شأن آخر.

كلمات معدودة أطلقت ولأنها لا تمس شخصًا عاديًا ولاتمس قائدًا عظيمًا ولاتمس رئيسًا موهوب الجانب بل إنها تمس فى المقام الأول الشرعية للدين الإسلامى وفى المقام الثانى تمس خير البشر وخير من حملته الأرض وكانت هذه الكلمات البسيطة الماكرة لا تمس الرسول فى شأن من شئون أصحابه أو أمر من أمور الدعوة ولا أقرب أقاربه بل إنها تمس شرفه والممثل فى أقرب زوجاته إلى قلبه أم المؤمنين السيدة /عائشة الصديقة بنت الصديق وما يفرزه من نتائج على الدعوة ماهى هذه الكلمات المعدودة وكيف أصبحت فى لحظات شائعة خطيرة ؟ بل كيف وصلت للرسول ؟ وكيف تصدى لها؟؟ وما إفرازاتها؟

- إنها أسئلة وراءها أسئلة وهذه هى الأجوبة:

كان من عادة الرسول الكريم إذا خرج لغزوة ما أن يقرع بين زوجاته ومن خرج سهمها تخرج معه وكان حظ السيدة عائشة فى غزوة "بنى المصطلق" فخرجت معه وعند العودة للمدينة المنورة كانت أم المؤمنين فى هودج على ظهر بعير ولأنها نحيفة وخفيفة فلم يشعر الرجال بثقلها حين ينقلونها إلى ظهر البعير وعند

---

(١) وردت القصة كاملة فى سورة النور.

اقتراب الرسول والصحابة من المدينة أمر بأن يبيتوا الليلة حتى يدخلوا المدينة فى الصباح .

- كانت السيدة عائشة خرجت لقضاء حاجة لها من هودجها وحين أمر الرسول بالاستعداد للرحيل وكان الهودج أمام الخيمة فظن الصحابة أنها داخله فحملوا الهودج لظهر الجمل دون أن يشعروا أنها غير موجودة.

ولما كانت السيدة عائشة تقضى حاجة لها بمكان منعزل فى الصحراء فلم تفطن لحركة خروج الرسول للمدينة وحدث أن انسل عقد من عنقها فأخذت تبحث عن حباته فى وسط الرمل حتى عثرت عليه وحين توجهت لمكان القافلة لم تجد أحدًا أحست السيدة العظيمة بالحزن والخوف لوحدتها وسط الصحراء فلم تشأ أن تترك مكانها اعتقادًا منها أن الرسول والصحابة سيشعرون بعدم وجودها فى الهودج فيعودون لاصطحابها وعلى جانب آخر كيف تسير بقدميها فى الصحراء وهى لاتعرف الطريق وما قد يصادفها من قطاع طرق أو حيوانات متوحشة.

- كان من ضمن الحملة التى كانت مع الرسول - ﷺ - الصحابى/ صفوان بن المعطل السلمى وكان قد تخلف عن الركب لقضاء بعض مصالح له وحين أنهاها أسرع للحاق بالرسول وعند سيره شاهد السيدة/ عائشة بمفردها فى الصحراء وكان يعرفها حيث سبق له أن رآها قبل فرض الحجاب على أمهات المؤمنين فسألها متعجبًا (ظنين رسول الله ما خلفك رحمك الله) فلم ترد عليه فقام الصحابى الجليل وضرب لها بعيره وطلب منها أن تركبه ثم قاد البعير ماشيًا إلى المدينة حيث وصلها صباحًا ثم أوصلها لمنزل الرسول - ﷺ -.

- وإلى هنا فالأمر يبدو طبيعيًا ولاتوجد فيه أية شبهات أو علامات استفهام فالسيدة/ عائشة معروف عنها الطهارة وحسن الخلق والصحابى الجليل معروف عنه الأمانة وحسن الخلق ولم يكن فى ملبس أو مظهر السيدة عائشة ما يثير أى ريبة.. فما الذى حدث؟

- كان للسيدة/ زينب بنت جحش زوج الرسول أخت تدعى حمنة وكانت تعلم كما يعلم الكثيرون منزلة السيدة/ عائشة عند الرسول وهنا بدأ أول انطلاق

للشائعة من باب الغيرة لأختها السيدة / زينب فأشاعت همسًا بوجود علاقة آثمة بين السيدة / عائشة وبين الصحابى الجليل/ صفوان ووجدت عونًا فى ذلك من شاعر الرسول / حسان بن ثابت والذى أخذ ينقل هذه الشائعة والتى ما لبث أن وصلت لمسامع المنافق/ "عبد الله بن أبى" الذى وجد فيها مادة خصبة للثأر لنفسه من الرسول والمسلمين فأخذ يردد هذا الكلام باعتباره حقيقة مؤكدة وبدأ فى ترديده فى أوساط الأوس والذين رفضوه تمامًا إلا أنه لم يمنع من انتشار هذه الشائعة إلى أن وصلت لبعض الصحابة والذين أبلغوها للرسول عليه السلام.

- وبالرغم من قناعة وثقة الرسول بطهارة زوجته إلا أن الشائعة كانت محبوكة ومدروسة بحيث يمكن أن تترك مجالاً للتصديق والشك.

مواجهة الرسول للشائعة وتصديه لإجهاضها

ولأن رسول الله - ﷺ - بشر فإن هذه الشائعة تركت فى نفسه مشاعر شتى وبالرغم من قناعته وثقته فى أم المؤمنين إلا أنه إنسان يفرح ويحزن ويثور لكرامته وكان - ﷺ - يقوم بما يسمى بدراسة الموقف وتحليله وخرج منه بأمرين:

(أ) **الأول:** أن يقوم بتطليق السيدة/ عائشة وسيؤدى ذلك لإفرازات ونتائج سلبية عديدة أقلها تصديق الشائعة وإعطاؤها المشروعية.

وأن اليهود والمنافقين سوف يستغلون ذلك فى نشر الفتن وأحداث الوقيعة بين المسلمين من جهة ومن جهة أخرى فيما بينهم.

أن أهالى مكة وأهل الشرك فى غيرها من البلدان والقبائل سوف يستقبلون ذلك باعتباره هدمًا لشرعية الرسول ما يتبعه من شرعية الدعوة الإسلامى.

(ب) **الثانى:** أن يترك الرسول الأمر على ماهو عليه انتظارًا لأمر الله تعالى ويقوم أثناء ذلك بتحرى الشائعة والتأكد من مصداقيتها وهو الأمر الذى فضله الرسول - ﷺ - وبدأ فى الخطوات الآتية:

١ ـ تجنب السيدة/ عائشة وعدم الحديث معها (تجاهلها تمامًا) وهو الأمر الذى أدركت معه أن هناك أمرًا ما وعليه فقد طلبت من الرسول أن تذهب لمنزل أبيها ووافق الرسول على ذلك.

٢ ـ دعا الرسول أحب الناس إليه لاستشارتهما وهما : ١ـ سيدنا/ على بن أبى طالب.

٣ ـ سيدنا / أسامة بن زيد فقرر الأخير بأن السيدة عائشة لايعرف عنها إلا كل الخير وأن ما دس عليها كذب وباطل.

ـ أما سيدنا/ على بن أبى طالب فقد أشار إلى الرسول بأن يقوم بما يسمى (استجواب) لجارية السيدة عائشة باعتبارها أقرب الناس إليها وأول من يلاحظ عليها أى تغيير ووافقه الرسول على ذلك.

ـ قام سيدنا/ على باستجواب الجارية ثم بلغة الأمن الأمن السياسى "طور استجوابها" حتى تقول الصدق إلا أن الجارية نفت عن السيدة عائشة أى سوء أو شك.

ـ وبقيت المرحلة الأخيرة فى خطة الرسول لحسم هذه القضية ألا وهى ما يسمى بالمواجهة وفعلاً توجه لمنزل الصديق وقال لها (إن كان ما بلغه من قول الناس فاتقى الله إن كنت قارفت سوءًا مما يقولون فتوبى إلى الله وهو يقبل التوبة عن عباده).

ـ كان رد السيدة عائشة حاسمًا حيث قالت للرسول "والله لا أتوب إلى الله فما ذكرت ولئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أننى بريئة لأقولن ما لم يكن ولئن أنكرت لا تصدقونى إنما أقول كما قال أبو يوسف﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾(١).

ـ ولأن الله عليم وسميع وبصير وبحكمته سبحانه وتعالى أراد أن ينهى هذا الكابوس فقد أنزل قرآنا فيه براءة السيدة عائشة (**سورة النور ـ آية ١١**) وقضى تمامًا على هذه الشائعة القاتلة.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٨.

الشائعة تنتشر بسرعة انتشار النار فى الهشيم وما لم يتصدَّ لها أو يتم إجهاضها فإنها تؤدى لإفرازات خطيرة.

- ضرورة تحرى خلفية الشائعة ودراسة أسبابها والظروف التى أحاطت بانتشارها وهو الأمر الذى فعله الرسول - ﷺ -.

- لأهمية ونتائج الشائعة يتم الاستعانة بما يعرف بأهل الخبرة وأهل الثقة للتحرى وإبداء الرأى فيها وكان سيدنا / على بن أبى طالب ابن عم الرسول وزوج ابنته ومن أحرص الناس على شرفه بالإضافة لذلك ما هو معروف عنه من رجاحة العقل والخبرة وكذا سيدنا/ أسامة بن زيد وهو ابن الصحابى الجليل زيد ابن حارثة والوحيد الذى سجل اسمه فى قرآن يتلى ليوم القيامة.

- فن الاستجواب وكيفية تطويره للوصول إلى الحقيقة.

- مرحلة المواجهة سواء مع السيدة/ عائشة أو مع المسلمين حيث إن الرسول فعل ما يسمى "بنشر بيان" يوضح فيه حقيقة الأمر حتى لا تلتبس الأمور حيث خرج يوما للأنصار قائلاً لهم:

(يا أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عنى غير الحق والله ما علمت منهم إلا خيرًا ولم يكتف الرسول بتبرئة زوجته بل تطرق للطرف الثانى حتى يكون البيان كافيًا ومكتملاً فقال - ﷺ -: (ويقولون ذلك لرجل ما علمت منه إلا خَيْرًا وما يدخل بيت من بيوتى إلا معى).

- قام أحد الصحابة من الأوس طالبًا من الرسول أن يأذن له بقتل قائل هذا الحديث وقطع أعناق من يردون ذلك إلا أن الرسول يعلم تمامًا بحنكته الأمينة ورؤيته السياسية إن أسلوب القتل لن يؤدى إلا إلى فتن ومذابح فانصرف عنهم ثم كان نزول الوحى وإجهاض هذه الشائعة والقضاء عليها تمامًا.

المبحث الرابع: شائعة كسوف الشمس

حقًا هو النبى لا كذب هو المصطفى من البشر ابتلاه الله فكان شاكرًا وأعطاه الله فكان حامدًا لم ينس لحظة أنه نبى وأنه مكلف بخير رسالة نزلت على الأرض ولو كان كما يردد بعض المنافقين وبعض المستشرقين أنه يبغى الدنيا ويبغى الخلود لما كان موقفه العظيم فى شائعة تصدى لها وهو فى قمة حزنه الإنسانى فما هى هذه الشائعة وكيف تصدى لها رسول الله؟

فتح الله تعالى على نبيه خير الفتوح وعلت كلمة الوحدانية فى مكة والجزيرة العربية وأخذ سير القبائل من مختلف بقاعها تقدم للمدينة وتعلن إسلامها إما قناعة وإما رهبًا واطمأن رسول الله لنصر الله إلا أن سكنة الحياة لم تصفُ على الدوام فقد مرضت السيدة زينب ابنته وكانت تعانى من حضورها للمدينة للحاق بأبيها وأجهضت أثناء ذلك وترك الإجهاض أثارًا عليها إلى أن توفاها الله تعالى لرحمته وكانت السيدة/ رقية وكذا السيدة أم كلثوم قد توفيتا قبل السيدة زينب وكان حزن الرسول شديدًا حيث لم يبق له إلا السيدة فاطمة الزهراء وكان هذا الابتلاء ثم كان اليسر حيث رزق الله نبيه بسيدنا إبراهيم من أمنا السيدة/ماريا وكان الرسول مشغولاً بالدعوة الإسلامية ونشر مبادئ وقيم الإسلام فلم يشغل نفسه أو يفكر لحظة فى أن يرزق بولد أو ببنت وبخاصة أن الله قد أرضاه من السيدة خديجة بالبنين والبنات (وإن توفوا لرحمة الله على فترات) ومن هنا لم يفكر الرسول فى قضية الإنجاب، ولأن ذلك ليس قصده وهنا أراد الله تعالى أن

يدخل البهجة على رسوله وقد تعدى الستين عامًا فرزقه بولد أسماه/ إبراهيم تيمنا بأبى الأنبياء سيدنا إبراهيم وامتلأ قلب الرسول فرحة وغبطة وأنسا ولمنزلة الوليد الجديد عند أبيه فقد تصدق بوزن شعره على كل مسكين ودفع بمرضعة تدعى/أم سيف لإرضاعه وجعل لها سبقًا من الماعز تستفيد من لبنها وترضع ابنه العزيز.

وكان من فرحة الرسول بولده تردده يوميًا على أمه ثم يأخذ فى الاطمئنان عليه ويلاعبه ويلاطفه وكان قرة عين والده وكان شديد الشبه بالرسول وهو الذى جعل عليه السلام يزداد تعلقًا وحبًا له وكان حب الرسول ليس لغاية أو هدف مثل باقى الناس أن يكون وريثًا له يحمل اسمه ويرثه فى ثروته ويخلد ذكراه بل كان الرسول عليه السلام مدركًا أنه نبى وقال ما معناه (نحن معشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة) إلا أن هذه الحب تعبير عن عاطفة إنسانية فى أسمى معانيها وكاد أن يشب هذا الطفل إلا أن فجأة جاء الابتلاء مرة أخرى حيث مرض سيدنا إبراهيم وهو دون السنتين من عمره ولم يطل المرض فتوفى لرحمة الله تعالى.

وبلغ الرسول الخبر فكان صدمة قاسية له وذرفت عيناه بالدموع حزنًا على فلذة كبده وبلغ إيمانه أنه قال: (تدمع العين ويحزن القلب ولانقول إلا ما يرضى الرب وإنا يا إبراهيم عليك لمحزنون)، ثم أخذ يهون على أم الطفل وتولى بنفسه حمله بين يديه الكريمتين إلى البقيع وتم دفنه هناك.

الشائعة

شاءت إرادة الله تعالى المسيطر لكونه والنافذ أمره أن تحدث فى ذلك الوقت **ظاهرة كسوف الشمس** ورأى المسلمون ذلك فأخذوا يرددون أن الشمس انكسفت لوفاة سيدنا إبراهيم مشاطرة لحزن الرسول والمسلمين وهذه معجزة إلهية أراد الله أن يظهر لنبيه تأييده له (حسبما ردد البعض ذلك).

إلا أن الرسول والرسول الكريم والمنزه عن أى خطأ والعارف بحدوده عند ربه لم يخرجه الحزن عن نبوته وصلته بالله تعالى ولو كان - ﷺ - يستغل الناس وكان

يدعى المعجزات لأنه أو على أقل تقدير لم يعلق عليه إلا أنه قام بجمع المسلمين وخطبهم قائلاً: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد أو حياته فإذا رأيتم ذلك (يقصد ظاهرة الكسوف أو الخسوف) فافزعوا إلى ذكر الله تعالى بالصلاة).

- كان تصرف الرسول الكريم آية عظيمة من نبوته ولو كان بشرًا آخر لاستغل جهل الناس وسذاجتهم وجعل لهذه الواقعة شأنًا يعليه إلا أنه معلم البشرية وفى أشد المواقف الإنسانية لم يقل إلا الصدق والحق.

الحمد لله تعالى الذى شرفنا بهذا النبى الكريم.

المبحث الخامس: أنا النبى لا كذِب أنا ابن عبد المطلب

شائعة مصرع النبى

شائعة انهيار الدعوة الإسلامية وبطلان السحر

كان الرسول - ﷺ - يتعامل مع الأحداث ويتصدى لها ولا يهرب منها أو يتجنبها بل يقف صامدًا متحديًا مواجهًا وذلك فى ميدان المعارك حين يواجه خصومه إلا أن الوضع يختلف تمامًا حين يواجه القائد شائعة ليس لها رأس يطاح بها وليس لها قدمان تقطعان وهنا تظهر عبقرية الرسول وقدرته فى التصدى لهذه النوعية من الشائعات والتى لو تركت لأفرزت أوضاعًا وخلقت مواقف تغير التاريخ ولتأصيل ذلك نوضح الآتى:

- فتح الله تعالى على رسوله مكة وأعليت كلمة الله تعالى وبدأ الاستعداد للعودة للمدينة وأعد المسلمون أنفسهم لذلك.

- هنا وردت معلومات للرسول الكريم أن قبيلة هوازن وهى أحد أكبر القبائل جنوب مكة خشيت من قيام الرسول بغزوهم فبدءوا فى إعداد عدتهم للهجوم عليه قبل أن يصل إليهم وكان كبيرهم يدعى/ مالك بن عوف وهو معروف عنه الذكاء والدهاء فبدأ فى حشد القبائل المتحالفة معه وكذا قام بما يسمى بالحرب النفسية فأمر بإخراج النساء والأطفال مع الجيش حتى يكونوا من خلفه وحتى يدرك المقاتلون أنه لا سبيل أمامهم إلا النصر وإما الهزيمة فسبى نسائهم وأطفالهم وفقدانهم كل شىء.

خطة الرسول لإجهاض ذلك:

(أ) أهمية المعلومات:

وردت معلومات غير متواترة للرسول - ﷺ - عن استعدادات مالك بن عوف ولأنه الرسول العظيم فقد أراد بالتعبير واللفظ الأمنى (أن يؤكد هذه المعلومات) فأرسل أحد مصادره ويدعى/ عبد الله بن أبى حدده بن الأسلمى إلى موقع هوازن وأمره أن يسمع ويرى ما يؤكد أو ينفى هذه الأنباء.

- نجح المصدر فى الوصول إلى مقر هوازن واستطاع أن يمكث فى وسطهم لمدة يومين دون أن يشعر به أحد وعاد للرسول بالمعلومات المؤكدة التالية:

* أن هوازن تعد العدة فعلاً لحرب الرسول وتجهز نفسها لذلك.

* رأى الحشود من مقاتلين وحماسهم.

* أن مالك بن عوف يقوم بما يسمى بالتعبئة النفسية من خلال ضم النساء والأطفال للجيش.

* أن خطته تقوم على أن النصر لمن يبادر بالهجوم.[1]

* استطاع الصحابى الجليل (المصدر) الحصول على خطته وكذا خطة مالك بن عوف حيث جمع الأخير قبيلته وخطب فيهم وكان أهم نقاط خطبته (ما يسمى بالإفصاح عن النوايا)

١ - التقليل من شأن الرسول وجيش المسلمين والتهوين من وضعهم .

٢ - أن الرسول - ﷺ - لم يقاتل فى حرب حقيقية.

٣ - أن الذين هزمهم الرسول أقوامًا لاعلم لهم بالحرب والقتال.

خطة مالك بن عوف

نجح المصدر فى الحصول على خطة مالك بن عوف والمتمثلة فى الجوانب الآتية:

---

(١) نظرية كان يطبقها نابليون بونابرت (خير وسيلة للدفاع الهجوم).

١ ـ تجهيز جيش كامل من المقاتلين.

٢ ـ حشد الثروات من المواشى والإبل المصاحبة للجيش كقوة لهم وسند.

٣ ـ النساء والأطفال يشكلون خلفية وما يسمى بالطابور الخلفى للجيش لتشجيعهم.

٤ ـ ضرورة أن يكون الهجوم من خلالهم مرة واحدة.

٥ ـ أن تكون الضربة الأولى منهم.[1]

خطة الرسول لإجهاض ذلك المخطط. (أهمية المعلومات)

١ ـ حين وضحت أمام الرسول الخريطة الكاملة لوضع عدوه أعد أصحابه لغزو هوازن قبل أن يصلوا إلى جيش المسلمين. (إجهاض خطة الضربة الأولى بحيث يطبقها هو)

٢ ـ أعد الرسول حوالى اثنى عشر ألف مقاتلاً منهم ألفان من الذين أسلموا بعد فتح مكة.

٣ ـ كان هذا الجيش من أكبر الجيوش التى عرفها العرب.

الغرور والثقة المفرطة والتى ظهرت بخاصة فى أوساط المسلمين (الذين أسلموا بعد الفتح) حيث لم يكن إيمانهم كاملاً وظن البعض منهم أن النبى قائد أو زعيم فقط وليس نبيًا.

ومن هنا فقد انتشرت عدة مقولات بين الجيش وهذه الترديدات كانت على النحو التالى:

- قرر أبو سفيان أن ملك محمد بات عظيمًا فرد عليه سيدنا العباس أنها النبوة وليس الملك.
- بعض المسلمين حين رأوا جيشهم بهذه الكثرة ردد أنه لا غالب لهم اليوم.

---

(١) قاعدة الضربة الأولى تحقق النجاح مع أغلب المعارك.

● أضاف البعض لن نغلب لكثرتنا.

- وبدأت روح التخاذل فى صفوف المسلمين نتيجة الثقة المفرطة. وهو الأمر الذى أدركه مالك بن عوف حين وجد الجيش يتقدم فى الوادى باستهتار وغرور فحمل عليهم حملة رجل واحد وقام بتصويب النبال بكثرة لم يرها المسلمون.

- ساد الرعب والفزع بين المسلمين ففر الكثيرون منهم محاولين الهروب لأى مكان.

الشائعات وأهميتها

- لأن جيش المسلمين ضم العديد من المؤلفة قلوبهم والطلقاء من أهل مكة وهؤلاء جميعًا لم يكن إيمانهم مكتملاً فبدءوا فى ترديد الشائعات وكان منها:

١ - مثلاً أبو سفيان بن حرب رَدد لن تنتهى هزيمتهم (المسلمين).

٢ - قال آخر اليوم ندرك ثأرنا من محمد.

٣ - شائعة أخرى بطل السحر اليوم (النبوة).

أخطر شائعة

فى لحظة أطلقت شائعة خطيرة كان من الممكن أن تؤدى إفرازاتها إلى نتائج سلبية على المسلمين بصفة خاصة وعلى الدولة الوليدة بصفة عامة ألا وهى أن الرسول - ﷺ - قُتِل ولنا أن نتصور كيف يكون وقع هذه الشائعة على المهاجرين والأنصار والذين أفنوا حياتهم وأولادهم ونساءهم لقضية التوحيد. **ومن خلال دراستى لهذه الجزئية أكاد أجزم بأن هذه الشائعة أطلقت من الطلقاء (الذين عفى عنهم الرسول بعد فتح مكة)** والذين انضموا لجيش المسلمين ليس حبًا فى الجهاد وإنما طلبًا للغنائم وخوفًا من الرسول وإذا أخذ فى الاعتبار أن غالبية الطلقاء لاتزال نفوسهم معبأة ضد الرسول والصحابة فبالتأكيد لم يكن هناك بيت من بيوتهم إلا وقد سقط لهم قتيل أو أسير أو جريح خلال معاركهم مع

الرسول وعلى جانب آخر فإن فتح مكة وانتصار الرسول دون إراقة الدماء واستسلام زعمائهم وقادتهم مع ما هو معروف بما يسمى بالهوان فى الاستسلام، وبالرغم من أن الرسول - ﷺ - لم يتكبر أو يسلب أو ينهب أو يتعرض لكرامة أحد بل أمر المسلمين بعدم التعدى بأية صورة من الصور على أهالى مكة المستسلمين. ولا ينيسى التاريخ أن يحدثنا أن أحد قواد المسلمين والذى كان من الأنصار ويحمل لواء المسلمين فى أحد جوانب دخول مكة قال كلمة أدت لعزله حين قال «**اليوم يوم الملحمة اليوم تذل قريش**» فما كان من الرسول الكريم إلا قام بنزع اللواء منه ولقدرته وقوة بصيرته أعطى اللواء لابنه مضيفًا «**اليوم يوم المرحمة**».

- كان هذا الجانب لا بد من إبرازه لتوضيح أن الرسول - ﷺ - لم يهن أحدًا بأية صورة كما لم يسمح لأحد من أصحابه بأى إهانة حتى ولو كانت كلمة بسيطة فى حق أهل مكة.

- إلا أن بعض النفوس غير المكتمل إيمانها استغلت ذلك الموقف وبخاصة حين رأت هروب جيش المسلمين أن أطلقت شائعة مصرع الرسول - ﷺ -.

إجهاض الرسول لهذه المكائد

- كان الرسول - ﷺ - بمؤخرة الجيش حيث باغت مالك بن عوف جيش المسلمين وشاهد انسحاب وهروب المسلمين.

- قام - ﷺ - بالانتقال سريعًا لمقدمة الجيش وقام الصحابة من المهاجرين والأنصار بالالتفاف حوله وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم.

- أدرك الرسول أن إشاعة مصرعه هى الأساس الذى ينبغى مواجهته أولاً ولأنه لاتوجد ميكروفونات صوت فقد نادى الرسول بأعلى صوته (أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب) .

- ولأن سيدنا العباس وكان معروفًا عنه أنه جهير الصوت فقد كلفه الرسول بإذاعة هذا البيان العديد من المرات.

ـ ثم كلفه الرسول بإذاعة بيان آخر هو:

"يامعشر الأنصار الذين آووا ونصروا يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة إن محمداً حى فهلموا ..".

ـ كان لهذه البيانات أثر كبير على نفوس المسلمين الفارين فقد تذكروا بدراً وبيعة الرضوان وفتح مكة.

وهنا كما قلنا دائماً لا ينبغى أبداً إغفال الجانب الإلهى والذى ألقى بسكينته على المسلمين فاهتزت قلوبهم وقويت روحهم وتصايحوا من كل مكان لبيك رسول الله وعادوا لمواقعهم طلباً للنصر أو الشهادة.

ـ كانت هوازن والمتحالفون معهم تركوا عنق الجبل ونزلوا الوادى لتعقب المسلمين وحين ذلك وجدوا أنفسهم أمام المسلمين والعائدين من الفرار وجهاً لوجه وانقلبت المعركة لصالح الإسلام بفضل عبقرية الرسول الكريم وكانت غنائم المسلمين أكثر من اثنين وعشرين ألفاً من الإبل وأربعين ألف شاة وحوالى ستة آلاف أسير غير المنقولات الفضية والذهبية وكان نصراً عظيماً.

• البـاب الثالـث

أساليب عمل الأمن السياسى

الفصـل الأول

مبحث تمهيدى : الاغتيال السياسى

المبحـــث الأول : الاغتيال المعنوى ونماذجه

المبحـث الثانى : الاغتيال المادى



مبحث تمهيدى : الاغتيال السياسى

١ ـ التعريف بالاغتيال السياسى.

٢ ـ الجذور التاريخية والموقف الشرعى.

٣ ـ آليات الاغتيال السياسى.

٤ ـ أنواع الاغتيال.

٥ ـ أهداف الاغتيال.

٦ ـ مخاطر الاغتيالات (رؤية أمنية) على مستوى الرأى العام والدوائر الخاصة والرأى العالمى.

مقدمة

كان الاغتيال السياسى موجودًا منذ نشأة الإنسانية واستخدمه الملوك لاغتيال خصومهم والتخلص منهم، وقد يرى البعض أن الاغتيال السياسى جريمة غير أخلاقية بينما يرى البعض الآخر أنه فى إطار الصالح العام تحت مبدأ **"الغاية تبرر الوسيلة"** فإن الاغتيال لايعد جريمة بل هو وسيلة من وسائل الدفاع عن مصالح عليا للبلاد.

وبعيد عن المناقشة القانونية والإنسانية فإن الاغتيال السياسى موجود بحكم الواقع لأنه مع تكوين الدول والصراع بينهم أفرز هذه الوسيلة باعتبارها عملاً وطنيًا.

- فى هذا الإطار قامت الدول بإعداد الميزانيات السرية الكبيرة للإنفاق على هذه الوسيلة بل يشار إلى أن العالم الحديث أنشأ إدارات أو مجموعة تدخل تحت مسميات مختلفة مثل مجموعة المطاردة - مجموعة التصفية الجسدية تندرج جميعها فى جهاز الأمن السياسى على مستوى كافة الدول أو على أقل تقدير غالبيتها.

- تتكون هذه المجموعة على شكل يختلف من دولة إلى أخرى حسب ظروفها وهى عبارة عن عدد محدود من الأفراد يتمتعون بمهارات فردية عالية وإمكانات جسدية وذهنية على أرقى مستوى.

- يتم تدريب هذه المجموعة على كيفية استخدام الأسلحة والأسلحة البيضاء بل أيضًا السموم.

- تكون هذه المجموعة غير معروفة لزملائهم بل لضرورة السرية واعتبارات الأمن تكون هذه المجموعة معلومة لدى عدد بسيط من قيادات أجهزة الأمن وتكون فى حالة الاستعداد لأى وقت لتنفيذ المهام المكلفة بها المسماه أمنيًا (العمليات القذرة).

- وبالرغم من قيام العديد من الدول بالهجوم والتنديد على ما يسمى بالاغتيال ظاهريًا إلا أن غالبيتها إن لم تكن كلها تكون لديها هذه المجموعة وإن كانت غير معلومة أو ظاهرة ولعله من أبرز الأمثلة الواضحة "إسرائيل" والتى تعتبر الاغتيال وسيلة شرعية للدفاع عن أمنها القومى وما تقوم به من عمليات تصفية لقيادات الثورة الفلسطينية وليس فقط داخل حدودها بل إنها تتعقبهم فى أية دولة من دول العالم بل إنها تستهدف شخصيات قد ترى أنها تمثل خطرًا على أمنها القومى لعل واقعة اغتيال الدكتور "المشد" عالم الذرة النووية أثناء عمله فى بناء المفاعل العراقى خير دليل على ذلك.

أنواع الاغتيال

وهناك نوعان من الاغتيال:

الاغتيال المادى، الثانى الاغتيال المعنوى:

(أ) **الاغتيال المادى:** وهو المعروف بتصفية الشخص جسديًا باستخدام أية وسيلة مثل إطلاق الرصاص ـ السم ـ السلاح الأبيض... وغير ذلك من الوسائل المادية وليس شرطًا أن تترك أثرًا مثل السم ـ الحقن الجرثومية .... إلخ.

(ب) الاغتيال المعنوى ولعل أبرز وسائله الشائعات

هدف الاغتيال: الهدف من الاغتيال بنوعيه المادى والمعنوى إزاحة الشخص المقصود اغتياله عن موقعه الوظيفى أو السياسى وإجباره إما على الاستقالة أو هجر الحياة العامة تمامًا وبذلك يكون الاغتيال قد أدى الغرض منه أما فى حالة إجهاضه فإنه يعتبر شروعًا فى محاولة اغتيال.

ـ مبررات الاغتيال

تلجأ الدول كما سبق أن وضحت لتبرير استخدامها لهذه الوسيلة سواء فى حالة اكتشافها وإجهاضها أو فى حالة نجاحها وإن كان فى الحالة الثانية يكون الجهد الأساسى إخفاء أى آثار أو أدلة تدل على هذه الجريمة .

ويمكن تحديد أهم الاعتبارات فى الآتى فى الاغتيال على النحو التالى:

١ ـ أن الاغتيال بنوعيه وسيلة للدفاع عن الأمن القومى ووجود الدولة مثل إسرائيل..... إلخ.

٢ ـ وجود الشخصية المطلوب اغتيالها (الهدف) وتفاعلها مع المجتمع السياسى يؤدى لإفساد علاقة الدولة إما بمؤسساتها الدستورية والقانونية أو إحداث جفوة بين الدولة ودول أخرى صديقة.

٣ ـ قد يكون الاغتيال لضرب زعماء المعارضة للنظام الحاكم بهدف توطيد أركانه مثل ما حدث مع الزعيم الجزائرى/ أحمد بن بيلا وما يحدث حاليًا فى باكستان.

ـ وبصفة عامة فإن سلاح الاغتيال موجود واقعيًا كوسيلة للدفاع عن الدول وتعتبر من أسلحة الأجهزة الأمنية التى تحقق توطيد النظام وتأمينه.

المبحث الأول: الاغتيال المعنوى ونماذجه

كما سبق أن أوضحت فإن الاغتيال له جانبان الأول معنوى والثانى مادى ولأن الاغتيال المعنوى أصبح الآن علمًا يدرس فى الأكاديميات الأمنية وأصبح له جذوره فى أجهزة المخابرات والأمن فإننا نتناوله فى مرحلة النبوة وهو الجانب المقصود بكتابنا هذا.

تعريف الاغتيال المعنوى

الاغتيال المعنوى مقصود به إزاحة شخص يتبنى قضية أو يتبوأ مركزًا سواء كان وظيفيًا أو سياسيًا· بقصد إحراجة أو إخراجه من الساحة السياسية وهدم فكرته من أساسها وإظهاره أمام مؤيديه وأنصاره بأنه شخص فاسد أو مريض أو جاهل .. إلخ آخره من الصفات التى تفقده مصداقيته أمام أتباعه وبالتالى هدم النظرية أو العقيدة التى كان يتبناها.

من أبرز وسائل الاغتيال المعنوى وإن كانت أهم أساسياته هو" الشائعة" والتى من السهل انتشارها ومن الصعوبة تحديد مصدرها أو تحجيمها.

- من خلال دراسة السيرة النبوية العطرة تبين لى أن الشائعة لعبت دور كبيرًا فى حياة الرسول - ﷺ - وأطلقت العديد من الشائعات ضده سواء فى وجوده بمكة أو المدينة المنورة وكان توفيق الله تعالى السبب الأساسى فى إجهاضها ثم يأتى العامل الإنسانى وهو تصدى الرسول لها بوسائل عملية كانت سببًا كافيًا لإجهاضها.

- ولأهمية الشائعات فقد أفردت لها بابًا خاصًا إلا أننى أتناول هنا الشائعة بوصفها محاولة اغتيال معنوى للرسول - ﷺ -.

أولاً: الاغتيال المعنوى فى مكة

كانت دعوة الرسول - ﷺ - بمثابة بركان انفجر فى مكة أدرك أشرافها أن هذه الدعوة كفيلة بالقضاء على سيادتهم وعلى ملكهم وبالرغم من وسائل التعذيب والتنكيل لصحابة الرسول إلا أن هذه الوسيلة أدت لقوة صمودهم وتمسكهم بدينهم .

- وهنا رأى سادات قريش ضرورة اغتيال الرسول - ﷺ - معنويًا لقناعتهم أنهم فى حالة نجاحهم فإن ذلك سيسقط الأساس الذى يبنى عليه دعوته والرسالة التى أتى بها.

- وكان لقريش وسائلها فى ذلك فقد أدركت أن العرب أهل بلاغة ولهم تذوق فى اللغة وعلى جانب آخر فإن موسم الحج قد اقترب ويأتى فيه القبائل والعشائر لأداء الحج والتبرك بأصنامهم فى الكعبة ودعوة الرسول إلى نبذ عبادة الأصنام مع بلاغة كلامه (القرآن الكريم) بحد تعبيرهم سوف تضيع المكاسب من قريش وتفقد مصداقيتها.

ولأنهم يدركون أهمية الكلمة[1] وأنها من أقوى الأسلحة بل إنه من المعروف أن العديد من الحروب بين القبائل العربية قامت بسبب قيام أحد الشعراء بهجاء قبيلة أخرى أو قيام أحد الفتيان من قبيلة بإلغاء أبيات من الشعر سواء بالإشادة أو الهجاء أدت لتدفق الدماء وبزوغ القبلية العصبية .

- رأى سادات قريش أنه لابد من اغتيال الرسول معنويًا حيث لم يكن لديهم الاستعداد للاغتيال المادى تحسبًا لعصبية الرسول من بنى هاشم وبنى عبد المطلب.

١ - الوسيلة الأولى:

اتفق أشراف قريش على وسيلة يغتالون بها النبى فى أوساط الحجيج القادم من بلاد العرب وكانت الوسيلة الأولى إشاعة بأن ما يقوله سحر يفرق فيه بين

---

(١) كان سوق عكاز يعتبر أول مؤتمر عالمى للفكر والخطابة.

الأخ وأخيه والزوج وزوجته والرجل وقبيلته وطالبوا صبيانهم وبلهاءهم بأن يطلقوا هذا السلاح فى وجه كل قادم لمكة.

- إجهاض الرسول لذلك

والآن قريش تهدف لاغتياله وإظهاره أمام العرب بأنه ساحر، وكان الرد العملى منهم بأن الساحر حين يفرق سحره فإنه يطول الجميع الشريف والعبد والفقير والغنى والقوى والضعيف فكيف يتأتى للنبى الكريم بأن يسحر البعض ولايطول سحره البعض الآخر وبالتالى أجهضت هذه الشائعة.

٢ - الوسيلة الثانية

كانت الوسيلة الثانية لاغتيال الرسول معنويًا إطلاق شائعة "الكذب" وإنه كاذب فى تلقيه الوحى من عند ربه وأن هذا لايتأتى لأشراف العرب فكيف به هو وحده.

خير إجهاض قوله تعالى ما معناه ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(١).

فكان إجهاض الله تعالى من جهة ومن جهة الرسول - ﷺ - فلم يعرف عنه طيلة أربعين عامًا أن كذب على أحد أو أخلف وعوده بل كان يطلق عليه "الصادق الأمين".

٣ - الوسيلة الثالثة للاغتيال المعنوى

كان الرسول - ﷺ - أثناء قيامه بالتجارة لحساب السيدة خديجة (رضى الله عنها) قبل البعثة قد تقابل مع أحد الرهبان وكان يدعى جبرًا وهنا استقبلت قريش هذا الخبر وصبغته فى سلاح فى وجه الرسول فأشاعوا فى الأوساط العربية والتى كانوا يدينون بعبادة الأصنام ولم تكن المسيحية أو اليهودية لها كيان فى مكة وكانت مرفوضة من أهلها وهنا أشاعت قريش أن ما يأتى به النبى ليس

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣١.

بجديد بل هو موجود وله أساسه فى تلقى النبى عن جبر تعاليم المسيحية والتى يحاول محمد - ﷺ - نشرها بين العرب.

- كان الله تعالى له الفضل الأول فى إجهاض هذه المحاولة والتى يعلم - سبحانه وتعالى - أن المقصود بها اغتيال النبى وإظهاره بمظهر المتلقى عن الرهبان إلا أن الرسول أتى بشريعة ومنهاج جديد فأساس المسيحية قائم على عبادة التثليث أما ما يأتى به النبى فهو عبادة الواحد الأحد.

ولإجهاض ذلك تمامًا أوضح الله تعالى أن الحبر جرا كان لسانه ليس عربيًا ولا يعرف النطق بها أما محمد فحديثه بالعربية ومعروف أنه أميًا لا يقرأ ولا يترجم.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾(١) صدق الله العظيم وكذلك فى سورة يوسف ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢).

٤ - الوسيلة الرابعة فى سلاح الاغتيال المعنوى:

أنه مجنون شائعة أطلقتها قريش فى أوساط مكة والمجنون لايجب أن يستمع إليه أحد أو يستجيب له أو يصاحبه وهذا محمد بن عبد الله مجنون والأحرى بالعرب ألا يلتفتوا إليه ولا يستمعوا لما يقرؤه وما يدعيه بأنه قرآن.

كان هذا السلاح من أخطر الأسلحة المعنوية التى لجأت إليها قريش لهدم النبى وهدم رسالته.

إلا أن العرب كان فيهم قوة البصيرة وإن كان لم يتبعوا الرسول لاعتبارات عديدة إلا أنهم أنكروا تمامًا أنه مجنون لأن المجنون يأتى بأفعال غير عقلانية وغير متوقعة وهذا الرجل - ﷺ - لم يشهد أحد بأنه أتى بأى بادرة من بادرات الجنون بل إنه مثال الرجل العاقل المتزن فى حديثه وفى تحركاته وفى تصرفاته

---

(١) سورة النحل: آية ١٠٣.

(٢) سورة يوسف: آية ٢.

تصديقًا لقول الحق فى سورة القلم ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[1].

- فشلت هذه الأسلحة جميعًا فى اغتيال الرسول معنويًا وأجهضت تمامًا وبقى هو الرسول - ﷺ -.

ثانيا: الاغتيال المعنوى فى المدينة المنورة

هل كان سلاح اغتيال الرسول مقصورًا على مكة فقط وهل اكتفت أيدى الشرك والكفر بأن الرسول أصبح فى المدينة المنورة بأنصاره ورجاله بعيدًا عن محاولات اغيتاله على الجانب المعنوى .....؟؟

الراصد للسيرة النبوية جانبًا من رؤية "الاغتيال المعنوى" يرى العديد من الحالات، والتى كانت تهدف لاغتيال الرسول معنويًا وبالتالى فقده لمصداقيته وكان السلاح أيضًا ألا وهو "الشائعة "مثل حديث الإفك وغيره (سبق تناوله فى باب الشائعات).

سلاح الصحابى زيد

فى المدينة المنورة أيضًا أطلق اليهود يساندهم المنافقون سلاحًا فتاكًا لهدم مصداقية الرسول واغتياله معنويًا أمام أهله وأنصاره.

محمد يتزوج زوجة ابنه المتبنى/ محمد يناقض نفسه وتعاليمه كيف يتزوج الرجل زوجة ابنه.

إن الأخلاق العربية الأبية ترفض ذلك تمامًا وترى أن زوجة المتبنى بمثابة الابنة.

محمد - ﷺ - طلق ابنه من زوجته السيدة زينب وتزوجها بنفسه إنه سلاح الغدر تهدف به هذه الألسنة لاغتيال الرسول معنويًا وإظهاره أمام المسلمين وقد

---

(١) سورة القلم الآيتان: ١ ، ٢.

أصبح لهم قوة ولهم كيان بأن النبى الذى تدعون أنه مرسل من الله يخالف النفس البشرية ويخالف تعاليمه والثوابت فى المجتمع القبلى.

بل إن البعض تزايد فى ذلك وأخذ يردد بأن الرسول قد هام حبًا للسيدة زينب حين شاهدها فى أحد المواضع وأخذ يضغط على زيد حتى طلقها ثم زوجها لنفسه.

وكان المنافقون واليهود بهذا السلاح الفتاك يريدون هدم الدعوة من خلال القائم عليها ووجدوا فى ذلك الفرصة السانحة لهم (حسب قناعتهم) وبالطبع هذا السلاح ترك أثرًا لدى الرسول - ﷺ - إلا أنه وهو العليم بربه والمؤمن به يعلم أن الله - سبحانه وتعالى - أراد أن ينهى عقيدة باطلة راسخة لدى العرب ألا وهو ظاهرة التبنى ظاهرها الرحمة إلا أن باطنها هدم للمجتمع من أساسه فكيف يتأتى لرجل أن يتبنى آخر غريبًا عنه ويعطيه اسمه وحسبه بل يكون وريثًا له فى ثروته هل سيكون لذلك مردود أمام باقى الورثة وباقى أهله بالتأكيد كان ذلك هادمًا للعلاقات الإنسانية مخلطًا للنسب متناقضًا مع النفس البشرية السليمة.

وبذلك نجى الله تعالى رسوله بقرآن يتلى ليوم القيامة وصدق حين قال: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾[(١)].

سلاح معنوى آخر

سلاح آخر لاغتيال الرسول وكان اليهود وسيظلون دائمًا يحملون المعاول للإجهاز على الإسلام والمسلمين.

- توجه وفد من اليهود لمكة لإثارتهم ضد الرسول بعد غزوة بدر ومطالبتهم بأخذ الثأر وهنا تساءل بعض أشراف قريش عن صحة دين الرسول وهل هو حق أم باطل.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧.

ـ ماذا كان الرد من اليهود والمفترض فيهم أنهم أهل كتاب وبالرغم من قناعتهم بأن ما جاء به الرسول حق فإنهم قرروا لأهل مكة بأن دين محمد باطل وما جاء به أساطير الأولين وحين استفسروا منهم هل آلهتهم (الأصنام ودا وسواعا ويغوث ونسرا)[1] حق أم إله محمد فرد أهل الكتاب بأن الأصنام خير من إله محمد ودينهم أفضل من دينه.

ـ وبالطبع حين ينطلق هذا السلاح ممن يدعون العلم وأنهم أهل كتاب سماوى يكون له المصداقية فى مجتمع جاهلى ويهدف اليهود لذلك وهم يعلمون أنهم بتصريحهم هذا يبلغون ليس فقط أهل مكة من مشركين وكفار بل إنهم يزعزعون الثقة فى رسالة النبى حتى تهتز أمام أنصاره أيضًا وبالتالى حين يهدم الأساس يهدم القائم عليه وهم لم يستطيعوا أن ينالوا من الرسول فحاولوا النيل من دينه وتعاليمه لإسقاط مصداقيته وبالتأكيد لم يكن لهذا السلاح أى أثر على المسلمين والذين يعلمون جيدًا ألاعيب وحيل اليهود أما أهالى مكة فلم يثبت هذا الكلام أمامهم طويلاً وهم الذين يعلمون صدق النبى.

---

(١) هذه الأصنام بهذه الأسماء كانت زمن سيدنا نوح أما زمن سيدنا محمد فكان اسمها: اللات والعزى ومناة وهبل.

المبحث الثانى: الاغتيال المادى

وضحت فى المبحث السابق نوعًا من الاغتيال وهو الاغتيال المعنوى أما فى ذلك الفصل فسأتناول فيه الاغتيال المادى وهو النوع الثانى أو الأسلوب الثانى من أساليب الاغتيال.

تعريفه

الاغتيال المادى جوهره تدمير الشخص جسديًا بحيث ينتقل من الحياة إلى الموت وبذلك تتهدم النظرية أو المبدأ أو الدين الذى يؤمن به ويروج له.

وسائله

يختلف الاغتيال المادى جذريًا عن الاغتيال المعنوى، فالثانى لا يمس جسد الشخص أما النوع الأول هدفه تمامًا "**قتل الهدف المقصود**" ولن يتأتى ذلك إلا بأحد الوسائل التالية:

١ ـ إطلاق الرصاص عليه.

٢ ـ استخدام السم القاتل ووضعه فى طعامه أو شرابه.

٣ ـ توجيه شخص أو عدة أشخاص لضربه حتى الموت.

٤ ـ اصطناع حادثة مثل صدمه بسيارة أو مركبة ميكانيكية.

٥ ـ إصابته بآلة حادة مثل خنجر أو سكين إصابة قاتلة.

٦ ـ قتله طبيًا من خلال حقنه ملوثة وغير ذلك من الوسائل والتى ليس موضوعنا... إلخ.

والخلاصة أن أية وسيلة مادية تصلح لإزهاق الروح سواء كان مستخدمها فردًا أو مجموعة أفراد.

ـ بتطبيق ذلك نرى السيرة النبوية وقد تعرض الرسول ـ ﷺ ـ لهذا النوع من الاغتيال وإن كان من خلال وسائله المتعارف عليها فى ذلك المجتمع وذات التاريخ كما سوف نوضح ذلك.

الاغتيال فى عهد النبوة

مقدمة

كان ولايزال الاغتيال السياسى سواء بشقيه المادى والمعنوى موجودًا فى الساحة السياسية ولأن ذلك ليس موضوعنا فإننا نتناول الاغتيال فى عهد النبوة.

ـ شهد العهد النبوى أكثر من "١٦" ستة عشر محاولة مادية ومعنوية لاغتيال الرسول ـ ﷺ ـ وكانت كل هذه المحاولات تهدف لغاية واحدة هى إجهاض الدعوة الإسلامية.

اختلفت المحاولات لاغتيال الرسول سواء فى تصنيفها أو أسلوبها إلا أن غايتها اغتيال الرسول لقناعتهم الكاملة بأن الدعوة الإسلامية قائمة على شخص الرسول وباغتياله يؤدى لاختفاء الإسلام.

مصادر الاغتيال

ـ وبرصد المحاولات لاغتيال النبى كان مصدرها:

١ ـ قريش.

٢ ـ اليهود.

٣ ـ بعض الأعراب من القبائل العربية.

كانت دار الندوة هى مقر الحكم لأهالى مكة وسادتها حيث يجتمع فيها أشراف قريش وبطونها لعقد التحالفات والإتفاق على القوافل التجارية وإشهار الزواج وغير ذلك من أمور الدنيا والتى كانت يحتاجها القوم.

نماذج لمحاولات الاغتيال

(أ) المحاولات فى مكة

١ ـ المحاولة الأولى:(١)

اجتمع نفر من أشراف قريش انتهوا بعد العديد من المناقشات لنتيجة مقتضاها أن تركوا الرسول وأصحابه على دعوتهم لأتبعتهم مكة كلها ثم العرب.

ـ انتهى فكرهم إلى أن بنى هاشم وبالرغم من عدم اتباع غالبيتهم للإسلام إلا أنهم يتولون النبى بالحماية انطلاقًا من العصبية القبلية وهى الحكم فى عرف العرب وأن قريشًا لو قتلت الرسول فإن بنى هاشم لن يتركوا ثأرهم وستكون حربًا أهلية بين بطون قريش وبحثوا عن بدائل أخرى ولعله كان أول محاولات اغتيال مادى فى العالم الإسلامى حيث توجه نفر منهم على رأسهم/ أبو سفيان بن حرب وأشراف قريش إلى سند الرسول وعمه أبو طالب وكان العرض الأول متمثلاً فى أمرين إما أن يترك النبى دعوته أو تتركه بنو هاشم لقريش تكفيهم شره.

ـ أبلغهم أبو طالب أنه سيعرض ذلك الأمر على ابن أخيه وحين توجه للنبى وحدثه بمطالب قريش موضحًا له أن قريشًا تتربص به وأنه فى حالة عدم موافقته لهم قد يؤدى ذلك لوقيعة ومشاجرات بين قريش وبنى هاشم وأنه (أبوطالب) قد بلغ به العمر أرذله وصحته أصبحت واهنة فماذا يرى ابن أخيه؟؟

ـ رد الرسول المؤمن بربه بمقولتة المشهورة (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته).

هنا أدرك أبو طالب مدى إيمان وإصرار ابن أخيه فقال له اذهب يا ابن أخى افعل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء تكره أبدًا).

---

(١) سيرة ابن هشام.

- لم يكتف أبو طالب بتأييد ابن أخيه فى دعوته بل إنه تعهد له بألا يسلمه لأعدائه ثم توجه لأشراف بنى هاشم وقص عليهم محاولة قريش وطلب منهم أن يتعاهدوا لحماية ابنهم (النبى الكريم) وأن يمنعوه من قريش فتعهدوا بذلك.

٢ - المحاولة الثانية:[١]

ازدادت قوة الدعوة وبدأت تجذب العديد من الأنصار يومًا بعد يوم وبالرغم من أن غالبيتهم كانوا من العبيد والفقراء والضعفاء إلا أن قوة الإيمان كانت أكبر من أى منصب أو جاه أو مال فشملت الدعوة العديد من أشراف قريش ومنهم/ سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا/ عبد الرحمن بن عوف وغيرهم وهنا كان لقريش ما يسمى بدراسة موقف أيضًا فى دار الندوة حيث اجتمعوا للتشاور وانتهى فكرهم إلى عرض لبنى هاشم وبنى عبد المطلب مضمونه أن يسلموهم النبى فى مقابل أن تسلم قريش لهم شابًا شريفًا قويًا هو عمارة بن الوليد ليفعلوا به ما شاءوا وتفعل قريش بالنبى ما تريد.

- استغرب أبو طالب وهو كبير بنى هاشم هذا العرض متسائلاً بغضب كيف تسلمونى ابنكم أطعمه وأكسوه وأسلمكم ابنى تقتلونه وبذلك أجهضت هذه المحاولة.

٣ - محاولة جماعية لاغتيال الرسول وأصحابه:

ازدادت الدعوة الإسلامية انتشارًا وأصبح صوتها يقلق قريشًا وعلى الرغم من تصديهم للمسلمين سواء بالعذاب والتنكيل والإيذاء إلا أن أصحاب النبى ظلوا على دعوتهم بل وازدادوا إيمانًا ولم تحدثنا كتب التاريخ أو السيرة عن أشخاص ضعفوا أو وهنوا وارتدوا لدين قومهم.

- ظهر عامل قوى لصالح المسلمين بإسلام سيدنا/ حمزة وسيدنا/عمر بن الخطاب.

---

(١) المصدر نفسه.

- فى محاولة جماعية تسمى اليوم أمنيًا (**حصار اقتصادى**) وهو الأمر الذى تلجأ إليه إسرائيل مع الفلسطينين حيث تسد عليهم المعابر وتمنع عنهم وصول الطعام والماء..... إلخ.

- فى دار الندوة اجتمع أشراف قريش وبعد العديد من مشاورتهم اتفقوا على مؤامرة تشترك فيها كل قبيلة وكان أهم بنودها:

- مقاطعة تامة للرسول والمسلمين وعدم الشراء أو البيع معهم.

- عدم الزواج من المسلمين فلا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم.

- مقاطعة تشمل بنى هاشم وبنى عبد المطلب أنصار الرسول.

ولضمان توثيق ذلك فقد تم كتابة هذه الاتفاقية كوثيقة وتم تعليقها بجوف الكعبة حتى ترى الجموع الوافدة لمكة ذلك وتتخذ ذات الموقف.

- كانت قريش تهدف لاغتيال مادى ومعنوى للرسول وصحابته وكان ذلك وسيلة ضغط أيضًا على بنى هاشم لينفضوا عن النبى وكذا عن أصحابه ليتخلوا عنه.

- هدف السلاح هذا الاغتيال المادى، والذى يتمثل فى التجويع ومعنوى فى الضغط على مؤيدى الرسول للتخلى عنه.

- إلا أن هذه الوثيقة كانت بمثابة غباء سياسى من قريش للأسباب التالية:

- وضع الوثيقة فى جوف الكعبة والتى يتردد عليها العرب والذين يحرصون على الطواف بها جعل الغرباء يتساءلون عنها وأسبابها ولم يكن لدى قريش رد منطقى أو موضوعى مما جعل هؤلاء المترددين يتعاطفون مع النبى والمسلمين.

- أدت هذه الوثيقة لخروج الدعوة الإسلامية من النطاق المحلى إلى ما يسمى "بالعالمية" حيث يعود الوافدون لمكة لبلادهم ومعهم القصص والحكايات عما يحدث فى مكة وبالتالى أصبح حديث العرب عن النبى الجديد فى ديارهم البعيدة عن مكة وهو الأمر الذى لم تفطن إليه قريش والتى كانت حريصة على عدم خروج الدعوة خارج حدودها.

- كان الحصار الاقتصادى سببًا أساسيًا فى إجهاضه فقد جعلت الكثير من أشراف قريش بالرغم من تمسكهم بدينهم إلا أنهم بدافع العصبية القبلية ودافع المروءة والقرابة قد شعروا بالعار من أنهم جالسون فى ناديهم ومنازلهم يأكلون ويشربون وذويهم يعانون الجوع وكان ذلك مؤديًا لتعاطف قوى منهم.

- جعل هذا الحصار المسلمين أكثر صلابة وقوة وتمسكًا بدينهم وحبًا فى نبيهم ولم يذكر التاريخ أن أحدًا من هؤلاء ارتد عن دينه بأن تخلى أحد مؤيديه .

إجهاض هذا المخطط

- لاحظ بعض كبار قريش أن الأشهر الحرم على الأبواب ويحضرها وفود كثيرة من العرب لمكة وهنا لابد أن تنتهى هذه الخصومة حتى لا يشاع فى أوساط العرب أن قريشًا تغتال أبناءها بالإضافة لذلك أن الرسول - ﷺ - يستغل هذه الأشهر فى الإعلان عن دينه الجديد ودعوته وهو الأمر الذى لن تستطيع قريش منعه وهنا يكون الخطر الأكبر أن يؤدى ذلك إلى تعاطف العرب مع النبى والمسلمين ويصبح لدعوتهم شأنًا آخر.

بالإضافة لذلك فقد شعر بعض أشرافهم بالمرارة والخزى من أوضاع أقاربهم وذويهم.

- كان ضمن هؤلاء المتعاطفين /هشام بن عمرو وزهير بن أمية والأخير أمه عاتكة بنت عبد المطلب (عمة الرسول) فتحادثا بينهما أن أهلهم محبسون يأكلون حشائش الأرض وهم يتمتعون بأطيب الطعام وفيهم أخوالهم وأولاد عمومتهم لا يجدون إلا حشائش الأرض.

- تعاهدا هذان الرجلان على نقض الصحيفة وتوجها لبنى هاشم وبنى عبدالمطلب طلبًا لمساعدتهم وشد أزرهم وتوجهوا جميعًا للكعبة وأعلنوا رغبتهم فى فك الحصار أمام زعماء قريش ومنهم/ هشام بن عمرو والوليد بن المغيرة والذين رأوا إصرار بنى هاشم على فض الاتفاقية فأدركوا أنهم لو منعوهم ستحدث حرب

أهلية وهنا ظهر العامل الإلهى والمتمثل فى أن الرسول أرسل إليهم أن الصحيفة قد أكلتها جراد الكعبة ولم يبق فيها إلا لفظ الجلالة (باسمك اللهم).

وأرسلوا فعلاً من يرى صحة ذلك وعاد المندوب مقررًا أن الصحيفة أكلها الجراد فعلاً ولم يبق إلا اسم الله وهنا أدرك القوم أنه حان الأوان لفك الاعتصام والحصار عن النبى وأصحابه.

وبالتالى نجا الرسول وصحابته من أكبر مؤامرة من مؤامرات التاريخ لاغتيالهم ماديًا ومعنويًا.

٤ ـ مؤامرة ليلة الهجرة (مؤامرة الاغتيال الكبرى)

من منا لم يسمع أو يقرأ عن هجرة الرسول إلى المدينة وهذه الهجرة وفيها الكثير من الوقائع والأمور التى تشهد ببراعة وذكاء الرسول ـ ﷺ ـ.

ـ كان من ضمن حلقات الهجرة حلقة تعتبر من أهمها وأبرز أحداثها ألا وهى مؤامرة "لاغتيال" الرسول ـ ﷺ ـ بمعرفة أربعين شابًا من خيرة بطون قبائل قريش حسبًا ونسبًا ولم يرصد التاريخ مؤامرة لاغتيال أية شخصية على مدى الأزمان بمثل ذلك حيث اجتمع فيها أشراف القبائل لتحقيق هذا الهدف ولتوضيح خيوط هذه المؤامرة يرى الآتى:

(أ) المؤامرة الأولى

ـ عقب بيعة العقبة الثانية أمر الرسول ـ ﷺ ـ أصحابه بالهجرة للمدينة وكان تكليفاته بأن تكون الهجرة فردية أو نفر قليلاً حتى لا تشعر بهم قريش، ولكن فى بلد مثل مكة والكثير يتحرشون بالمسلمين ويحيط بهم الجواسيس من كل جانب سرعان ما شعرت قريش بذلك مما زادهم تنكيلاً بالمسلمين والتضييق عليهم فى الهجرة وبث عيونها على مخارج مكة وأعدت الكمائن لاعتراض المسلمين الفارين بدينهم وضبطهم.

ـ من خلال ترقب قريش لمحاولات المسلمين لاحظت أن الرسول لم يقم بأية محاولة للهجرة كذلك صاحبه أبو بكر.

ـ كان للبعض قناعة بأن الرسول لن يهاجر للمدينة مرجحين ذلك لسابقة قيام المسلمين بالهجرة للحبشة ولم يهاجر معهم الرسول إلا أن بعض كبارهم كانوا يرون أن الأمر يختلف هذه المرأة استنادًا إلى:

١ ـ هجرة الحبشة كان فيها عدد المسلمين قليلاً.

٢ ـ لم تكن دعوة الإسلام أصبحت معروفة ومشهورة مثلما هى الآن.

٣ ـ أن الإسلام كان من الصعب أو المستحيل أن يجد له مكانًا فى الحبشة لهيمنة الدين المسيحى على أهلها.

٤ ـ المدينة المنورة قريبة عن الحبشة بالنسبة للمسلمين إذ الثانية يقتضى الأمر ركوب البحر وهو أمر لم يكن مشهورًا عند العرب بعكس المدينة المنورة.

٥ ـ بخلاف ذلك فإن غالبية أهالى المدينة وأهم قبيلتين فيها تقبلوا الإسلام بل إنهم تعهدوا بحماية المسلمين المهاجرين.

ـ أن المدينة المنورة تمر عليها قوافل قريش التجارية وفى حالة هجرة الرسول من المؤكد أنهم سيقطعون طريق هذه القوافل وهم لن يجرؤا على فعل ذلك إلا ورسول الله فى وسطهم.

ـ من هنا لهذه الاعتبارات تحسبت قريش لهجرة الرسول وبخاصة أنه أخذ فى الاعتبار أن الغالبية العظمى من مسلمى مكة قد هاجروا للمدينة ولم يبق إلا الرسول وأفراد قلائل.

ـ اجتمعت قريش ورأى بعض أشرافها ضرورة قتل الرسول إلا أن هناك رأيًا آخر رأى أن بنى هاشم وبنى عبد المطلب لن يتركوا هذا الأمر وستكون حرب أهلية بين بطون قريش.

ـ رأى آخر بأن يتم اعتقال الرسول حتى يصاب بالعته أو الجنون ورد على ذلك بأن عشيرته من بنى هاشم وبنى عبد المطلب لن يتركوه لهم.

ـ رأى أن ينفى الرسول خارج مكة إلا أنه رد على ذلك أنه إذا خرج منفيًا لن يعذر أن يجد وسيلة يلحق بها بأنصاره فى المدينة المنورة.

- بعد العديد من المناقشات استقر رأى قريش على تدبير أكبر مؤامرة اغتيال لم يشهدها العالم من قبل ومن بعد وكانت خيوط هذه المؤامرة تتمثل فى الآتى:

- يتم اختيار أفضل وأشجع شاب من كل بطن من بطون قريش ويكون له حسب ونسب ويسلم كل منهم سيفًا بتارًا وكان عددهم حوالى أربعين شابًا .
- يتم تحديد يوم معين يكمن فيه هؤلاء الشباب أمام منزل الرسول.
- زمان التنفيذ عند قيام الرسول لأداء صلاة الفجر.
- يقوم هؤلاء المتآمرون بضرب الرسول ضربة رجل واحد بالأربعين سيفًا فيتفرق دمه بين القبائل ولاتستطيع عشيرته من بنى هاشم وبنى عبد المطلب من حرب هذه البطون كلها ولايجدون أمامهم سوى طلب الدية فتعطى عن طيب خاطر وينتهى أمر الدعوة الإسلامية وتعود السيادة والسلطان لمكة ولقريش.

إجهاض هذه المحاولة

نسى هؤلاء القوم أن محمدًا نبى الله ورسوله وأن الله سبحانه وتعالى عاصم نبيه وحافظه وجاء الملك الكريم سيدنا جبريل فأبلغ الرسول بما انتوته قريش وأبلغه بأمر الله تعالى بالهجرة.

- اتخذ الرسول التدابير اللازمة لمرحلة الهجرة مع صاحبه أبى بكر وقام سيدنا / على بن أبى طالب بالنوم مكان النبى وأعمى الله - سبحانه وتعالى - أبصار قريش وقلوبهم فخرج الرسول سالمًا عافيًا محفوظًا بسلامة الله للمدينة المنورة ناجيًا من أكبر محاولة اغتيال فى العالم.

(ب) المؤامرة الثانية / مؤامرة غار ثور لاغتيال الرسول

- أحداث الهجرة النبوية كان بها مؤامرة ثانية لاغتيال الرسول - ﷺ - وقد غفل عنها بعض الباحثين أو مروا عليها مرور الكرام ولم يعطوها حقها من الدراسة والفحص.

- كانت قريش مصرة على اغتيال الرسول وحين فشلت محاولتها الأولى لاغتياله بمنزله لم تيأس ولم تهن بل إنها رصدت العيون على مداخل ومخارج

مكة وثبت العديد من فرسانها لأعداد ما يسمى (بالكمين) ويشار إلى أن الرسول - ﷺ - لجأ عقب خروجه ومعه صاحبه لغار يسمى (ثور) وهو فى طريق معاكس تمامًا لطريق المدينة.

- قامت قريش بتعقب الرسول فى الطرق التى يمكن أن يلجأ إليها فقامت بما يسمى أمنيًا "بالحملات المستمرة" على الطرق والمغارات إلى أن وصل بعض فرسانها لغار (ثور) حيث وجدوا آثار أقدام وآثار بعير.

- استفسر فرسان قريش من أحد رعاة الأغنام والذى كان موجودًا قرب الغار عن الرسول وصاحبه فأبلغهم أنه لم يشاهد أحد.

وأشار لهم على غار ثور مقرر أنهم قد يجدوا من يبحثون عنه فى هذه الغار إلا أنه استطرد أنه لم يشاهد أحدًا يطرقه منذ زمان فتوجهوا لمدخل الغار .

إجهاض هذه المؤامرة

لا يمكن أبدًا إغفال الدور الإلهى وحفظ الله لنبيه فأرسل جنوده من حمامتين بفم الغار وكذا بيضتين لهما وجند آخر تمثل فى العنكبوت القديم المتهالك وهنا وجدت قريش أنه من المستحيل أن يدخل أى شخص لهذا الغار وإلا طارت الحمامتان وكسر البيض وتهتكت خيوط العنكبوت.

وصدق الله تعالى حين قال :﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[1].

﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

---

(١) سورة يس آية ٩.

(٢) سورة التوبة آية ٤٠.

(ج) المؤامرة الثالثة لاغتيال الرسول/ مؤامرة سراقة بن مالك

رصدت قريش رجالاً لها على مخارج مكة وعلى النقاط الموصلة إلى المدينة وكذا على مداخل مكة وأعدت فريقًا من الاستجواب لمناقشة الداخلين لمكة وسؤالهم عن النبى وصاحبه.

- لم تجد كل هذه المحاولات أية نتيجة فلم تستطع أجهزة الأمن المكية بما فيها من استطلاع وتجسس واستجواب أن تصل لأية معلومات يمكنها أن توصلها للرسول وصاحبه.

- هنا يأتى فصل آخر يوضح أهمية اغتيال الرسول بالنسبة لقريش فمن المعروف أن المجتمع القبلى يعتمد بالدرجة الأولى على "الإبل" فهى سفينة الصحراء من جهة أخرى فإنها وسيلة تكسب من حيث ثمنها يضاف إلى ذلك الاعتماد على لحمها فى الأكل...... إلخ

- للوصول للرسول أعلنت قريش عن مكافأة مالية كبيرة وهى مائة ناقة لمن يأتى بالرسول حيًا أو ميتًا وهكذا نجد أن المائة ناقة تكررت فى السيرة النبوية حيث فدا الله أبا الرسول عبد الله بمائة ناقة واليوم تعلن قريش عن مائة ناقة لمن يأتى بابنه ميتًا أو حيًا فسبحان الله مائة ناقة لإنقاذ أبى الرسول حتى يأتى بالرسول ومائة ناقة لمن يأتى بالرسول ميتًا.

بمقاييس ذلك العصر تعتبر المائة ناقة جائزة غير عادية تغرى الكثير من قريش ومن القبائل العربية التى علمت بهذه المكافأة فخرج الجميع سعيًا للحصول عليها وطمعًا فى اكتسابها.

- ظل الرسول وصاحبه فى الغار لمدة ثلاثة أيام وحين اطمأن من خلال مصادره على أن قريش يئست فى ضبطه خرج من الغار متوجهًا للمدينة المنورة.

- فى اليوم الرابع أو الخامس لمغادرة الرسول الغار، وكان مجلس قريش فى البيت الحرام فوجئ بعض القرشيين بأحد الأعراب القادمين لمكة يبلغهم بأنه شاهد ركبًا من ثلاثة أفراد مروا عليه وأن يعتقد أنهم الأشخاص المطلوب ضبطهم

صدق الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١)

- استمعت هذه المجموعة باهتمام لحديث الأعرابى إلا أنه حدثت مفاجأة فقد قام رجل منهم يدعى/سراقة بن مالك وقد أدرك أن الأعرابى صادق فى أقواله(٢) فأراد أن يحصل على الجائزة الضخمة فقام بتضليل الحاضرين فقال لهم إن هؤلاء الثلاثة الذين يتحدث عنهم الأعرابى هم من أعراب قبيلة عامر ثم انفرد بالأعرابى وأخذ فى" استجوابه" ولما تأكد من صدق قوله وكذا تمكن من معرفة المكان المحدد والموجود به النبى وصاحبه قام بتضليل هذا الأعرابى أيضًا وأوهمه بأنهم ليس من المطلوبين.

- أعد عدته وامتطى جواده وأخذ سيفه وقوسه ثم توجه فى أثر الرسول وصاحبه وحين أصبح الرسول على مرمى بصره إذ بالجواد يكبو مرة ثم مرة وفى المرة الثالثة إذا بالجواد يكبو كبوة عنيفة رمت به على الرمال وهنا فقط أدرك سراقة أن محمدًا هو نبى حقًا وأن العناية الإلهية تحفظه فطلب من الرسول أن يكتب له كتابًا يكون له آية ووعده الرسول بسوارى كسرى وهو الأمر الذى تحقق فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب.

وفى هذه المؤامرة نجد أن الرسول - ﷺ - أسس قواعد أمنية فى عالم الأمن السياسى فى تأسيس مبدأ مهم وهو **التجنيد المزدوج**.

واستقطاب المصدر وتجنيده لصالحه بحيث أصبح سراقه بعد إن كان يرغب فى اغتيال الرسول من أشد أنصاره بل إنه قام بتضليل مجموعة من فرسان قريش قابلهم فى طريق عودته متوجهين فى اتجاه الرسول وصاحبه فأبلغهم أنه بحث عن المطلوبين فى هذه الناحية ولم يجدهم وطلب إليهم أن يسلكوا طريقًا مخالفًا تمامًا وبذلك يكون الرسول نجاه الله من مؤامرة أخرى لاغتياله.(٣)

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٢) المعنى باللفظ الأمنى يقابله كلامه.

(٣) هذه التذكرة مطلوبة لتوضيح أن واقعة نبق منها العديد من المبادئ فى مجال الأمن السياسى ولتأكيد إعجاز الرسول وحسه الأمنى.

(ب) محاولات المدينة المنورة

(غـزوة أحـد)

مؤامرات فى أحد لاغتيال الرسول صلوات الله عليه

مقدمة

غـزوة أحـد من الـغـزوات الـتى لم تـنل حـتى الآن حـقـهـا من الـدراسـات عن إفرازاتها وما تم خلالها فهى ليست معركة حاسمة انتصر فيها الشرك على الإيمان بل إنها كانت درسًا من الله سبحانه وتعالى للمسلمين وخاصة أن بعضهم قد أصابه الغرور بعد غزوة بدر والبعض الآخر قد تصور أنه حقق النصر ولا يعلم أن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء ولعله من الأمور المهمة أن غزوة أحد لم يكن غرض قريش رد اعتبارهم وتوقيع هزيمة بالمسلمين بل إن غايتهم الكبرى كانت اغتيال الرسول لأنهم لديهم قناعة أن حياته عليه السلام هى الضمان للدعوة الإسلامية أما اغتياله فسيعيد كل ما هدم من مقدسات عندهم.

كانت قريش مزودة بعدد ثلاثة آلاف مقاتل ضد ستمائة مسلم سلاحهم الإيمان ودون الدخول فى تفاصيل معركة أحد **والتى ليست مجال اختصاص** فإننى أوضح الآتى:

ـ كانت خطة الرسول ـ ﷺ ـ تعتمد على وجود الرماة، ولذا اختار عددًا من المسلمين قيل إنهم حوالى خمسين وقيل ستين وأمرهم بأن يعتلوا أعلى جبل أحد وحدد لهم مهمتهم فى الرمى فقط وليس لهم أى شأن بما يحدث فى ساحة المعركة.

ـ استجاب الرماة فى بداية المعركة لأمر الرسول وفعلاً بدأت بشائر النصر فما كان من غالبية الرماة إلا أن تركوا مواقعهم قناعة منهم أن الحرب انتهت وأن عليهم أخذ الغنائم مخالفين بذلك أمر الرسول . ثم لاحظ القائد خالد بن الوليد ذلك ووجد أن ظهر المسلمين غير مؤمَّن فأخذ معه مجموعة من الفرسان ودار حول جبل أحد وأصبح خلف المسلمين الذين كان بعضهم يطارد قريشًا والبعض الآخر يبحث عن الغنائم ودارت الدائرة على المسلمين.

المحاولات لاغتيال الرسول:

١ ـ المحاولة الأولى

قام عبد الله بن قميئة الحارثى بالبحث عن الرسول إلى أن شاهده على مقربة فقام برميه بحجر فشج وجهه الكريم ثم أقبل مسرعًا على الرسول مستلا سيفه إلا أن الصحابى الجليل/ مصعب بن عمير تصدى له ونجح عبد الله فى قتل مصعب بن عمير والذى كان حامل الراية للمسلمين وهنا فى ظل الغبار الكثيف مع أصوات السيوف وأنات القتلى والمصابين فقد ظن ابن قميئة أنه صرع الرسول فصرخ بأعلى صوته.. قتلت محمدًا ورب الكعبة وسمع المسلمون ذلك فما كان من بعضهم إلا أن استسلم للاستشهاد وفر البعض الآخر مدركًا أنه لاحاجة للقتال.

٢ ـ المحاولة الثانية

حين سمعت قريش صوت ابن قميئة أزدادوا حماسًا وثقة وتوجه مجموعة من فرسان قريش لمكان الصيحة حتى يتأكدوا من مصرع الرسول ولدى البعض رغبة فى التمثيل بجثته وفوجئوا بالصحابة وقد التفوا حول الرسول ـ ﷺ ـ وأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم فلم تستطع هذه المجموعة شق صفوف المسلمين وانقلبوا راجعين.

٣ ـ المحاولة الثالثة

كانت هذه المحاولة من عتبة بن أبى وقاص وهو شقيق الصحابى الجليل سعد ابن أبى وقاص وكان معروف عنه أنه رامى حجر ماهر فظل يتحين فرصة الهلع

والجزع الذى أصاب المسلمين فقام بتصويب نبلته على رأس الرسول قاصدًا قتله وفعلاً أصابت الرميه وجه الرسول ولقوة الرمية أصاب حجر حلقتين من المغفر الذى يستر وجه الرسول فى وجنته وأدى ذلك لاختلال توازنه - ﷺ - فوقع فى حفرة كانت محفورة لتكون كمينًا وأسرع سيدنا على بن أبى طالب وسيدنا طلحة بن عبيد الله فأخذا بيد الرسول حتى خرج من الحفرة ثم توجهوا جميعًا لأعلى جبل أحد.

٤ - المحاولة الرابعة

أثناء ارتداد الرسول لجبل أحد وحوله بعض الصحابة شاهده الصحابى كعب ابن مالك وعرفه وأدرك أن لايزال حيًا فصاح بأعلى صوته فرحًا يا معشر المسلمين أبشروا رسول الله - ﷺ - حى ولم يقتل فوصلت هذه الصيحة لأسماع فرسان قريش فتوجه ابن أبى خلف ومعه بعض الفرسان لقتل الرسول وكان يصيح (لأن نجا حى لا نجوت أنا) فشاهده الرسول يقترب فأخذ حربة الصحابى/ الحارث بن الصمة وقذفه بها طعنة واحدة جعلته يتقلب وينكفى على حصانه ليعود أدراجه لقريش ومن كانوا معه ويموت قبل أن يصل إليهم.

هيهات هيهات ورب الكعبة يحميه ويحفظه

٥ - محاولة جماعية لاغتيال الرسول

(أ) محاولة عامر بن طفيل وآخرين

سيرة ابن هشام وكتاب "حياة محمد" من أجمل ما كتب وجمع عن السيرة النبوية ومن خلال فحص أوراقها نرى مؤامرة لاغتيال الرسول دبَّرها كلٌّ من:

١ - عامر بن طفيل. ٢ - أربد بن قيس. ٣ - جابر بن سلمى.

- اتفق الثلاث على اغتيال الرسول وحددوا الأدوار على أن يتوجهوا لمقابلة الرسول ليحدثهم عن الإسلام، ثم يقوم عامر بمشاغلة الرسول بالحديث وعند ذلك ينقض صاحباه عليه بالسيف.

- توجه الثلاث للرسول وطلب عامر بن طفيل أن يختلى ومعه صاحباه بالرسول ليحدثه عن الإسلام فرفض الرسول الاختلاء به إلا إذا أعلنوا إسلامهم.

- كانت كلمة السر هى طلب عامر الاختلاء بالرسول وكررها ثلاث مرات وكان ينظر لصاحبيه فيجدهم جالسين دون حركة.

- لم يجد عامر فائدة فقام منصرفًا مهددًا الرسول بأنه سيملى عليه الوادى خيلاً ورجالاً.

- عقب انصرافهم من حضرة الرسول التفت عامر وكله غضب لصاحبيه قائلاً لماذا لم يفعلا ما اتفق عليه فرد أحدهما قائلاً: إننى سمعتك فكنت إذا دخلت بالسيف جاهزًا لا أرى سواك ولا أرى محمدًا وكرر صاحبه ذلك القول.

حقًا إن الله تعالى يحميه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(١)

- بعث الله أحد جنوده بمرض أصاب عامر فى الطريق فمات قبل أن يصل لأهله.

(ب) المحاولات الجماعية لاغتيال الرسول

روى عن عبيدالله عباس رضى الله عنه انه قال:

اجتمعت جماعة من قريش فى الحرم وأخذوا يتحدثون عن ردود فعل الدعوة الإسلامية وما أفرزته من انقسامات فى المجتمع المكى واتفقوا على إنقاذ مكة منه أن يقوموا معًا وقفة رجل على قتله حين يدخل المسجد وعلمت بذلك السيدة/فاطمة فدخلت على الرسول باكية فسألها عما يبكيها فروت له ما سمعته من اتفاق القوم على اغتياله فقام الرسول - ﷺ - فتوضأ، ثم توجه للبيت ونظر لهم وحين رآه القوم خفضت رءوسهم وسقطت رقابهم لصدورهم ولم يستطع أى منهم أن يرفع بصره للرسول فطاف عليهم واحدًا واحدًا ملقيًا فى وجوهم بتراب كان فى قبضته قائلاً شاهت الوجوه.

---

(١) سورة يس: آية ٩.

- أضاف عبد الله بن عباس فما كانت واقعة بدر إلا وقتل كل من ألقى عليه التراب[1]

٦ - المؤامرات الفردية

مؤامرة عمير بن وهب الجمحى[2]

أعز الله الإسلام فى بدر وانتصر الإيمان على الشرك فى أول معركة حربية وهى غزوة بدر وكان لها إفرازات عديدة لعل أهمها انكسار شوكة قريش، والتى شعرت بهوانها وقتل العديد من أشرافها كما أسر الكثيرون من ذوى الحسب والنسب.

- كان من ضمن الأسرى/ وهيب بن عمير بن وهب الجمحى وهو من صناديد قريش ومن بطن من كبار بطونها فى الحسب والنسب ولأنه كان كثير الأولاد إلا أنه كان محدود الثروة.

- أخذ والده/ عمير بن وهب يبحث عن كيفية فك أسر ابنه وكيف يفتديه فاجتمع ذات يوم فى البيت الحرام مع صفوان بن أمية وهو من بطن أمية الذى قتل وأسر منه العديد فى معركة بدر وكان لديه رغبة قوية فى الانتقام من الرسول الكريم .

- استغل الأموى/ صفوان موقف عمير ورغبته فى إنقاذ نجله وأخذ يستحثه لاغتيال الرسول موحيًا إليه بأنه فى حالة نجاحه فإن الدعوة الإسلامية سوف تنهار ويعود جميع الأسرى وتعود السيادة لمكة.

- وعده صفوان فى حالة قتله بأيدى أصحاب النبى فإنه يتعهد له بتسديد ديونه ورعاية وكفالة زوجته وأولاده.

- كانت هذه المؤامرة ثنائية لم يحضرها ثالث وقدم له صفوان سيفًا بتارًا وقام بغسله بالسم حتى يضمن فى حالة اغتيال الرسول أن نجا من القتل فلن ينجو من

(١) سيرة ابن هشام.
(٢) صحيح مسلم.

السم ورسم له خيوط المؤامرة على أن يتوجه للرسول لاستعطافه للإفراج عن نجله ثم استغلال أية فرصة ينفرد به فيقوم بطعنه فى أى جزء من جسمه.

إجهاض المؤامرة

ـ قام عمير متوجهًا للمدينة المنورة وتوجه للمسجد النبوى وحين شاهده سيدنا عمر بن الخطاب علم بفطنته وما كان يعلمه من معلومات عنه أنه غدار ولئيم فتوجه للرسول وأبلغه بمخاوفه وطلب من الصحابة ألا يتركوه ينفرد بالرسول وأن يأخذوا حذرهم منه.

قام سيدنا عمر باصطحابه إلى النبى ممسكًا به خشية غدره فطلب الرسول من سيدنا عمر أن يتركه ثم سأل الرسول عمير عن سبب حضوره فأجابه بأنه جاء يستعطفه فى الإفراج عن نجله وفك أسره.

دائمًا العناية الإلهية

لم يكن سيدنا عمر يعلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أوحى لنبيه بما حدث من اتفاق بين عمير وصفوان بالبيت الحرام والمؤامرة التى أعدت لاغتياله.

ـ قال له الرسول ـ ﷺ ـ :... أنت كاذب إنك جئت لقتلى فقد جلست أنت وصفوان فى الحرم وأخذتما تتذكران موتاكم وأسراكم فى بدر وقلت لولا عيالى ودين علىَّ لخرجت أقتل محمدًا فتعهد لك صفوان بسداد الدين وكفالة أولادك على أن تقتلنى.

ـ ذهل عمير حين سمع ذلك وأدرك تمامًا أنه أمام نبى مرسل من الله ولم يداخله أى شك أن هناك إلهًا سميعًا بصيرًا قادرًا أطلع نبيه على ما حدث ولايعلمه أى شخص.

ـ أعلن عمير إسلامه للرسول وقام الرسول الكريم بفك أسر ابنه وتسليمه له.

قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ صدق الله العظيم[1].

---

(١) سورة المائدة: آية ٦٧.

٧ ـ مؤامرة غوث بن الحارث[١]

عن سيدنا / جابر بن عبد الله أنه قال :

كنا فى غزوة وادى العضاة مع سيدنا الرسول والعضاة هى عبارة عن شجر ذى أشواك وتفرق المسلمون يحتمون من نار الشمس فى ظلها... حدثه رسول الله بأنه كان نائمًا فأتاه رجل أخذ سيف الرسول فاستيقظ فوجدته قائمًا على رأسى والسيف مسلول فى يده وقال للرسول من يمنعك منى الآن.. فقلت يمنعك الله فسألنى ثانية فقلت له يمنعنى الله فإذا بالسيف يقع من يده فأخذته وقلت له من يمنعنى منك الآن فسكت فعفا عنه الرسول وأطلقه.

٨ ـ مؤامرة ابن عسفان

عن سيدنا عبد الله بن عباس أن رسول الله خرج ومعه أصحابه لقتال بعض المشركين فى عسفان وقبل بدء القتال حان وقت صلاة الظهر فقام الرسول ومعه المسلمون لأداء الصلاة وكانت رخصة القصر لم تنزل بعد.

ـ قام المسلمون بالوقوف صفوفًا خلف النبى وصلى بهم إمامًا.

ـ حين شاهد مشركو بنى عسفان ذلك أخذوا يتندرون على صلاة المسلمين، ثم قال بعضهم كانت هذه فرصة الهجوم عليهم وقتل الرسول وقتلهم جميعًا وحين اختمرت هذه الفكرة فى رءوسهم كان المسلمون انتهوا من الصلاة.

ـ رد أحد المشركين بأن لهم صلاة قريبة فى الزمن منها (وهى صلاة العصر) واستعدوا فعلاً وكانت ساعة الصفر هى إقامة الصلاة.

ـ كان الرسول فى حماية الله تعالى وهو عاصمه من الناس فأنزل قوله تعالى[٢]

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُم . . .﴾.

---

(١) غزوة ذات الرقاع.... غزوات الرسول د. محمد حسين هيكل.

(٢) سورة النساء آية ١٠١ : ١٠٣.

وهكذا نجاه الله من مؤآمرة دنيئة كان المشركون سيقومون بها بكل غدر وخسة حين شاهدوا استعداد المسلمين ساعة الصلاة تراجعوا عما كانوا ينتوون فعله.

٩ ـ مؤامرة أبى سفيان لاغتيال الرسول

بالرغم من قرابة أبى سفيان للرسول ـ ﷺ ـ وكان الأولى به أن يناصره أو على أقل تقدير يأخذ موقف الحياد إلا أنه كان من أشد المناهضين لرسول الله وأشد أعدائه فى الهجوم عليه مع التنكيل بالمسلمين وتعذيبهم وكان تاريخه فى محاربة الرسول لا توجد معركة إلا وكان مشتركًا فيها أو قائدًا لجيوش قريش ضد النبى.

ـ اجتمع مع نفر من قريش بدار الندوة بعد غزوة بدر وأخذ يتذكر قتلى وأسرى بدر ثم صاح فجأة ألا يوجد رجل يغتال محمدًا ويريحنا منه ونأخذ ثأرنا منه.

ـ جاءه أحد الأعراب فى منزله وكان قد سمع ببيانه وأبدى استعداده لاغتيال الرسول على أن يوافيه أجره لذلك.

ـ وعده أبو سفيان بمكافأة مجزية ثم أعد له نفقة وبعيرًا وخنجرًا وكلفه بأن يتوجه للمدينة ثم يحاول أن يختلى بالرسول ويطعنه بالخنجر.

ـ طلب منه السرية التامة ولا يتحدث مع أى شخص لحين إتمام هذه المأمورية.

ـ انطلق الأعرابى للمدينة وسأل عن الرسول فأرشده المسلمون للمسجد حيث يتواجد الرسول مع صحابته.

ـ ما أن شاهده الرسول حتى قال لأصحابه إن هذا الرجل يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد.

ـ دخل الأعرابى المسجد وسئل أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال له الرسول أنا ابن عبد المطلب فذهب ينحنى على يد الرسول فجذبه الصحابى أسيد بن حضير من

إزاره فإذا بداخله الخنجر واستأذن الصحابة الرسول فى قتله فصاح الأعرابى (دمى دمى يامحمد فأمنه الرسول على أن يعترف بالحقيقة وفعلاً اعترف بأنه كان آلة فى يد أبى سفيان لاغتيال النبى فعفا عنه الرسول[1].

(١) سيرة ابن هشام.



الفصل الثانى

محاولات اليهود لاغتيال الرسول



١ ـ المحاولة الأولى بالسمِّ (مؤامرة خيبر)

مقدمة

كانت خيبر من أكبر معاقل اليهود فى المدينة المنورة وكان الرسول عقد معهم تحالفًا على حماية المدينة المنورة إلا أنهم غدروا بالرسول بل وحاولوا التحالف مع كسرى الفرس وهرقل الروم لغزو المدينة.

ـ رأى الرسول ـ ﷺ ـ ضرورة تخليص المسلمين من يهود خيبر ثم انتهز ـ ﷺ ـ فرصة عودته من صلح الحديبية فتوجه لغرو خيبر ولم يصحب معه سوى الذين شهدوا صلح الحديبية ثم بدا بالحصار حتى أتم الله فتحها على يد سيدنا الامام على بن أبى طالب.

واضطر اليهود للهجرة للشام وقد ترك ذلك فى نفوسهم المرارة والغل ومحاولة الانتقام من الرسول.

المؤامرة وإجهاضها

ـ قامت يهودية تدعى/ زينب بنت الحارث فى التودد للمسلمين والرسول ولما كانت تعلم حب الرسول للشاة فقد قامت بطهى واحدة ثم قدمتها للرسول وصحابته وكان معه الصحابى/ بشر بن البراء والذى أكل منها أما الرسول ـ ﷺ ـ فقد مضغها ثم لفظها قائلاً إن عظام الشاة أبلغته أنها مسمومة.

- دعى بزينب بنت الحارث وباستجوابها[1] اعترفت بأنها سمت الشاه بقصد اغتيال الرسول نتيجة ما فعله فى قومها مقررة قولها لو كان ملكًا لاسترحنا منه ولو كان نبيًا فسيخبره ربه ويقال أن الرسول عفا عنها ملتمسًا لها ما أصابها من ضرر فى قتل زوجها وأهلها.

- ذكر فى السيرة أن الصحابى/ بشر بن البراء توفى من أثر السم.

٢ - المحاولة الثانية[1] مؤامرة عقبة بن أبى معيط

دائمًا وأبدًا وإلى قيام الساعة اليهود هم اليهود ويهود الأمس هم يهود اليوم وهم يهود الغد يجمعهم هدف واحد هو إجهاض ونسف الإسلام وسوف يظل هذا الهدف الأمل وهذا الحقد فى نفوسهم الغاية ليوم القيامة.

عقبة بن أبى معيط يهودى من صفورية نزح أجداده لجزيرة العرب وعاشوا فيها ووسطهم وكان هذا اليهودى يعلم بأن هناك نبيًا سوف يرسل ولما بعث الرسول علم أنه حق ومن هنا كان هدفه الأول والأخير إيذاء المسلمين وتعذيبهم وتحريض قريش على قتلهم ولم يكتف بذلك بل إنه كان يُحرّضُ قريشا على النبى وبلغ عداؤه للرسول أنه دبر مؤامرة بنفسه لاغتيال الرسول.

يحدثنا يحيى بن عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال:

(أ) كانت قريش تجتمع إما فى دار الندوة أو فى حجر الكعبة وكانوا كلما رأوا الرسول يطوف حول الكعبة أو يصلى يتهكمون عليه ويستهزئون بحركات صلاته أو ما يردد من قرآن وفى إحدى المرات اشتدوا على الرسول - ﷺ - فقال لهم (يامعشر قريش والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح).

أصابت هذه الكلمات القوم بالرعب والخوف وقالوا للرسول انصرف عنا يا أبا القاسم ولما كان اليوم التالى اجتمع هؤلاء النفر فأخذوا فى ترديد ما حدث بالأمس فزادت حمايتهم وزاد حماسهم فما لبثوا أن وجدوا الرسول

---

(١) تعبير أمنى يعنى سؤالها بهدف الحصول على اعتراف.

قادمًا عليهم فانقضوا عليه وهاجموه بالسيف وبأنه يهاجم آلهتهم فما كان من اليهودى/عقبة ابن معيط إلا أن أثار القوم واستفزهم بأن شد الرسول وجذبه من مجمع ردائه وأخذ يستفز قريشا لقتل الرسول وإنهاء رحالة الفوضى فى مكة مقررًا لهم أنه سبب الفرقة بين الأهل وبين العشائر وبالفعل انجذب القرشيون له وأخذوا يتعدون على الرسول بجذب ثوبه وحاول البعض التطاول باليد إلا أنهم فوجئوا بسيدنا أبا بكر يخلى بينه وبينهم ويتصدى لهم قائلاً أتقتلون رجلاً يقول ربى الله مما دعاهم للانصراف عن الرسول.

(ب) قام ذلك اليهودى بمحاولة دنيئة منه خلاف المحاولة السابقة حيث وجد الرسول فى بطن الكعبة يصلى بعد طوافه بالبيت فانتظر حتى سجد الرسول فما كان منه لعنه الله إلا أن ألقى بقدميه على عنق الرسول حتى كاد يقتله لولا أن نجاه الله.

(جـ) مرة أخرى قام اليهودى بقذف النبى برأس شاة مذبوحة على رأس الرسول الكريم بقوة حين كان يؤدى صلاتة إلى أن جاءت السيدة/ فاطمة الزهراء فرفعتها عن رأسه وقامت بغسل رأس الرسول الكريمة وهى تبكى.

- شاء الله تعالى أن يقع هذا اليهودى أسيرًا فى غزوة بدر فأمر الرسول بقتله فصاح مستعطفًا النبى أتقتلنى من دون قريش فرد عليه النبى إنك لست قرشيًا وأنك يهودى من صفورية .

- وهكذا نرى إصرار اليهودى على الفتك بالإسلام ونبى الإسلام إلا أن الله تعالى لهم بالمرصاد.

٣ - المحاولة الثالثة/ مؤامرة بنى النضير

على الرغم من وجود العديد من الروايات عن محاولات اليهود لاغتيال الرسول - ﷺ - إلا أننى لم أسجل فى كتابى هذا إلا الروايات الموثوقة والتى لها سند ووجدت هذه المؤامرة سطرت فى "سيرة ابن هشام" وكذا ابن كثير.

- كان لغزوة أحد العديد من الإفرازات ولعل بعضها تمثل فى استهتار بعض القبائل بالرسول وأصحابه مثل قيام وفد قبيلة بنى هذيل والذين طلبوا من الرسول إرسال وفد ليعلمهم الإسلام ويعرفهم بالقرآن فما كان من هؤلاء إلا أن قتلوا أصحاب الرسول عدا أحدهم استطاع الهرب منهم.

- شجعت غزوة أحد اليهود على إظهار شماتتهم وفرحتهم بما أصاب الرسول والمسلمين ومن هنا فإن الرسول - ﷺ - بفكره السياسى والأمنى رأى أن يجدد عهده مع اليهود من بنى النضير حتى يأمن مصائبهم من جهة وحين واتته فرصة أن أحد المسلمين قتل خطأ رجلين من قبيلة بنى عامر وهم حلفاء لليهود فقد توجه الرسول ومعه بعض الصحابة من المهاجرين والأنصار وكان على رأسهم سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وكان عددهم حوالى عشرة أشخاص وطلب الرسول من اليهود أن يعاونوه فى التأثير على بنى عامر لقبول الدية فى القتيلين.

- رحب اليهود ظاهريًا بالرسول وصحابته وأبدوا استعدادهم للتوسط فى طلبه وأثناء جلوسهم للحوار لاحظ الرسول بفكره الأمنى الثاقب (طبعًا دون استبعاد الجانب الإلهى وحفظ الله له) أن بعض اليهود أخذوا يتهامسون فيما بينهم ثم قام أحدهم ويدعى/ عمرو بن جاش بن كعب بالتوجه لمدخل البيت الذى كان يجلس عليه الرسول وصحابته.

- أعلم الله نبيه أن هذا اليهودى اتفق مع أهله بأن يتوجه لأعلى جدار المنزل الذى يستند إليه الجالسون ثم يقذف الرسول بحجر كبير قاصدًا اغتياله ولأن عدد الصحابة قليل فلن يستطيعوا أن يفعلوا له شيئًا ويقتل الرسول وتنتهى الدعوة الإسلامية.

- إجهاض هذه المحاولة

حين أعلم الله رسوله بخيوط هذه المؤامرة وبإلهام منه - سبحانه وتعالى - قرر الرسول أنه قائم لقضاء بعض شأنه تاركًا الصحابة على أن يعود إليهم ثم توجه عليه السلام للمدينة المنورة بمفرده مجهضًا هذه المحاولة الدنيئة.

- احتار اليهود حيث تأخر الرسول عن العودة فكان رأى بعضهم أن تلقى الحجارة على الصحابة الموجودين ويقتلونهم.

- رأى فريق آخر أن ينتظروا حتى يعود الرسول فيتموا مؤامراتهم.

- حين لم يعد الرسول أدرك اليهود أن الله تعالى فضحهم لرسوله وأدركوا أنهم لو قتلوا الصحابة لكان انتقام الرسول منهم عظيمًا أما لو تركوهم يعودون فإن مؤامرتهم لايمكن فضحها ومن هنا قرر اليهود الأخذ بالرأى الثانى وتركوا الصحابة يغادرونهم دون أى اعتراض.

- توجه الصحابة للبحث عن الرسول فلقيهم أحد المسلمين قادمًا من المدينة فأبلغهم بأنه شاهد - ﷺ - يدخل المدينة المنورة متوجهًا للمسجد ليجدوا الرسول هناك فأبلغهم بمؤامرة اليهود وما انتووًا عمله.

- أعطى الرسول اليهود مهلة عشرة أيام لمغادرة المدينة المنورة وإلا قتلهم كلهم فرفض اليهود فحاصرهم الرسول وأحرق عليهم النخيل وحين وجدوا إصراره ونيته استجابوا لأمره بالخروج تاركين أموالهم وديارهم غنيمة للمسلمين.

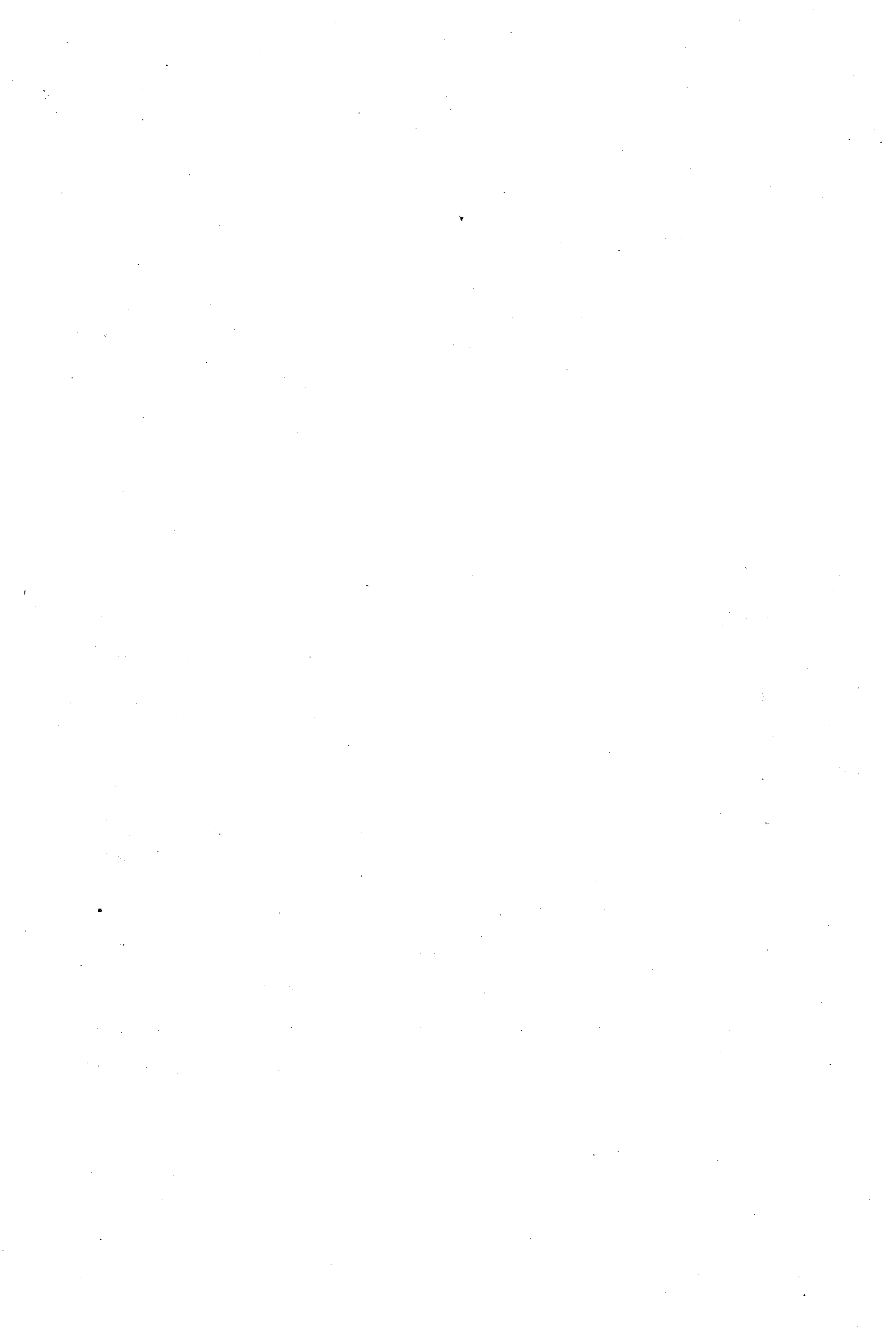


الفصل الثالث

استهداف خصوم الإسلام

المبحث الأول : مبررات استهداف الرسول لخصوم الإسلام

المبحث الثاني : نماذج محاولات الاستهداف



المبحث الأول : مبررات الاستهداف

كما أوضحت فى الباب السابق كيف دبرت العديد من المحاولات لاغتيال الرسول - ﷺ - وقد نجاه الله منها جميعًا وعلى جانب آخر فقد برزت رؤية أخرى أمنية للرسول - ﷺ - فى تدخله البشرى لإجهاضها على أعلى مستوى أمنى سياسى بإلهام من الله تعالى وكانت نظرته الثاقبة تعلو على أى نظرية أو رؤية أمنية أخرى.

- ولأن الاغتيال أصبح سمة رئيسية يتميز بها العالم الحديث بل إنه يقررها ويعطيها الشرعية الدولية ولعل أبرز مثال لذلك محاولات إسرائيل لاغتيال أية شخصية سواء كانت فلسطينية أو غير عربية بل وصل الاغتيال مداه إلى أن أصبحت إسرائيل تغتال أية شخصية غربية أو أوروبية أو عربية تحت مسمى معاداة السامية.

- ولا يقف الأمر عن ذلك بل نجد الولايات المتحدة الأمريكية وهى الدولة والتى تستغل الديمقراطية كسلاح ضد أى مصالح لها أو إسرائيل نراها تؤيد إسرائيل فى أى محاولة إرهابية يستشهد فيها ليس فقط الهدف المستهدف، بل والكثير من الأبرياء ويكون رد أمريكا دائمًا أن إسرائيل لها الحق فى الحفاظ على أمنها والدفاع عن نفسها بأية وسيلة تراها.

«استهداف الرسول لخصوم الإسلام»

واختصار للألفاظ فإننى هنا أدخل فى فصل شاق على نفسى وترددت كثيرًا فى الدخول فيه وهو الأمر الذى دعانى لعرضه على العديد من أساتذتى وعلمائنا والذين أطمئن تمامًا لإيمانهم وحسن رأيهم ورجاحة عقلهم ورأى الغالبية منهم ضرورة التصدى لذلك الموضوع والدخول فيه دون تردد وكان حجتهم فى ذلك أن ذلك الموضوع لا بد من إبرازه برؤية إسلامية تحسبًا لأن يثيره آخرون يكون فى قلوبهم شىء ضد الإسلام أو على أحسن تقدير لحسن نيتهم لا يدركون أبعاده وهو الأمر الذى يجعل أحدهم يثيره بشكل آخر وصورة مغايرة للحقيقة بهدف الإساءة للإسلام أو إظهاره بشكل يؤدى لضياع مصداقيته.

هذا الموضوع مضمونه السؤال الآتى:[1]

هل الرسول عليه السلام اتبع أسلوب الاغتيال مع خصومه وهل هذا يجوز أن يفعله النبى ...؟؟

- أن الرسول - ﷺ - لجأ لاستهداف بعض خصومه[2] وبالرغم من أنها كانت محاولات لا تزيد عن خمس محاولات منها ثلاث ضد اليهود إلا أن مبررات قيام الرسول بذلك كانت على النحو التالى:

---

(١) فى عصر الرسول كان لها مسمى إهدار دم شخص ما يقابلها فى العصر الحديث لفظ اغتيال مع مراعاة أن الرسول كان يوحى له من الله تعالى

(٢) من خصوم الرسول - ﷺ - والمعروف عنه أنه رحمة للعالمين بالتأكيد أن المقصود بالخصوم هم الفئة التى تحاول إجهاض الدعوة الأسلامية استنادًا لقاعدة الرأس وأن رأس الدعوة هو الرسول فإن (حاشا لله) هلك لانهارات العقيدة والدين تمامًا وعاد الجميع للسيادة التى فقدت منهم بإعلان وجود الرسول.

- أبرز هؤلاء الخصوم:

(أ) اليهود والذين كان ولايزال لديهم قناعة بأنهم شعب الله المختار وأى نبى لا بد أن يكون منهم ولما خاب ظنهم انحسر هدفهم فى النيل من الرسول والمسلمين.

(ب) قريش والتى فقدت سيادتها ومكانتها فى مكة وكذا الجزيرة العربية.

(ج) المنافقون وهم الذين يحتسبون على الإسلام ظاهريًا ويخفى باطنهم الكراهية الحقة للنبى وأصحابه.

بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ ... إلخ[1].

١ ـ أن الرسول ﷺ نبى ورسول مرسل من الله تعالى يدعو لعقيدة ويؤسس دينًا جديدًا ويدعو لقيم هو راعيها وكان أى عمل يفعله أو قول يقوله بتوجيه من الله عز وجل.

قال تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[2] **صدق الله العظيم.**

وهنا نوجز القول بأن تصرفات الرسول وأفعاله بوحى من الله ـ سبحانه وتعالى ـ حتى اجتهاد الرسول فمن الله تعالى .

٢ ـ تسود العالم قديمًا وحديثًا نظرية "مبدأ المعاملة بالمثل" وهنا نرى الرسول ـ ﷺ ـ استخدم سلاح أعدائه ورده اليهم وبخاصة إذا أخذ فى الاعتبار أن الرسول عليه السلام منذ أمره الله بالدعوة وكلفه بالرسالة كان فى حالة حرب مستمرة لم تنقطع حتى وفاته سواء فى مكة أو المدينة كان محاصرًا بالأعداء فى كل مكان وكل زمان وحتى الآن والذين كانوا يستخدمون كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة ولعل رصد العديد من محاولات اغتياله توضح مدى ما كان يتعرض له[3].

٣ ـ بالإضافة إلى ذلك هناك مبدأ معترف به دوليًا وأخلاقيًا وهو الغاية تبرر الوسيلة وطالما كانت الغاية نبيلة وسامية فإن تحقيقها يستدعى استخدام أية وسيلة لتحقيقها (على الرغم من رفض الإسلام لذلك) وفى فحص الحالات التى

---

(١) المائدة آية ٣٣.

(٢) سورة النجم الآيات ١ : ٤.

(٣) يسمى فى الإسلام حد الحرابة.

نفذها الصحابة بأمر من الرسول نجد أنها حققت العديد من الأهداف النبيلة والتى بلا شك أهمها مبدأ حقن الدماء وحفظ النسل وحماية الأموال ثم أهم أمر وهو نشر العقيدة بأسلوب جديد.

٤ ـ كان الرسول ـ ﷺ ـ "دائمًا فى حالة دفاع عن النفس" وهذه النظرية تستدعى أية وسيلة لحفظ نفس ليس فقط الرسول بل المسلمين ويتعدى ذلك لحفظ نفس أعدائه ففى الميزان أيهما أفضل أن يستهدف شخص واحد فى مقابل المئات، بل الألوف من الأنفس أليس ذلك ليس فقط دفاعًا عن النفس بل أيضًا محافظة على الناس سواء كانوا مسلمين أو مشركين وما قد يفرزه من إصابات معجزة وإتلاف للثمار وهلاك للبيوت هل يساوى ذلك شخص واحد عماه الحقد ولم ير النور وبل حاول أن يطفئه.

٥ ـ إن المحاولات التى استهدفها الرسول كانت للقضاء على غدر أو خيانة وليس لهدف انتقام شخص أو إشباع رغبة كما سوف أوضح فى مبررات كل واقعة تفصليًا.

٦ ـ أن السيرة النبوية سواء كانت بأيدى مسلمين أو أجانب لم ترصد هذه المحاولات بقصد القتل أو الاغتيال بل إن السيرة على كافة اتساعها وكثرة مصادرها سواء كانت منصفة أو جاحدة لم ترصد سوى خمس محاولات فقط تماثل الشرعية الدولية بل إنها كانت محاولات تطهير وإنقاذ لقبائل عربية وإسلامية ضد اليهود وهو الأمر الذى يبعدها تمامًا عن صفة الإرهاب أو القتل وبخاصة إذا أخذ فى الاعتبار أن المجتمع العربى أساسه شيخ القبيلة وهو سيدها وكلمته هى القانون المطبق على الجميع دون رأفة ولايستطيع أى شخص مهما كان وضعه أن يناقشه شيخ القبيلة فى أى أمر يراه وفى حالة مرضه أو اختفائه فإن الخلافات والصراعات تسود القبيلة إلى أن يظهر سيد جديد يخضع له الجميع.

وفى كافة الحالات كان أمام الرسول عليه السلام أحد أمرين:

(أ) الأمر الأول

أن تقوم حرب تسفك فيها الدماء وييتَّم فيها الأطفال وتسبى النساء وتهدم البيوت كل ذلك لأن شيخ القبيلة أو المستهدف جانبه التوفيق وكان مع الباطل ضد الحق بالإضافة لذلك فإن هذه الحرب سوف يستشهد فيها المئات من المسلمين وفى حالة التخلص من هذا الشخص (استهدافه) يمكن انقاذ الجميع وحقن دمائهم وحفظ أموالهم.

(ب) فى حالة نجاح استهداف ذلك الهدف فإن من معه سوف ينجذب للقائد المنتصر بحكم العرف السائد حيث أصبحوا بدون قائد ويدخلون فى الإسلام وهو الهدف الأسمى الذى يهدف إليه الرسول وعلى أسوأ الظروف إن لم يحسن إسلامهم أو كان خوفًا فإن الجيل الذى يخرج منهم سيكون أقوى إيمانيًا بالله ورسوله وهو الأمر الذى تحقق فعلاً وهو ما يؤكد بعد النظر.

(ب) الأمر الثانى

أن يشعلها الرسول حربًا تأكل الأخضر واليابس ولاتبقى على شىء خاصة إذا أخذ فى الاعتبار أن المستهدفين لن يتركوا الرسول والمسلمين بل إنهم كانوا فى صراع لتقويض دولة الإسلام وهدم الديانة الإسلامية بالإضافة لذلك فإن الاستهداف كان لإجهاض المستهدف وليس العدوان عليه.

- تبقى نقطة أخيرة وهى أن المحاولات أربع محاولات مؤكدة والخامسة الخاصة باستهداف أبى سفيان بن حرب ليست موثقة كانت جميعها رأى الصحابة وهو ما يطلق عليه اليوم مجلس الأمن القومى[1] والذى كان يرى أنه لا بديل عن استهداف هؤلاء الأشخاص.

- كان اليهود ولا يزالون العدو الرئيسى للإسلام ويحاولون بشتى الطرق القذرة اغتيال الرسول والاستهداف كان ضد هؤلاء اليهود وهو فى حد ذاته سببًا كافيًا

---

(١) مجلس الأمن القومى فى أية دولة هدفه نظر كل أمر لصالح الدولة والتكليف ببصيرة أو تآمر ضد الدولة والعمل لإجهاضه.

خاصة أنهم كانوا يحرضون ضد الإسلام وجريمة التحريض أثناء الحرب من أخطر الجرائم التى لايجوز التهاون معها أو التلاهى عنها والإعدام هو عقوبتها كحد أدنى.

وإذا أخذ فى الإعتبار أن ثلاث مأموريات استهداف كانت ضد اليهود من جملة خمسة منها واحدة ليست مؤكدة وهو الأمر الذى يعنى أن اليهود هم المستهدفون بالدرجة الأولى لدورهم التآمرى والذى لا يزال حتى قيام الساعة.

المبحث الثانى: نماذج الاستهداف مأموريات التطهير

١ ـ مأمورية استهداف خالد الهذلى

عملية استهداف المشرك/ خالد الهذلى من أكبر المأموريات الأمنية الناجحة والتى ينبغى أن يطلق عليها "إجهاض مخطط فساد فى الأرض".

ولقد أفرزت هذه المهمة الأمنية العديد من الإفرازات سواء لصالح المسلمين أو لصالح قبيلة خالد الهذلى الطرف الآخر.

ـ وبالمفهوم الأمنى عملية ناجحة وكاملة من حيث : التكليف ـ المعلومات ـ المصدر ـ التلقين وهى أسس وقواعد الأمن السياسى.

ولإيضاح ذلك:

أرى أفضل اسم لهذه المهمة هو (التطهير أو الاستهداف) وبالرجوع للسيرة النبوية نجد الآتى:

●● كانت لغزوة أحد ردود فعل مختلفة فى أوساط القبائل العربية بصفة عامة ولعل من إفرازاتها أنها شجعت بعض القبائل على التحالف مع قريش، وكان غالبيتها تأخذ موقف الحياد باعتبار أن الصراع بين النبى وقريش هو شأن داخلى وانتظر البعض حتى فاز المشركون فى غزوة أحد عقدوا التحالفات مع قريش حفاظًا على مصالحهم أيضًا لمحاولة غزو المدينة المنورة واغتيال الرسول والصحابة.

●● كان قبيلة هذيل[1] ضمن هذه القبائل وكان قائدها يدعى خالد بن سفيان الهذلى معروفًا بالشجاعة والإقدام ومن يراه يرهبه بجسارته وهيبته.

ـ كانت القبيلة تدين بالولاء والطاعة العمياء له واستجابوا له حين استفزهم لقتال المسلمين ولرجاحة عقله وقوة شخصيته فقد رأى أن يعد عدته من خلال الاستعانة ببعض القبائل العربية أو المتحالفين معه مثل بنى اللحيان فأخذ يحرضها لغزو المسلمين فى المدينة المنورة.

ـ وصلت هذه المعلومات للرسول فى المدينة وعقد اجتماع يسمى حاليًا بمجلس الأمن القومى[2] من الصحابة وتشاوروا فى كيفية إجهاض هذه المخططات فى ضوء المعلومات التى تحت يدى الرسول ـ ﷺ ـ.

● ـ رأى يرى ضرورة الخروج بجيش على وجه السرعة لإجهاض مخطط خالد الهذلى قبل اكتمال حلقاته وبخاصة فى تأليب القبائل العربية على المسلمين وعقد التحالفات مع القبائل الأخرى.

● **بينما رأى فريق آخر الآتى:**

ـ أن المدينة تبعد كثيرًا عن ديار بنى هذيل وخروج المسلمين سيكبدهم جهدًا ومشقة كبيرة مما يؤدى لوصول الجيش متهالكًا مما قد يعرضه لهزيمة أسوأ من هزيمة أحد.

ـ فى حالة خروج الجيش الإسلامى لهذه الحملة التأديبية الإجهاضية بالمفهوم الأمنى فإن المدينة ستكون مكشوفة أمام اليهود المتربصين بالإسلام.

ـ أن الوقت غير كاف لأعداد هذا الجيش وإذا أخذ فى الاعتبار أن العديد من المسلمين لايزالون يعانون من آثار غزوة أحد.

ـ استقر رأى الصحابة على إجهاض مخطط خالد الهذلى بقتله من خلال مأمورية ناجحة ترصده وهو الأمر الذى سيفرز العديد من المكاسب وبخاصة إذا

---

(١) منطقة عرنة وهى من المناطق القريبة من قريش قرب جهينة.

(٢) كتاب الاستخبارات فى غزوات الرسول / تأليف : محمد محمد البيلى يونس عن مكتب السندس بالكويت.

أخذ فى الاعتبار أن قبيلة هذيل تأتمر بأمره وفى حالة نجاح هذه المأمورية وعدم وجود البديل له فإن ذلك سيؤدى إلى:

١ ـ عدم إراقة دم المسلمين وهو الأمر الذى يحرص عليه الرسول والصحابة

٢ ـ توفير المؤن والأموال والرجال لهدف آخر.

٣ ـ أن سيدنا الرسول نبى وهو رحيم ليس فقط بالمسلمين بل بكل من قصده طالبًا حمايته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1] صدق الله العظيم.

ـ ومن هنا سيمنع إراقة دم قبيلة بنى هذيل والمتحالفين معها.

٤ ـ سيؤدى لتفرقة كلمة القبائل والتى كان يتبناها خالد الهذيل.

•• وافق الرسول على مهمة التطهير خاصة بعد إجماع الصحابة عليها وإذا أضيف للاعتبار أن هناك عاملين أساسين:

١ ـ أن الرسول فى حالة حرب مع قريش وحلفائها وفى حالة الحرب يجوز استحدام كافة الوسائل التى تؤدى للنجاح.

٢ ـ أن محاولة القتل هى إجهاض لمحاولات التعبئة والاستعداد الذى يتزعمه خالد الهذلى لغزو المدينة.

خطة الرسول لإجهاض مؤامرة بنى هذيل واستهداف خالد الهذلى

كان ـ ﷺ ـ له أفق واسع وبصيرة وبعد النظر من الناحية الأمنية بالإضافة لكونه له الفراسة فى تقييم الرجال وتصنيفهم.

ـ اتخذ الرسول الخطوات التالية:

ـ البحث عن الشخص المناسب فى سرية تامة حتى لا يتسرب الخبر لأعدائه فيجهضون مخططه.

ـ أن يكون هذا الشخص له صلة سواء من حيث قرب المكان أو صلة نسب بقبيلة بنى هذيل حتى تكون هذه الصلة بمثابة ما يسمى "أمينًا"(كفر)[2] وأن يكون

---

(١) الأنبياء آية ١٠٧.

(٢) كفر بالمفهوم الأمنى: غطاء يخفى ما بداخله.

هذا الشخص متوافرًا فيه صفات شخصية منها الشجاعة والإقدام وأن يكون مؤتمنًا وليس من الذين يتحدثون وهو ما يطلق عليه ألا يكون (ثرثارا) بالإضافة للذكاء وحسن التصرف.

ـ وقع اختيار الرسول على الصحابى/ عبد الله بن أنيس الجهنى وهو من قبيلة جهينة وديارها مقاربة لقبيلة هذيل ولهم تعاملات تجارية بالإضافة لذلك فإن هذا الصحابى له خبرة فى الطرق الصحراوية.

ـ أرسل له الرسول يستدعيه وعرض عليه المأمورية فوافق فورًا تاركًا له اختيار الوسيلة التى يراها مناسبة لتطهير هذيل من زعيمها بعد أن يتأكد من شخصيته.

ـ وهنا نرى العبقرية فى تخير المكلف لمأمورية ما قد يكون لدى هذا الشخص من الأسباب غير المعروفة تجعله يرفض هذه المأمورية كما قد تكون له دوافع أخرى قد تؤدى لإفساد المخطط ومن هنا نتبين أهمية تخير الشخص للعمل المكلف.[1]

ـ رسم له الرسول الكريم ما يسمى بالخطوط العامة ومنها:

- ـ السرية التامة وعدم الحديث مع أحد.
- ـ ادعاء أنه من قبيلة خزاعة وينتسب إليها (قبيلة مجاورة فى السكن لقبيلة هذيل).[2]

ملحوظة: هنا تبرز أهمية وجود معلومات لرجل الأمن من حيث الناحية الجغرافية للمكان وأصناف الناس المتواجدين فيه ويسمى ذلك أمنيًا (كفر) أى غطاء أمنى.

ـ أن يكون الكفر مناسبًا لطبيعة المأمورية فمن المعروف أن قبيلة خزاعة متحالفة مع قريش ضد الرسول وبالتالى يكون انتسابه لهذه القبيلة ومقبول لدى الطرف الآخر.

---

(١) نظريته التقييم الموضوعى وحسن اختيار الشخص المناسب لمأمورية معينة.

(٢) هذه القبيلة لم تكن أسلمت بعد بعكس ما هو معروف عن إسلام قبيلة جهينة.

- المندوب (بالمفهوم الأمنى) سئل الرسول عن أوصاف خالد الهذلى وهنا يبرز الجانب الإلهى فإن الرسول - ﷺ - لم يكن قابله أو شاهده فأوحى له الله فرد الرسول بأنه مجرد أن يراه سيخاف منه قائلاً: (إذا رأيته هبته وفرقت منه (أى خفت منه).

- وصل المندوب لديار بنى هذيل متخذاً من الجبال والأودية والطرق غير المعروفة حتى لايتعامل مع أحد قد يعرفه ويشى به.

- ظل المندوب داخل القبيلة عدة أيام يشاهد بنفسه الاستعدادات لغزو المدينة وتأكد من صدق المعلومات التى وصلت الرسول.

كما أولد لديه قناعة بضرورة نجاح هذه المأمورية بأى ثمن قوة الإيمان والعقيدة.

- أخذ الصحابى الجليل يتحين الفرصة حتى تقابل مع خالد الهذلى، والذى حين شاهده سأله عن شخصيته فرد عليه أنه من قبيلة خزاعة وأنه علم باستعداداته لغزو المدينة فجاء يستأذنه فى التحالف معه وإحضار فرسانه فرحب به خالد الهذلى.

- ولما كان الصحابى الجليل له من السمات الشخصية والصفات الخاصة فقد أخذ يتودد إلى خالد الهذلى حتى اطمأن له ووثق منه ثم استدرجه فى الحديث حتى ابتعد به عن أعين رجال قبيلته وعاجله بضربة سيف قاتلة ثم فر للجبال ومنها للمدينة المنورة حيث أبلغ الرسول بنجاح المأمورية.

- تحققت رؤية الرسول الأمنية حين نشر موت خالد فى قبيلة هذيل وتصارع رجالها على زعامة القبيلة وهو الأمر الذى أدى لتفرقة باقى القبائل التى حضرت للتحالف معها وعادت لديارها.

- كان من أهم نتائج هذه العملية:

١ - صرف نظر هذيل وحلفائها عن غزو المدينة.

٢ - منع إراقة دماء الكثيرين من الطرفين.

●● يطلق أمنيًا على هذه المهام مهمة استشهادية لأنه لو فشل المكلف بها لكان نصيبه القتل كما قد ينجح فى مأموريته إلا أن أهالى ورعايا خالد الهذيلى لن يتركوه لحظة إذا ضبطوه بعد الواقعة.

ـ وبعد ذلك هل نرى أن هذه المأمورية يمكن أن يطلق عليها لفظ إرهاب أو قتل حاشا لله ورسوله؟

٢ ـ مأمورية استهداف اليهودى
كعب بن الأشرف[١]

كان هذا اليهودى (كعب بن الأشرف) من أشد المتعصبين اليهود وكان يكره الرسول والمسلمين كراهية منها الحقد الدفين .

ـ حين علم بهزيمة قريش فى بدر حرض من حوله من اليهود المقيمين بالمدينة والمنافقين قائلاً: (هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصابهم لبطن الأرض خير من ظهرها).

ـ لم يكتف بالتحريض بل إنه إمعان فى كراهيته للرسول نظم شعرًا حول زوجات الرسول ـ ﷺ ـ وهو الأمر الذى يعتبر فى المجتمع العربى تعدى كل حدود اللياقة والشرف.

ـ سافر المذكور لمكة مستغلاً الطبيعة العربية، والتى يمثلها الثأر فأخذ فى البكاء للتأثير على أشراف قريش التعاطف ثم انتقل لمرحلة التحريض للانتقام لغزوة بدر لأشراف قريش.

ـ وصلت هذه المعلومات فى حينها للرسول الكريم وهو الأمر الذى يبين أهمية وجود مصادر للمعلومات فاجتمع مع الصحابة لدراسة ما يسمى تقدير موقف.

ـ استقر الرأى على ضرورة استهداف من هذا اليهودى والذى يثير الفتنة سواء فى مكة أو المدينة وأن حياته ستؤدى لمزيد من الكراهية والتحريض ضد المسلمين.

---

(١) حياة محمد د. محمد حسين هيكل ص ٢٢٩ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٦م.

ـ قد يرى البعض أن الرسول يؤمن بسياسة الاغتيالات إلا أن حقيقة الأمر أن وجود كعب الأشرف فى المدينة المنورة يمثل أخطاراً عديدة للمسلمين:

١ ـ كان عينًا لقريش على الرسول يبلغها بأخبار المدينة (جاسوس).

٢ ـ كان يؤلب أصحاب النفوس الضعيفة والمنافقين ويفتعل الفتن بين مسلمى المدينة أى أنه كان من (المفسدين فى الأرض).

٣ ـ تأليب اليهود المقيمين فى المدينة لإلغاء تحالفهم مع الرسول.

٤ ـ أن المدينة المنورة كانت فى حالة حرب كما كانت فى حالة ترقب لردود فعل قريش وما يسمى بالدساس والحملات الإعلامية التى يتزعمها اليهودى المشار إليه تحدث خللاً فى البنيان الإيمانى والأمنى للمسلمين فى المدينة المنورة.

ومن هنا كان هذا اليهودى متهمًا بعدة تهم فى زمن الحرب يطلق عليها حاليًا:

١ ـ الجاسوسية.

٢ ـ إثارة الفتن والشائعات.

٣ ـ تأليب القاعدة الجماهيرية ضد قيادتها من خلال ما يبثه من أكاذيب بين المسلمين.

٤ ـ تعرضه لما يسمى بالقذف وهو الشعر الذى قاله فى نساء الرسول ويمثل ذلك تعديًا على الشرف يكون جزاؤه الموت.

٥ ـ جريمة تحريض أهالى مكة ضد المسلمين ودفعهم للقتال تحت مسمى الثأر (الخيانة العظمى).

ـ خير الرسول أصحابه فيمن يتولى هذه المهمة فقام الصحابى الجليل وهو من أنصار المدينة (محمد بن مسلمة)، والذى كان له العديد من المواقف منذ إعلان إسلامه لصالح الدعوة الإسلامية وأبدى استعداده لتنفيذها.

ـ استأذن الرسول فى تدبير مكيدة بالاستعانة بفرق عمل من الصحابة وهم:

١ ـ سلكان بن سلامه ويكنى أبا نائلة وكان أخًا لكعب بن الأشرف فى الرضاعة.

٢ ـ الصحابيان.

● ـ عباد بن بشر. ● ـ أبو عبس بن جبر

كانت هذه المأمورية تسمى مأمورية استشهادية لأنه سوف تتم فى معقل اليهود.

ـ توجه المذكورون لليهودى متخذين من وسائل الخداع والتمويه كالآتى:

● ـ الطعن فى الرسول والمسلمين مع الإشادة باليهودى وشعره فى زوجات الرسول.

● ـ إرجاع سوء الأحوال والفتنة بسبب دعوة النبى .

● ـ وأخيرًا حتى يقتنع بهم طلبوا منه أن يرهنوا دروعهم عنده مقابل مال يحتاجونه لقتال المسلمين.

ـ وثق اليهودى المذكور بهم تمامًا ثم أعطاهم المال المطلوب.

ـ اتفقت مجموعة العمل على التنفيذ كما اتفقوا على كلمة سر وهى (ما أجمل رائحة شعرك) فينقضوا جميعًا عليه بضربة واحدة.

ـ ولأن أطراف المهمة كانوا مختارين بعناية تامة وأحدهم كان أخًا لكعب من الرضاعة وهو أبو نائلة فقد توجه الصحابة فى الربع الأخير من الليل ثم نادى أبونائلة عليه ولأنه يثق فيه فقد خرج لمقابلته فاستدرجوه فى الحديث حتى ابتعدوا به عن ديار اليهود ثم نطق أبو نائلة بكلمة السر فانقضوا عليه وصرعوه.

ـ عادوا للرسول بتمام نجاح المأمورية.

ـ وهنا قد يسأل سائل، هل الرسول يؤيد الاغتيال؟ والإجابة بالتأكيد إلا أن أفعال اليهودى المذكور كل واحدة منها تمثل ما يسمى بجريمة الخيانة العظمى والتى جزاؤها الإعدام كما سبق أن أوضحت.

● بالإضافة لذلك كان هذا اليهودى شديد التأثير على اليهود المقيمين فى المدينة وأفعاله تؤدى لتقويض الجبهة الداخلية وكشف مؤخرة المدينة أمام أعدائها وبالتالى كان إعدامه وليس اغتياله فقط هو الحل الأمنى والذى وضع حدودا للتصرف اليهودى والمنافقين فى المدينة المنورة.

٣ ـ استهداف اليهودى رافع بن أبى الحقيق

ليس لليهود همٌّ سوى التحريض على الإسلام والمسلمين وإن كان هناك ما يسمى اليوم بالإرهاب فإن اليهود هم مصدر هذا الإرهاب.

ـ من أمثلة ذلك اليهودى (رافع بن الحقيق)[١] والذى كان هدفه تسخير حياته لأمل واحد هو التحريض على المسلمين ليس فقط اليهود بل القبائل العربية لغزو المدينة المنورة .

ـ اليوم اتفق العالم على أن جريمة التحريض أثناء الحرب هى الخيانة العظمى وعقوبتها الإعدام.

ـ قام هذا اليهودى بدور تحريضى وإرهابى أثناء حصار الأحزاب للمدينة وعقب ذلك فر هاربًا لخيبر بغرض تحريضها أيضًا على التصدى وقتال الرسول.[٢]

ـ كانت المعلومات تتواتر للرسول عن نشاط هذا اليهودى وهو الأمر الذى قرر الرسول ضرورة استهدافه لوضع حد لفساده .

ـ كلف كلا من: الصحابى/ عبد الله بن عتبك ومعه أربعة من المسلمين.

لاستهداف اليهودى رافع من خلال التسلل لخيبر والكمين لليهودى له حتى لحظة مناسبة واستهدافه.

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) غزوات الرسول (محمد البيلى يونس، ص ١٢٢).

- يطلق على هذه المجموعة أمنيًا حاليًا "**مجموعة مكافحة الإرهاب**".

- نجحت هذه المجموعة فى الوصول لمكان اليهودى وعنوانه بأسفل إسطبل خيل وانتظروا حتى حل الظلام وقام أحدهم بالنداء عليه وحين رد أمكن تحديد مكانه ثم استهدافه والعودة سالمين للمدينة بنجاح مهمتهم.

٤ ـ استهداف أسير بن رازم

تولى قيادة اليهود بعد استهداف رافع بن أبى الحقيق اليهودى أسير بن رازم.

- أراد المذكور أن ينتقم لسلفه فأخذ يحرض يهود خيبر على المسلمين كما أرسل بعض رجاله لتحريض القبائل المجاورة للمدينة واستمالتهم لقتال النبى ومنهم قبيلة عطفان.

- أيضًا كان دائمًا الرسول مدركًا للأمور بسعة أفقه كان له المصادر فى كل مكان وفى كل قبيلة وبالتالى وصلت تحركات اليهودى ابن رازم للرسول.

- رأى الرسول أنه بالرغم من أنه فى حالة الحرب مع قريش فإنه من الأفضل استمالة واستقطاب اليهودى المذكور حقنًا للدماء.

- أرسل الرسول مندوبه/ عبد الله بن رواحة ومعه بعض الصحابة لعرض اتفاق بينهم وبين بن رزام.

- كان العرض عدم التعدى كلا على الآخر وتجنب أية حرب وأن بعين بن رازم أميرًا على خيبر.

- أبدى اليهودى موافقته الظاهرية ثم حاول اغتيال سيدنا/ عبد الله بن رواحة كعهد اليهود فى الغدر إلا أن الصحابى الجليل نجح فى تفادى ضربة السيف ثم ناوله ضربة من سيفه فقتله.

- كان هذه الملحمة دفاعًا عن النفس وأدى ذلك لتفرق يهود خيبر.[١]

---

(١) كتاب المغازى للذهبى، ص ٣٠١، ونور اليقين، ص ٤٣٢.

٥ ـ استهداف أبى سفيان بن حرب

على الرغم من وجود صلة قرابة بين الرسول ـ ﷺ ـ وأبى سفيان بن حرب بل إن هذه الصلة توجت بزواج الرسول بأم حبيبة بنت أبى سفيان إلا أنه ظل ليس فقط يكابر بل إنه كان محرضًا على الرسول منذ إعلانه الرسالة الإلهية وكان لأبى سفيان موقف مضاد ومناهض.

● ـ فى الجزء الأول من هذا الباب كان حديثنا عن الاغتيالات وكيف أن الحقد والكراهية دفعت بأبى سفيان لإرسال أكثر من مؤامرة لاغتياله، ولعل منها مهمة الإعرابى الذى سقط منه السيف واعترف للرسول والصحابة أن أبا سفيان هو المحرض.

ـ رأى المسلمون ضرورة استهداف (لفظ أمنى يعنى تصفيته) أبى سفيان للعديد من المبررات على النحو التالى:

ـ أن المرحلة تمثل حالة حرب مستمرة بسبب تصعيد وتحريض وإثارة أبى سفيان لقريش من جهة والقبائل العربية الأخرى من جهة ثانية.

ـ نجاح استهدافه وهو المعروف بأنه أكبر خصم للإسلام سيؤدى لتثبيط همة قريش وبث الرعب بين القبائل العربية والتى حكمها سيد القبيلة وبخاصة التى تحالفت مع قريش ضد الرسول.

ـ كان لأبى سفيان دور كبير فى التعذيب والتنكيل بالمسلمين وبالتالى استهدافه سيجد ترحيبًا من المسلمين الذين يرغبون فى الثأر منه.

ـ العين بالعين والسن بالسن وقد بدأها أبو سفيان حين أرسل أكثر من متآمر لاغتيال الرسول واستهدافه سيكون الرد المناسب على محاولاته.

فى حالة نجاح استهدافه سيجنب قريشًا والمسلمين الكثير من ويلات الحرب أو على أقل تقدير يقلل منها.

ـ بعد دراسة الموقف وآراء الصحابة وإجماعهم على استهدافه فقد كلف الرسول كلا من:

١ ـ الصحابى/ عمرو بن أمية الغمرى[١].

٢ ـ الصحابى/ سلمة بن مسلم بن جريس.

وذلك للتوجه لمكة وانتهاز الفرصة المناسبة واستهداف أبى سفيان.

ـ نجح الصحابيان فى الوصول لمكة فى وقت المساء عند الغروب وتسللا لأحد ديارها وهم لديهم قناعة أن الغروب وإظلام السماء سيكون سترًا لهم ولن يراهم أحد.

فشل الخطط

ـ أخطأ الصحابيان خطأ جسيمًا حيث ظنا أن أهل قريش فى ديارهم فتوجها للبيت الحرام حيث طافوا به ثم صلوا ركعتين وهنا كانت الغلطة الكبرى حيث شاهدهم معاوية بن أبى سفيان، وكان يعرف عمرو بن أمية ويعرف بإسلامه وأدرك أنه لم يأت لخير فنادى معاوية على أصحابه بأعلى صوته مما جعل الصحابيين يفران بسرعة خارج مكة للمدينة.

أهم الدروس والمبادئ

ـ فى حالة تكليف بمأمورية ينبغى تمامًا عدم الالتفاف لأى شىء والتفرغ كلية لأجل نجاحها.

ـ قد يكون قدر الله أن يفشل هذا الاستهداف حتى يأتى يوم فتح مكة ويعلن أبو سفيان إسلامه وكانت رحمة الله به أن يموت مسلمًا وليس كافرًا.

---

(١) سيرة ابن هشام.

• الباب الرابع

نماذج لأهم القضايا

مبحث تمهيدى : الإعجاز السياسى للرسول

المبحث الأول : قضية فاطمة بنت محمد ﷺ

المبحث الثانى : قضية بنى المصطلق

المبحث الثالث : قضية صلح الحديبية

المبحث الرابع : قضية الأحزاب (محاولات غزو المدينة المنورة)

المبحث الخامس : فتح مكة

المبحث السادس : بيعة العقبة الثانية

المبحث السابع : مأمورية الهجرة للمدينة المنورة

المبحث الثامن : نموذج غزوة أحد من منظور أمنى

مبحث تمهيدى

● إن الإعجاز النبوى كان ولا يزال يحتاج للعديد من الدراسات حتى يمكن أن نعطى هذا النبى قدره فهو لم يكن فقط نبيًا ورسولاً ولكن كان معلمًا من طراز لم يوجد قبله ولا يوجد بعده.

وبالطبع لا يمكن أبدًا إغفال الجانب الإلهى فى سيرة النبى بل فى كل خطواته وكل تصرفاته بل أيضًا فى حالة سكوته كان النبى - ﷺ - ينبوعًا لا ينتهى من العلم والبصيرة وطبعًا قبلها الإيمان الحق بالله تعالى.

فى هذا الباب سأكتفى بإبراز ثمانى قضايا استوقفنى موضوعاتها ورأيت أن تكون هذه الموضوعات بمثابة قضايا أمنية كاملة.

كان فيها الأسس والمبادئ التى وضعت حديثًا فى الأمن السياسى وهى بعض المبادئ التى سبق أن أشرت إليها فى موضوعات سابقة من أبرزها:

- المصدر - المعلومات - مبدأ السرية - تجنيد المصادر.... إلخ.

وغيرها من المصادر الأمنية والتى أبرزتها من خلال منظور سياسى أمنى.

وهذه النماذج رأيت أن أضع كل واحد فى مبحث مستقل حتى يمكن الاستفادة منه ورؤيته بأية نظرة يراها الباحث أو القارئ متمنين التوفيق من الله عز وجل.

---

(١) مع عدم الإخلال أبدًا بأن الإلهام الإلهى هو المصدر الأساسى لتصرفات النبى، وأنه لا ينطق عن الهوى وإنما بوحى الله تعالى له.

١ ـ المبحث الأول: قضية فاطمة بنت محمد

الإعجاز الأمنى السياسى للرسول

ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ **(لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها)**[١]

ولو عدنا لسبب هذا الحديث ثم تناولنا تكملته لرأينا مدى العمق السياسى الأمنى لدى الرسول ـ ﷺ ـ.

(حدثنا الوليد عن الليث بن شهاب عن عروة عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: إن إحدى السيدات من بنى مخزوم (وهى بطن من أكبر بطون قريش وأشرفها نسبًا وحسبًا) أن سرقت مبلغًا ماليًا من أحد معارفها فبلغ ذلك رسول الله فأمر بتطبيق الحد عليها وهو قطع يدها ولما علمت قريش بأمر النبى فلم يجدوا أفضل من أسامة بن زيد ويطلق عليه (حب الرسول) فحدثوه فى ذلك وطلبوا منه أن يتشفع للمرأة المخزومية عند رسول الله وفعلاً جاء إلى الرسول وتحدث إليه فى ذلك فغضب ـ ﷺ ـ غضبًا شديدًا قائلاً له أتشفع فى حد من حدود الله ثم قام فخطب الناس (يا أيها الناس إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها).

ـ ثم قام الرسول بتطبيق الحد فقطعت يد المخزومية القرشية.

والنظرة الظاهرية لهذا الحديث أن الرسول ـ ﷺ ـ يرفض السرقة ويرفض الشفاعة فى حدود الله ولمن فهم ذلك فهذا حق أو جزء من الحق.

---

(١) الحديث فى البخارى ـ مسلم.

- أما إذا فحصنا هذا الموضوع بنظرة أمنية سياسية وبعمق نرى الآتى:

- أن توجيه الرسول - ﷺ - بتناول العديد من القضايا السياسية الأمنية والتى لها بعد ظاهرى هو تنفيذ الحد فى واقعة السرقة أما العمق فيها فيشمل الآتى:

أولاً: قضية المساواة بين الناس

أولاً: القاعدة الأولى: أن رسول الله - ﷺ - أرسى قاعدة أن الناس سواسية وأنه لا فرق بين غنى وفقير ولا بين شريف وضعيف ولا بين سيد وعبد وجعل معيار التفضيل هو العمل الصالح لوجه الله تعالى وتقواه وللأسف الشديد نجد المجتمع اليوم لا يطبق فيه القانون إلا على الأدنى سواء فى الشرف أو الفقر أما الغنى وذو النفوذ و المنصب فلا يطبق عليه قانون ولأن القانون البشرى على الرغم من أنه وضع كنصوص لصالح المجتمع ككل إلا أن تطبيقه به شبهات عديدة وما نراه فى حياتنا اليوم والأمس والغد يؤيد صحة ورؤية الرسول - ﷺ -.

وبالتالى فإن هذا القانون ليس فقط جانيًا جنائيًا بل يعد سياسيًا أيضًا ولأن سلامة المجتمع وأمنه هما الأساس لنهضته ولعل ما يضاف لذلك أيضًا أن الرسول أكد فى أكثر من رواية أهمية التصدى للسارق.

فيروى سيدنا أبو هريرة أن الرسول قال: (لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده)[1].

كما حدثنا أبى إدريس عن سيدنا عبادة بن الصاهن - رضي الله عنه - أنه قال (بايعت رسول الله فى رهط فقال أبايعكم على ألا تشركوا بالله شيئًا ولاتسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم وألا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئًا فأجره فى الدنيا فهو كفارة له وطهورًا ومن ستره الله من ذلك فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له).

---

(١) صحيح البخارى فى باب السرقة.

ثانيًا: القاعدة الثانية: قوة أى مجتمع ليس نصوص قانون بل فى تطبيق هذا القانون وما نراه أن الكثير والكثير من القوانين موجودة إلا أنها لا تطبق وإن طبقت فإنها تطبق حسب الأهواء وحسب الأشخاص ومكانتهم الاجتماعية.

ثالثًا: القاعدة الثالثة: يؤدى تطبيق هذا الدستور النبوى لسلامة المجتمع السياسية والاجتماعية؛ لأنه يجعل الكبير ذا المناصب يدرك أنه فى حالة قيامه بالسرقة بأى شكل من أشكالها أو مسمياتها (رشوة - اختلاس - استيلاء - غصب... إلخ).

فإن القانون الذى سيطبق عليه دون النظر لأى اعتبارات أخرى سيجعل هذا المسئول يتوقف ويفكر قبل أن يرتكب هذا الفعل وعلى جانب آخر فإن الفقير سوف يجد أمامه أن القانون فرق بينه وبين ذى المنصب وذى الحصانة وسوف يطبق عليه فقط فإن صدره وقلبه سيمتلئ بالكراهية والبغض للناس وللنظام القائم وسيدفعه للحقد والانتقام مما يجعله ينخرط فى الجماعات السرية تحت أى مسميات كما سيلجأ البعض لتكوين عصابات منظمة للسلب والنهب وهنا تتوالد العداوات والفتن بين أفراد المجتمع الواحد وهو الأمر الذى سيفرز انهيار القيم والمبادئ وبالتالى الدولة التى يعيشون فيها.

رابعًا : القاعدة الرابعة : وضع الرسول قاعدة مهمة هى عدم الوساطة إلا فى الخير بالمفهوم العصرى والتوسط، هو التدخل الذى صاحب القرار إما لإلغائه أو تخفيف حدته.

وعندما نرى أن رسول الله القرشى يرفض تمامًا شفاعة شخص حبيب إلى نفسه وهو سيدنا أسامة بن زيد بل إنه يزداد غضبًا ويقوم خطيبًا وموجهًا للناس بأن الشفاعة لا ينبغى أن يكون لها أى مجال فى حدود الله - سبحانه وتعالى - وبالرغم من أن السارقة هى من أحد بطون قريش ذات الحسب والنسب إلا أن رسول الله رفض ذلك تمامًا ووضع قاعدة للحكام بألا يقبلوا التوسط فى حدود الله كما وضع منهاجًا لمن هم حول الحاكم بألا يتدخلوا فى حدود الله مهما كان الشخص ومهما كان وضعه الاجتماعى طالما أنه اقترف ما يغضب الله ورسوله.

ويلاحظ حاليًا أن الكثيرين يتدخلون بالوساطة سواء لدى الهيئات التنفيذية أو الجهات القضائية وللأسف الشديد يتقبل الطرف الثانى هذه الوساطة فى كثير من الحالات سواء كان بمقابل أو بدون مقابل.

النتيجة النهائية

أفرز توجيه الرسول نتيجة لم يلتف إليها الكثيرون أن عدم تطبيق شرع الله وقبول الشفاعة فى حدوده وعدم المساواة بين أفراد المجتمع ستؤدى حتمًا لنتيجة مؤكدة وهى انهيار الدولة وانهيار المجتمع وهو ما حدث قبل ذلك ويحدث الآن.

ومن هنا نرى أن رؤية الرسول كانت أمنية ذات وجه سياسى شمل الفرد والدولة وهى صالحة لكل زمان ولكل مكان وزوجته جنائى (ليس موضوعنا).

المبحث الثانى

(أ) قضية بنى المصطلق[1]

ولأننى أتناول هذا الموضوع من الناحية الأمنية فإننى أطلق عليها ما يسمى أمنيًا "قضية بنى المصطلق"[2] وهى غزوة عسكرية ناجحة قام بها الرسول - ﷺ - لإعلاء كلمة التوحيد.

وبإغفال الجانب العسكرى والذى له متخصصون فإن هذا الموضوع يمثل قضية أمنية على أعلى مستوى وكان فيه القواعد الأمنية الآتية:

- بند المعلومات من خلال مصدر.
- تأكيد المعلومات.
- الكفر الأمنى (الغطاء الأمنى).
- زرع المصدر.

(١) المعلومات (المصدر)

- وردت للرسول الكريم من أحد مصادره معلومات مضمونها أن الحارث بن ضرار يتحالف مع قبيلة بنى المصطلق ويقومان بتعبئة القبائل استعدادا لغزو المدينة وطرد الرسول منها.

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير الجزء الثالث.

(٢) غزوات الرسول د. محمد البيلى.

(٢) تأكيد المعلومات:

لأهمية هذه المعلومات ولأنه الرسول الكريم ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

صدق الله العظيم

- أراد - ﷺ - أن يؤكد هذه المعلومات فاختار أحد الصحابة والمعروف عنه بالدهاء والمكر كما كان بحث الرسول عن شرط آخر فى هذا الصحابى وهو أن يكون لديه المقدرة على التنكر والتصدى لأى موقف.

- وجد الرسول ضالته فى (بريدة بن الخصيب) وكلفه بالآتى:

تأكيد أخبار تحالف بنى ضرار مع بنى المصطلق ونيتهم فى الهجوم على المدينة.

- كلفه الرسول أن يندس فى وسط بنى المصطلق تحت كفر أنه من المناوئين للرسول وأنه حضر نيابة عن قومه للاستئذان للانضمام لهذا التحالف.

- نجح الصحابى فى اختراق بنى المصطلق وأقام فى وسطهم عدة ليال نجح فى خلالها من الوقوف على حقيقة المعلومات التى سبق ورودها للرسول وتأكد بحق من صحتها.

- كان هذا الصحابى والمختار من الرسول ذى الفطنة وبعد النظر له من الذكاء حيث تقابل مع الحارث بن ضرار وكان الأخير معه حشد من رجاله فسئل عمن يكون هذا الرجل وكان من الممكن لو كان اختيار الرسول خاطئًا لوقع هذا الصحابى تحت سيوف الحارث بن ضرار ورجاله وانكشف أمر المسلمين إلا أنه كان من الفطنة والذكاء بحيث رد عليه بثقة وبسرعة أنه من هذه الناحية وأشار إلى خلف الجبل وأنه علم أن هنا جمعًا لهذا الرجل الذى سفه أحلام العرب وفرق بينهم فجاء يستأذن للانضمام لهم ومعه عشيرته.

- فرح به الحارث وقال له عجل لنا بقومك.

---

(١) سورة الحجرات الآية : ٦.

- استغل الصحابى بريدة ذلك للهروب بحجة إحضار قومه للانضمام للجيش فأذن له.

- بالطبع توجه الصحابى سريعًا للرسول لإبلاغه بما عنده من معلومات.

- أعد الرسول عدته وهاجم ذلك الجمع قبل استعداده ونجح فى ذلك بفضل الله - سبحانه وتعالى - وحنكة رسوله الأمنية والسياسية.

(أ) إعدام جاسوس

أثناء استعدادات بنى المصطلق للإغارة على المدينة المنورة كان الحارث بن ضرار ولشدة ذكائه ودهائه فقد قام بإرسال رجل من عنده ليتعرف على أحوال المسلمين ومدى معلوماتهم عن حشد بنى المصطلق وكذا استعدادهم للدفاع عن المدينة.

- نجح ذلك الرجل فى اختراق المدينة المنورة وأثناء ذلك شك فيه المسلمون فأخذوه إلى الرسول[1] وبخبرته الأمنية وقدراته استطاع من خلال "استجوابه" أن يعرف أنه جاسوس واعترف الرجل بذلك فأمر الرسول بقتله؟

- قد يسأل سائل كيف يتأتى لرسول الله ذى الرحمة والرءوف بخلق الله أن يقتل ذلك الرجل؟

- وهنا نتوقف لنوضح الآتى هناك فارق جوهرى بين المحارب وبين الجاسوس فالأول يعامل معاملة جيدة حين يقع أسيرًا وتحترم آدميته وكرامته أما الجاسوس فإنه يقوم بعمل خسيس بما يجمعه من معلومات مستغلاً انشغال الناس بالاستعداد للحرب ويتحصل على ما يشاء وهو الأمر الذى يضر بأية دولة.

- ولقد انتهت معاهدات جنيف لحقوق الإنسان بعد مئات السنين إلى ما أرساه الرسول عليه السلام من ضرورة إعدام الجاسوس.

---

(١) نظرية التأمين المضاد وهى من أهم النظريات الأمنية.

(ب) قضية بنى أسد

وردت للرسول معلومات من أحد مصادره من بنى أسد بأن قبيلته تحالفت مع بعض بطون القبائل المجاورة للمدينة المنورة وأنهم يعدون جيشًا لغزو المدينة.

- أكد الرسول أن هذه المعلومات من خلال مصادر أخرى.

- أعد خطة سريعة لإجهاض محاولات بنى أسد كان محورها:

١ - تكليف الصحابى/ أبو سلمة ومعه أكثر من مائة وخمسين مسلمًا بالتحرك السريع وغزو بنى أسد استناداً لقاعدة الهجوم خير وسيلة للدفاع.

(ملحوظة كانت هذه النظرية الأساس الذى اعتمد عليه نابليون بونابرت فى انتصاراته فى أوروبا)

٢ - كانت تعليمات الرسول على النحو التالى:

١ - السرية التامة وعدم إخطار أحد بوجهتهم.

٢ - السير ليلاً والنوم نهارًا مع الاختفاء.

٣ - استخدام الطرق غير المطروقة والابتعاد عن الطرق الرئيسية والمعروفة بالسير فيها.

٤ - اتخاذ طرق ملتوية دون الاتجاه مباشرة لموقع بنى أسد.

٥ - أن يكون وقت الهجوم عند الفجر وليس فى النهار أو بداية الليل.

- هذه الأفكار العبقرية والتعليمات النبوية تسمى اليوم أمنيًا (حملة أمنية) وتقوم بها وحدات خاصة مثل القوات الخاصة - الأمن المركزى - قوات الطوارئ .... إلخ.

تسمى الآن وحدة مكافحة الإرهاب أو أى مسمى آخر وهى وحدة موجودة فى كل الأجهزة الأمنية تكون مهمتها الاستعداد الفورى لأية مهمة فورية وهى مجموعات من الأفراد على أعلى مستوى تدريبى ومكلفة بمهمات خاصة مثل مهاجمة أوكار جنائية أو بعض قرى معروف ومشهور عنها مثلاً الاتجار بالمخدرات أو حيازة أسلحة غير مرخصة.

وكذا المهام فى مجال الأمن السياسى مثل اقتحام فندق تحت التهديد أو مهاجمة إحدى مجموعات مسلحة احتمت بإحدى القرى.

ـ نجحت الحملة الأمنية التى أرسلها الرسول فى اختراق الطرق والجبال والوصول لبنى أسد ومهاجمتهم عند الفجر وبالتالى فروا هاربين تاركين العديد والكثير من الغنائم والتى حصرت وقدمت للرسول ـ ﷺ ـ.

ـ نجحت هذه الحملة فى فك التحالف بين بنى أسد والقبائل المجاورة والذين رأوا شدة الرسول والمسلمين فأخذ البعض فى التوجه للمدينة لتجديد عهدهم مع الرسول وأعلن البعض بقاءهم على شريعة الإسلام.

مكافأة المصدر (تقدير المصدر)

أرسى الرسول ـ ﷺ ـ مبدأ مهمّا فى التعامل مع المصدر ألا وهو تقدير المصدر حيث أرسل الرسول فى طلب الرجل الذى أبلغه بالمعلومات وقام بإعطائه الكثير من الغنائم والأموال وذلك لعدة أهداف:

١ ـ حتى يرى المسلمون وغيرهم من العرب أنه يقدر من يعاونه وبالتالى يكون لهم الجزاء الحسن.

٢ ـ حتى يدرك المصدر أنه قوبل بتقدير تام (حتى وإن لم يكن أسلم) ويكون حريصاً على تعقب أية معلومات يرسلها للرسول وبذلك وضع مبدأ حتى لايكون رجل الأمن (يتكاسل ويطفش) بالتعبير الدارج المصدر وهو الأمر الذى يجعل أى مصدر يتحاشى التعامل مع رجال الأمن.

(ج) واقعة دومة الجندل

(دراسة امنية)

بعد واقعة أحد كان الرسول يهدف لتجميع القبائل العربية نحوه وكانت بعض القبائل تحاول غزو المدينة ومن خلال مصادر الرسول الأمنية وكان ينجح فى إجهاضها.

ـ أما بالنسبة لقبيلة دومة الجندل فهى قبيلة تقطن فى إحدى الطرق قرب المدينة وبالرغم من عدم وجود أية علاقة بينها وبين قريش إلا أن هذه القبيلة كان معروف عنها ما يسمى اليوم (بقطاع الطرق) على القوافل والمسافرين وتقوم بمهاجمة المسالمين والذين لا علاقة لهم بالرسول أو قريش.

ـ ولأن الأمن الجنائى لا ينفصل عن الأمن السياسى كما أرساه سيدنا الرسول فقد رأى أن هذه القبيلة تمثل خطرًا على المسلمين وعلى أمنهم كما أن هزيمة المسلمين فى أحد قد تشجعهم على غزوة المدينة أو سلب قوافل المسلمين.

ـ أعد الرسول ما يسمى "بحملة أمنية" لتأديب هذه القبيلة واصطحب معه دليلاً من قبيلة بنى غررة حتى يرشدهم للطرق غير المطروقة وكان الرسول يسير بالليل ويستخفى بالنهار إلى أن فاجأ أهل دومة الجندل وباغتهم بالهجوم ففروا هاربين للجبال تاركين ديارهم وأموالهم غنيمة للمسلمين.

المبحث الثالث : قضية صلح الحديبية

مقدمة

"صلح الحديبية" كما قال الرسول كان فتحًا مبينًا ودون الدخول فى موضوعاته وإفرازاته العديدة فإننى أتناوله من الزاوية الأمنية ولها بعد نظر أمنى وسياسى على أعلى مستوى وأن الرسول - ﷺ - كان له نظرة أمنية ثاقبة ورؤية راقبة فى التفكير والتخطيط ولمعرفة ذلك ينبغى الوقوف على ظروف توقيع هذا الصلح وما أفرزه من نتائج.

(أ) ظروف توقيع الصلح

- "بانتهاء غزوة الخندق" استتب الأمر تمامًا لسيدنا الرسول فى المدينة المنورة وخاصة بعد قضائه على بقية اليهود والذين غدروا به وحاولوا التحالف مع الأحزاب لضرب المسلمين ولأن الرسول ليس ملكًا ولا يبغى السيادة ولايسعى للمال فقد انحصر هدفه فى إعلاء كلمة التوحيد لله تعالى.

- ست سنوات كاملة قضاها الرسول فى المدينة حافلة بالمعارك والغزوات والمصادمات سواء كان طرفها قريشًا من جهة أو اليهود من جهة أخرى إلا أن شاغل الرسول - ﷺ - كان محصورًا فى شىء وهدف واحد هو بيت الله الحرام. والذى اضطر لتركه مهاجرًا إلا أن قلبه كان فى مكة ولا يفارق خاطره ولأن الله تعالى يعلم السر وأخفى فكان - سبحانه وتعالى - يعلم تعلق الرسول والمسلمين ببيت الله الحرام وحنينهم الدائم الذى لاينقطع فما كان منه - سبحانه وتعالى -

إلا أن جعل الكعبة هى قبلة المسلمين فى صلاتهم وهو الأمر الذى جعل رسول الله والصحابة أكثر تعلقًا وأشد حبًا لبيت الله تعالى وكانوا يشعرون أن كل نصر وكل غزوة ماهى إلا خطوة تقربهم لمكة وكانت قريش تدرك ذلك جيدًا إنما بصورة معاكسة ترى الرسول والصحابة كفروا بآلهة البيت وبالتالى لايستحقون زيارته وأنها إذا سمحت للرسول والصحابة بزيارة بيت الله فإن ذلك اعتراف بالدين الجديد وإيذان بانتهاء سطوة وحظوة قريش فى مكة وبين سائر العرب.

- رأى الرسول رؤية صادقة أنه والمسلمين سيدخلون المسجد الحرام محلقين ومقصرين وحين أبلغ المسلمين بذلك فرحوا فرحًا شديدًا وبعد نشوة الفرح بدأ السؤال كيف ستتحقق رؤية الرسول وكيف سيدخلون مكة حجاجًا؟

الرؤية الأمنية

- هنا برزت رؤية الرسول الأمنية واستعان بكل المبادئ والأسس التى أصبحت فيما بعد ميثاقًا للأمن السياسى وذلك من خلال عدة محاور على النحو التالى:

الإعلام

حين ينوى القائد العبقرى عملاً فإنه يقوم بإعداد ما يسمى بدراسة الموقف (تقدير موقف)[1] يضع فيه الهدف الذى يبغى تحقيقه ثم يضع الأساليب المناسبة لتحقيقه ولأن الهدف هو زيارة بيت الله الحرام فقد أدرك الرسول أن إعلان ذلك هو أول شىء ينبغى عمله.

١ - وهنا ذات يوم فى وسط الصحابة دخل الرسول الحرم النبوى وأسرَّ إليهم بالبشرى والرؤية الصادقة أنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين ومقصرين معه.

بدأت مرحلة التساؤلات كيف سيدخل المسلمون مكة ومتى؟ وهل ستسمح قريش بذلك وهل سيكونون محاربين أم حجاجًا فقط؟

---

(١) تسمى اقتصاديًا دراسة جدوى.

٢ ـ كان التصريح الثانى من الرسول أنهم سيدخلون مكة حجاجًا فقط فى شهر ذى القعدة.

٣ ـ ولأنه يدرك جيدًا منزلة البيت الحرام لدى القبائل العربية ويدرك مدى حرمة البيت عندهم وأن البيت به صنم لكل قبيلة تعتبره إلهًا لها وبالتالى فإنهم على استعداد لفداء آلهتهم بأرواحهم فكانت حكمته تحييد هذه القبائل بأن أرسل إليهم وفودًا لكل قبيلة يبلغهم أنه يعتزم التوجه لمكة لزيارة البيت الحرام حاجًا وليس محاربًا(١).

ـ وعلى جانب آخر فقد حدد الرسول شهر ذى القعدة وهو من الأشهر الحرم عند العرب "يحرم فيها القتال" يتجلى هذا مقدرة الرسول السياسية والأمنية حيث وضع الرسول قريشًا بين أمرين:

الأمر الأول: أن تصر قريش على منعه بالقوة وهنا سوف يدرك العرب عدم مصداقيتها فى حماية الحجيج وأنهم (قريش) غير مؤهلين لشرف حماية البيت الحرام وهنا لن تجد من يعينها على قتال المسلمين بل إنها سوف تفقد العديد من العشائر العربية والتى اقتنعت بأن قريشًا تحارب المسلمين والرسول دون أية شرعية حيث كانت حجة حماية البيت كان من ضمن حجج قريش لضم هؤلاء لها الزعم بأن الرسول يسب مكة وأنه اختلق دينًا جديدًا لا يعترف بالبيت الحرام ولا آلهتهم وهنا يكسب الرسول تعاطف هذه القبائل والتى لن تنجح قريش مرة أخرى فى جمعها والتحالف معها لحرب المسلمين مستقبلاً مثلما حدث فى معركة غزوة الأحزاب.

ـ القبائل والعشائر العربية سوف تعيد النظر فى دعوة الرسول بنظرة أخرى مقتضاها أن الرسول يحترم البيت الحرام وأنه مثل العرب يبغون حج البيت وبالتالى ستنعدم حجج قريش ويصبح هؤلاء لديهم الرغبة فى الدخول فى الدين الجديد أو على أقل تقدير سيلتزمون جانب الحياد بين الرسول وقريش وهو الأمن الذى يصب لصالح الرسول.

---

(١) حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

- إعلان الرسول بأن زيارته لمكة دون سلاح فى شهر محرم وأنه وأصحابه يتقدمهم الهدى لذبحه يقضى على أى حجج لقريش لأن العربى الأصيل لايعتدى على الحجيج العزل.

- بالتالى كانت كل خطوة من الرسول - ﷺ - مدروسة جيدًا وكل إعلان حقق مصداقية له.

الأمر الثانى: أن تترك قريش الرسول وأصحابه لدخول مكة وهنا سوف تفقد مصداقيتها أمام القبائل وتفقد سيادتها على العشائر العربية، والتى ستنظر لقريش نظرة المستسلم وتصبح الكلمة للرسول وأصحابه والمبدأ القبلى (الحياة للأقوى).

(ب) مرحلة الاستعداد والتحرك

- بدأت المرحلة الثانية من خطة الرسول فى تنفيذ استراتيجيته التكتيكية وهى تحديد موعد الخروج فى ذى القعدة وإعلانه ذلك.

- وبالفعل خرج الرسول وكان معه حوالى ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار.

- أكدت الأحداث حسن رؤية الرسول حيث رأت أغلب القبائل العربية أن تقف جانب الحياد بين الرسول وقريش انتظارًا لما تسفر عنه الأحداث.

- بلغ الرسول منطقة ذى الحليفة (ميقات العمرة والحج لأهل المدينة).

- انتوى العمرة وأمر أصحابه بالتلبية وعزل الهدى كما أكد عليهم بعدم حمل أى سلاح فيما عدا السيف فقط وهو مسموح به للحجيج.

موقف قريش

- لم تستطع قريش أن تدرك رؤية الرسول وخطته وتتحسب لها بمعقولية فعندما علمت بتحرك المسلمين فى اتجاه مكة اختلفت الآراء على النحو التالى:

رأى القرشيين

- أن خروج الرسول والمسلمين حيلة يحتالون بها لدخول مكة وبالرغم من أن دعوة الرسول بأنه يأتى مكة حاجًا وليس محاربًا لم تلق لديهم أى قبول وأن المسلمين إذا دخلوا مكة لن يخرجوا منها.

- دخول الرسول مكة سيدفع القبائل والعشائر لفك تحالفهم مع قريش واعتناق الإسلام وهو الأمر الذى سيفقد قريشًا سيادتها وهيبتها.

- تم الاتفاق على منع الرسول من دخول مكة ولو أدى الأمر لحرب، ولذا أعدوا جيشًا من حوالى مائتى مقاتل بزعامة خالد بن الوليد وعسكروا بذى الطوى[1].

موقف الرسول وتصرفاته الحكيمة

- أهمية المعلومات (تقدير الموقف)

١ - تقدير الموقف من أهم أسس الأمن السياسى يضاف له مدلول (إعادة تقدير الموقف) **ويعنى وجود مستجدات ينبغى التحسب لها.**

٢ - لقى الرسول أحد الأعراب من بنى كعب قادمًا فى طريقه فاستوقفه وأخذ يناقشه (أهمية المناقشة) عن قريش فأبلغه الأعرابى بأنهم لبسوا جلود النمور وعسكروا بذى الطوى وعددهم كبير.

- أعد الرسول ما يسمى بإعادة نظر (تقدير الموقف بالمفهوم الأمنى) على ضوء ما وصله من معلومات جديدة.

- انحصرت دراسة الموقف فى نقطتين:

١ - أنه والصحابة لم يخرجوا محاربين، وبالتالى أمام ذلك الموقف فإن الرسول ليس مستعدًا للقتال فقد يُهزم المسلمون هزيمة قاسية تجعل لقريش الفخر بعد غزوة الأحزاب.

---

(١) حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

٢ ـ أن قريشًا مصرة على القتال وشواهد ذلك ارتداؤهم زى الحرب من جلود النمور والشاهد الثانى أنهم عهدوا لخالد بن الوليد بقيادة فرسانهم وهو المعروف بالشجاعة والجسارة ولا يزال اسمه مرتبطًا بغزوة أحد.

وقد تدعى قريش[1] أن المسلمين جاءوا محاربين فى الشهر الحرام وبذلك تجعل لها المشروعية والشرعية فى الرد عليهم وقتالهم وهو الأمر الذى سيجد قبولاً لدى العرب والذين يرفضون تمامًا الحرب فى الأشهر الحرم.

خطة الرسول لإجهاض مخطط قريش

المحاور التالية:

١ ـ أكد الرسول تصميمه على إعلانه بأنه أتى مكة حاجًا وليس محاربًا.

٢ ـ كلف أصحابه بالبحث عن طريق آخر للوصول لمكة دون الاصطدام بقريش بذى الطوى.

ـ فعلاً قام أحد الأعراب[2] بإرشاد الرسول لطريق جبلى غير مطروق بين الشِّعَب والجبال يؤدى إلى الحديبية قرب مكة.

ـ وجدت قريش نفسها محصورة بين مكة والرسول والمسلمين فعاد فرسانها بسرعة للدفاع عن مكة تحسبًا لأى هجوم من الرسول.

ـ الحرب النفسية

ـ أعلن الرسول بأنه على استعداد لقبول أية خطة من قريش يكون فيها صلة رحم (قال ـ ﷺ ـ لا تدعونى قريش إلى خطة يسألونى فيها صلة رحم إلا وأعطيتهم إياها).

ـ وصلت هذه المقولة لقريش ولأحياء العرب والذين أدركوا مصداقية الرسول بالإضافة لتحركه (حركة الالتفاف حول مكة) جعل قريشًا تعيد النظر فى موقفها

---

(١) حرب الأكاذيب.

(٢) أهمية وجود مصدر ملم بمكان المأمورية.

الجديد وبخاصة أن المسلمين أصبحوا على أبواب مكة وبالرغم من عدم حملهم عتاد الحرب إلا أن قريشًا تدرك جيدًا مدى إيمانهم بدينهم واستعدادهم للشهادة وهو الأمر الذى إذا تحقق وفاز المسلمون فلن تقوم لقريش قائمة بعدها أبدًا.

- أرسلت قريش وفدًا من رجالها للرسول بغية تحقيق هدفين:"

١ - **الأول ظاهرى:** الاستفسار عن سبب حضور الرسول والمسلمين.

٢ - الأمر الثانى (خافيًا) التعرف على قدرات وإمكانات وأعداد المسلمين.

- عاد الوفد مقررًا أن الرسول والمسلمين لم يأتوا محاربين بل حجاجًا فقط.

- أرسلت قريش وفدًا آخر فعاد بنفس الرد وذات التأكيد.

عبقرية الرسول

- رأت قريش أن (قبيلة الأحابيش)[١] وهم يقيمون أسفل مكة ومعروفين بأنهم من أمهر الرماة ولأنهم حلفاء لقريش لصد أى غاز عن البيت الحرام فقد أوعزت لسيدهم/ الحليس وهو حين يشاهد المسلمين ومعهم سيوفهم سيدرك أنهم محاربون غازون وبالتالى سيعضد موقف قريش.

- علم الرسول - ﷺ - بمجىء الحليس سيد الأحابيش ولأنه - ﷺ - يعلم صعوبة التفاهم معه[٢] فإنه قام بعمل عبقرى سابق لأى عصر ألا وهو الصور الطبيعية[٣] فماذا فعل الرسول؟

* أمر الرسول أصحابه بأن يطلقوا الهدى فى السهل وحين رأى الحليس أكثر من سبعين بدنة تسير فى عرض الوادى وقد تآكلت أو بارها تأثر بذلك المنظر وثارت فيه الثائرة الدينية بأنه إن كان حالف قريشًا لصد الغزاة فقط وليس لطرد الحجاج وعاد لقريش وأبلغهم أنه سيترك مكة إذا منعت قريش محمدًا وأصحابه

---

(١) قبيلة تنتمى جذورها لليمن.

(٢) لا يمكن استبعاد الجانب الإلهى.

(٣) الإعلام المرئى الأمنى ومدى تأثيره فى الرأى الخاص والعام.

من دخولها وأدركت قريش أن الحليس إذا ترك مكة فقد يؤدى ذلك لتشجيع المسلمين على غزوها وكذا فإن انسحابه سينتشر بين العرب وهو الأمر الذى سيضعف موقفهم ويفقدهم مصداقيتهم فطلبت من الحليس إعطاءهم مهلة لإعادة النظر فى موقفهم .

تحرشات قريش وحكمة الرسول[1]

- أرسل الرسول أحد أصحابه كى يؤكد لقريش أن الرسول وصحابته لم يأتوا محاربين فما كان من قريش إلا أن اعتقلت هذا الصحابى وأرادت قتله إلا أن الحليس سيد الأحابيش تصدى لهم وأخلى سبيله.

- قام بعض السفهاء بإيعاز من قريش بإلقاء الحجارة على مخيم المسلمين حيث قام حوالى خمسين شخصًا بمحاولة إلقاء الحجارة بكثافة على المسلمين فأسرهم الرسول وأخذهم رهينة.

- فى تصرف غير مسبوق وحكيم من الرسول أخلى سبيل الأسرى وتركهم يعودون لقريش محملين بذات الرسالة أنه أتى مكة للعمرة وليس للقتال وأنه لايريد سفك الدماء فى (الحديبية) وهى حرم من حرم مكة.

- سقطت كافة الحجج أمام قريش وأمام القبائل العربية وأدركت ومعها قبائل العرب أن الرسول نجح فى خطته وأنه أظهر أمام العرب كافة وهم خاصة أنه لم يحضر لمكة غازيًا ولا محاربًا. وهنا كان لقريش أن تأخذ موقفًا آخر ظهرت فيه رؤية الرسول الأمنية الثاقبة.

مهارة الرسول الأمنية السياسية .

دون الدخول فى تفاصيل خارجة عن موضوعنا وإن كان المرور بها واجبًا للوصول إلى مهارة الرسول وبعد نظره الأمنى السياسى.

---

(١) حياة محمد صلح الحديبية

ـ أرسل سيدنا النبى/ سيدنا عثمان بن عفان سفيرًا له لقريش لإبلاغها أنه أتى حاجًا ولم يأت محاربًا ومكث سيدنا عثمان بعض الوقت فى مكة إلى أن ترددت ترديدات أن قريش قتلته وهنا ثارت ثائرة الرسول والمسلمين فدعا أصحابه فبايعوه تحت الشجرة على الوقوف معه فى قتال قريش حتى الموت وأكدت هذه البيعة متانة الروابط بين المسلمين والرسول وقوة إيمانهم وأنهم لايخافون الموت فى سبيل إرساء كلمة الله ووحدانيته.

ـ عاد سيدنا عثمان بن عفان فى أثره سهيل بن عمرو موفدًا من قريش لمفاوضة الرسول وعقدت معاهدة [(١)] بينه وبين الرسول عليه السلام وكانت الشروط التى انتهى إليها الطرفان على النحو التالى:

١ ـ مدة الهدنة عشر سنوات.

٢ ـ من يأتى الرسول من قريش بغير إذن وليه رده لهم الرسول.

٣ ـ من جاء قريشًا من رجال محمد لم يردوه له.[(٢)]

٤ ـ من أحب من العرب محالفة قريش فلا جناح عليه ومن أحب محالفة محمد ـ ﷺ ـ فلا جناح عليه.

٥ ـ أن يعود المسلمون عامهم هذا دون أداء عمرة على أن يعودوا فى العام الذى يليه ولهم ثلاثة أيام وليس معهم سوى السيوف فقط.

ـ هذه هى الشروط التى تم الاتفاق عليها بين الرسول وبين قريش ولقد رأى الكثير من المسلمين (ظاهريًا) أنها فيها من الإجحاف والظلم للمسلمين بل إن ما يقال بأن ردود الفعل بين المسلمين تصاعدت لدرجة أن سيدنا /عمر بن الخطاب راجع سيدنا أبا بكر الصديق فى هذه الشروط ووصفها بأنها إعطاء الدنية فى الدين لقريش بل إن شدة الغضب دفعت سيدنا عمر وهو ذو الأفق وبعد النظر

---

(١) هذه المعاهدة يطلق عليها اجتماع أو لقاء بين طرفين.

(٢) أى ارتد عن الإسلام ورغب فى الكفر.

ورجاحة الرأى أن يراجع الرسول ذاته فى هذه الشروط موضحًا أنها غير مقبولة وغير عادلة.

- هذه رؤية واضحة لتفكير وإدراك كبار الصحابة والذين جانبهم التوفيق تمامًا فى فهم رؤية الرسول - ﷺ - والذى كان له رؤية ونظرة أمنية وسياسية لا يدركها إلا من كان يحمل سمة وصفة الإعجاز المهارة السياسية كيف ذلك....[1]؟

الرؤية الأمنية الثاقبة للرسول (ﷺ)

معاهدة الحديبية كانت بحق فتحًا مبينًا كان له تأثيره على مستقبل الدعوة الإسلامية من جهة وعلى قريش والعرب من جهة أخرى وذلك للاعتبارات التالية:

(أ) الاعتبارات الأمنية:

١ - من خلال مراجعة البند الثانى والثالث من المعاهدة بإمعان وتعمق ندرك أن الرسول - ﷺ - يعلم جيدًا أن من يأتيه من قريش مسلمًا بغير إذن وليه أن ذلك المسلم أسلم وآمن عن قناعة واقتناع وأن قلبه امتلأ بالإيمان الذى يدفعه لأن يترك بلده وأهله وماله ومسكنه ويقبل أن يهاجر لبلد آخر تاركًا دين أبائه وأجداده هذا المسلم الذى لن يجد أى جزاء عند الطرف الآخر الرسول - ﷺ - سوى رضا الله تعالى لن يضيره إطلاقًا أن يرده الرسول ولن يقلل من إيمانه أن يظل بمكة.

٢ - هذا المسلم القوى الإيمان سوف يكون "عين" للرسول على قريش يأتيه بأخبارها وأمورها.

٣ - سيكون مع غيره من المسلمين ما يسمى **بالخط الخلفى للمسلمين** ويكونون معا قوة هائلة تنفع الرسول وهو الأمر الذى حدث فعلا عند فتح مكة حيث لم تراق أى دماء لأن من الواضح أن هناك كثيرًا من المسلمين كانوا منتظرين الرسول - ﷺ -.

(١) النبوءة الصادقة ووحى الله له.

٤ ـ سيؤدى وجود هذا المسلم وغيره من المسلمين لوجود ثغرات داخل قريش وداخل مكة حيث سيقومون بدور إعلامى بين المتواجدين فى مكة ومن جهة أخرى سيحدثون فرقة بن قريش لما يفعلون من استقطاب ودعوة الكثير للإسلام داخل مكة.

٥ ـ يشار إلى أن ذلك الأمر ظهر واضحًا فور عقد الاتفاقية حيث أسلم الصحابى /أبو جندل بن سهيل بن عمرو وما أن علم والده بذلك حتى أتى الرسول طالبًا إليه الالتزام بالاتفاقية وتسليم أبى جندل إليه إلا أن الرسول الكريم رأى ونظرته مستقبلية ثاقبة أنه يضير أبو جندل إن يعود لقريش ودعا الله أن يجعل له مخرجًا ثم سلمه لمن حضروا من قريش لاستلامه.

ـ ثم حدث أن أسلم الصحابى أبو بصير(١) فأرسلت قريش رجلاً من بنى عامر وآخر لاستلامه وفعلاً سلمه الرسول لهما وأثناء الطريق بعد مغادرة المدينة استطاع أبو بصير أن يختلس السيف من أحد حارسيه وقتله وفر الثانى إلى المدينة طالبًا من الرسول حمايته وتسليم أبى بصير وما هو إلا وقت قصير وفوجئ المسلمون بأبى بصير متوشحًا سيفه موجها حديثه للرسول بأنه ـ ﷺ ـ برأ ذمته وسلمه تنفيذًا لوعده واتفاقه وأنه لايريد أن يقتل فى دينه إلا أنه سيترك المدينة حتى لا يسبب أدنى حرج للرسول مقررًا له أنه وشأنه.

ـ نزل أبو بصير على طريق لقافلات قريش وكان الرسول وقريش قد اتفقوا على أن يكون هذا الطريق محايدًا للطرفين وهو الأمر الذى لا يلزم أبا بصير فتعرض لقافلات قريش والاستيلاء عليها ولم ينته الأمر عن ذلك بل إن العديد من المسلمين الذين أسلموا رفضوا أن يظلوا فى مكة أو كانوا يخفون إيمانهم انطلقوا إلى أبى بصير حتى أصبح عددهم أكثر من سبعين مسلمًا وأخذوا يعترضون قافلات قريش فى الذهاب والإياب.

ـ فما كان من قريش إلا وقد أدركت أن هذا الشرط سوف يؤدى لدمار تجارتها فأرسلت إلى الرسول تطلب منه إسقاط هذا الشرط وضم أى مسلم إليه.

---

(١) حياة محمد فصل صلح الحديبية د. محمد حسين هيكل.

ـ وهنا نرى الفارق بين عقلية الرسول وعقلية الصحابة وكذا عقلية قريش نجد أن الرسول له السبق فى بعد النظر والرؤية وبخاصة أن الكثير من المسلمين بقوا فى مكة وكانوا قوة هائلة كان لها دورها عند فتح مكة.

ـ على الجانب الآخر نرى أن عقلية الرسول وبعد نظره فى الشرط الثانى الخاص بأن من جاء قريشًا مرتدًا فلا ترده إلى الرسول فإن ذلك المرتد أصبح وجوده فى وسط المسلمين يشكل خطرًا كبيرًا بما يثيره من فتن وشائعات قد يستجيب لها بعض ضعاف النفس كما يكون مصدرًا للمعلومات لقريش على المسلمين وهو الأمر الذى يؤثر فى الجبهة الداخلية، ومن هنا فإن وجوده فى وسط المسلمين لا ضرورة له ومن الأفضل ألا يعود إليهم ثانية.

وهكذا نرى أن رؤية الرسول الأمنية لها بعد نظر وحكمة لا يأتيها إلا رسول كريم له قدرة الإعجاز.

(ب) الاعتبارات السياسية الأمنية

من خلال فحص الشرط الأول والذى ينص على أن مدة المعاهدة عشر سنوات يرى أن الرسول ـ ﷺ ـ كان له بعد نظر ورؤية ثاقبة إذ إنه بهذا الشرط تكون قريش اعترفت به ندا لها وهو الأمر الذى كانت تنكره بل وتشيع أنه ثائر وأنه مرتد عن دين أبائه وأجداده وهنا تمثل الاتفاقية ما يسمى بالاعتراف الكامل بالرسول وبالمسلمين.

ـ وعلى جانب آخر فإن الرسول يرغب فى فترة سلام بينه وبين قريش فتتيح له أن يأخذ بالدعوة مجالاً آخر وسط العرب من جهة وغير العرب من الفرس والروم وغيرهم كما تتيح له إعادة تنظيم البيت الإسلامى بهدوء وحكمة بالإضافة لأن يتفرغ لليهود والذين كانوا ولا يزالون أكبر عدو للإسلام.

ـ أدى ذلك الاتفاق لإنشاء وتكوين تحالفات بين الرسول والعديد من القبائل العربية، والتى أضافت للمسلمين قوة هائلة وقد اتضح ذلك حيث عاد الرسول بعد سنتين تقريبًا ومعه أكثر من عشرة آلاف مقاتل وهو عدد لم يشهده العرب

وإذا أخذ فى الاعتبار أن الرسول فى هذه الاتفاقية لم يكن معه إلا ألف شخص تقريبًا.

- بالإضافة لذلك كان هذا الاتفاق رسالة لأهالى المسلمين وذويهم فى مكة بأنهم أصبحوا قوة لها ثقلها وأنهم يعيشون فى أمان تام تحت ظل الرسول - ﷺ - وهو الأمر الذى أدى لارتفاع روحهم المعنوية.

ومن هنا نرى أن اتفاقية الحديبية بقدر ما كانت فتحًا مبينًا للمسلمين بقدر ما كانت قضية مفاوضات على أعلى مستوى فكرى وأمنى وسياسى يستحق بجدارة أن يطلق على صاحبها - ﷺ - ذو الإعجاز الأمنى العبقرى.

المبحث الرابع : قضية الأحزاب
محاولة غزو المدينة المنورة

مقدمة

حين أتحدث عن غزوة الأحزاب لن يكون حديثى شاملاً النواحى العسكرية والتى كتب فيهما الكثيرون المختصون وإنما حديثى يتناول الناحية الأمنية والإعجاز والحس السياسى الأمنى لسيدنا الرسول ولقد كانت واقعة الأحزاب تمثل حلقة من حلقات العبقرية الأمنية للرسول ـ ﷺ ـ وفيها الكثير من قواعد وأسس الأمن السياسى.

(أ) أهمية المعلومات:

دائمًا وأبدًا كان وسيظل اليهود العدو الأول للإسلام ودون الدخول فى تفصيلات خارج موضوعنا وبالتنويه البسيط فإن اليهود وبخاصة بنى النضير والذين أجلاهم الرسول عن المدينة المنورة فإنهم لم ينسوا ذلك وإنما أرادوا أن يأخذوا ثأرهم من الإسلام فبدأت مؤامرتهم بتأليب القبائل العربية وتحريضهم على قتال المسلمين وغزو المدينة المنورة وتصفية الإسلام.

ـ كانت خطة اليهود مقسمة على عدة محاور:

(أ) محور مكة. (ب) محور القبائل العربية. (جـ) محور اليهود بالمدينة المنورة.

(أ) المحور الأول (قريش)

ـ قام نفر من اليهود برئاسة/ حُيَىّ بن أخطب وكنانة بن أبى الحقيق وشقيقته كنانة فتوجهوا لمكة ومعهم بعض اليهود والذين لهم صلة بأهالى مكة وأشرافها.

- بدأت مؤامرة التحريض لقريش وتعددت مراحلها بضرورة الثأر من المسلمين والانتقام من الرسول الذى فرق بينهم إلى أن قرروا لهم أن عبادة الأصنام هى أفضل من عبادة الله وأن دين قريش خير من دين محمد ونجحوا فى ذلك إلى درجة أن قريشًا أعدت أكثر من أربعة آلاف مقاتل.

(ب) المحور الثانى (القبائل العربية)

- توجه وفد اليهود إلى القبائل العربية مثل غطفان وسليم وأشجع وغيرهم وألقوا فى روعهم ضرورة الانتصار لقريش حرصًا على مصالحهم الاقتصادية والتجارية كما أن مكة بها آلهتهم من الأصنام.

- نجح اليهود فى تعبئة حوالى خمسة آلاف وأكثر قليلا.

(جـ) المحور الثالث (يهود المدينة المنورة)

- قام اليهود برئاسة حيى بن أخطب بالتوجه للمحور الثالث وهم يهود بنى قريظة والذين كانوا على عهد بينهم وبين الرسول بمقتضاه ألا ينضموا لأعداء الرسول ولا يتحالفون ضده وأن يقوموا بإمداد الرسول بالمؤن والأسلحة فى حالة تعرض المدينة المنورة لأى خطر خارجى.

- تسلل حى بن أخطب إلى يهود بنى قريظة والذين يقطنون أسفل المدينة وتقابل مع كعب بن أسد ومازال به يقنعه بفض التحالف مع الرسول مسترجعًا فى ذلك ما قال أصحابه اليهود عن الرسول وأن هذه اللحظة المناسبة لرد اعتبارهم وتدمير الإسلام بل إنه تعهد له أنه فى حالة انسحاب جيش الأحزاب إنه سيأتى ومعه قومه فيساندوه حتى الموت.

وهكذا أصبح جيش الأحزاب مكونًا من أكثر من عشرة آلاف محارب خلاف اليهود أسفل المدينة المنورة.

- هدف الأحزاب أن يضعوا الرسول والمسلمين بين فكى الأحزاب من جهة واليهود ومن خلف المسلمين من جهة ثانية.

تصرفات القائد الأمنى السياسى:

(أ) أهمية المعلومات وتوقيتها:

- وردت المعلومات متواترة للرسول - ﷺ - عن خطوات اليهود ودقة نجاحهم فى تأليب قريش والقبائل العربية من جانب واليهود من جانب آخر.

- قامت قبيلة خزاعة وهى من القبائل العربية المتحالفة مع الرسول - ﷺ - بإرسال مندوب له يبلغه بخبر تحركات قريش والقبائل العربية وأوفدت هذا المندوب (بالمفهوم الأمنى) من مكة إلى المدينة مسرعًا وقطع المسافة فى أربعة أيام (المسافة فى الظروف العادية سبعة أيام أو أكثر).

(ب) تأكيد المعلومة

ولأنه عليه السلام العبقرى الأمنى رأى أن يؤكد هذه المعلومة بالرغم من ثقته بحلفائه إلا أنه - ﷺ - يعلمنا بضرورة تأكيد المعلومات فأرسل كلا من الصحابيين / سفيان بن عوف، سليط بن عوف.

- كلفهما الرسول بأن يتوجها للطريق المؤدى لمكة لتأكيد هذه المعلومات إلا أن الصحابيين الجليلين وقعا فى قبضة جيش الأحزاب فقتلوهما وأطلق عليهما "الشهيدان القرينان".

- تأكد الرسول من صحة المعلومات التى وردت إليه بشأن قريش.

خطة الرسول الأمنية لإجهاض هذا التحرك

- دون الدخول فى التفاصيل العسكرية والتى ليس ذلك مجالها فإن الرسول أعد خطة إجهاض أمنية استندت إلى:

- حفر خندق حول المدينة المنورة بعد أن عرض هذه الفكرة سلمان الفارسى ووافق عليها الرسول والصحابة.

- استعان الرسول بإمكانات يهود بنى قريظة حيث وفروا له آلات حفر الخندق (كانوا حتى ذلك على عهدهم) وتم الانتهاء منه فى ستة أيام.

- ثم إخلاء المنطقة خلف الخندق لمسافة كافية وكذا إخلاء المساكن.

- تم جمع أعداد كبيرة من الحجارة فى هذه المنازل كى تستخدم كسلاح يرمى به المهاجمون فى حالة نجاحهم فى عبور الخندق.

- الاستعانة بالنساء والأطفال لرمى هذه الحجارة.

- جيش المسلمين أمام الخندق لمنع أية محاولة اختراق.

- وصل الأحزاب لحدود المدينة فوجدوا أمامهم خندقًا عميقًا لم يسبق أن يألفوه فى الحروب بينهم فكان أن عسكروا أمام الخندق لحين إيجاد وسيلة لغزو المدينة.

أهمية المعلومات والمتابعة

- تدفق المعلومات يعتبر هو العامل الحاسم فى أى موضوع أو قضية أو حرب وكان للرسول - ﷺ - عيونه (مصادر أخبار) فى كل مكان وكانت محل متابعة دائمة منه.

- وردت للرسول أثناء هذا الحصار أن اليهودى / حُيَىٌّ بن أخطب نجح فى اقناع يهود بنى قريظة بفك عهدهم مع الرسول والتحالف مع الأحزاب كما كان من إفرازات ذلك قطع المعونة والعتاد عن المسلمين وكان مصدرها / عمر بن الخطاب.

تأكيد هذه المعلومة

ولأهمية هذه المعلومة وانعكاستها على المعركة القائمة وما قد تفرزه من نتائج وآثار على المسلمين فقد أراد الرسول أن يؤكد هذه المعلومات.

- أرسل الرسول - ﷺ - كلا من:

الصحابى / سعد بن معاذ سيد الأوس.

الصحابى/ سعد بن عبادة سيد الخزرج.

الصحابى/ عبد الله بن رواحة.

الصحابى/ خوات بن جيبر

وأمرهم أن يتوجهوا لليهود لتأكيد صحة نقضهم للعهد.

(أ) أهمية الجانب النفسى (الروح المعنوية).

(ب) استخدام الشفرة.

(جـ) أهمية اختيار المندوب.

ولأن الرسول بما له من مقدرة أمنية ورؤية سياسية، فقد كلف الصحابة بأنه فى حالة تأكدهم من صحة هذه المعلومات ألا يعلنوها أمام المسلمين حتى لا يضعفوا من روحهم المعنوية واتفق معهم على كلمة سر يقولونها فى خلال حديثهم مع الرسول وكانت لفظ "عضل والقارة".

- حين توجه هذا الوفد لليهود تأكدوا من صحة تلك المعلومات بل إن اليهود قاموا بسب الرسول - ﷺ -.

- عاد مندوبو الرسول وسلموا عليه أمام المسلمين ثم رددوا كلة السر التى اتفق عليها وهنا تأكد الرسول من صحة ذلك.

- يشار إلى أن أهمية اختيار المندوب حيث هنا ظهرت موهبة الرسول فى إرساله لسادة الخزرج والأوس ومعهم بعض الصحابة لأنه يعلم أن هناك صلات سابقة وعلاقات بين اليهود وبينهم ومن جهة أخرى حتى يضمن الرسول ألا يقوم اليهود وهم المعروفون بغدرهم باغتيال المندوبين أو التعدى عليهم تحسبًا لرد فعل من أهل المدينة.

خطة الرسول الأمنية لإجهاض مخطط الأحزاب

- رأى الرسول أن يفكك هذا التحالف وخاصة أنه أدرك أن الوقت أصبح لصالحه إذا أخذ فى الاعتبار أن موسم الشتاء بما هو معروف من ظروف مناخية قاسية خاصة فى جو الصحراء وأنه إذا نجح فى ذلك ستكون له الغلبة.

ـ أرسل مندوبًا سريًا يفاوض قبيلة غطفان وهى من القبائل الكبيرة المتحالفة مع جيش الأحزاب.

ـ كان عرض الرسول أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة إن ارتحلوا وبخاصة أنه علم أنهم قد ملوا من طول الحصار.

ـ وإن لم تستجب غطفان لعرض الرسول إلا أن أنباءها تسربت لمعسكرهم وأدى لتفرقة بنيهم وهو الأمر الذى أضعف همتهم.

ـ المصدر المزدوج : كيف زرع مندوب مزدوج

ـ سبق أن أوضحت أن الرسول ـ ﷺ ـ سن العديد من القواعد الأمنية والتى بحق تدرس فى الأكاديميات الأمنية وأجهزة المخابرات ولعل أبرزها نظرية قاعدة المصدر المزدوج وكيفية الاستفادة منه وكيفية توجيهه.

ـ أثناء حصار الأحزاب للمدينة هدى الله تعالى الصحابى الجليل/ نعيم بن مسعود (من قبيلة غطفان) للإسلام وكان فضل الله عظيمًا حيث جاء هذا الصحابى فى صمت تام وأعلن للرسول إسلامه وطلب أى تكليف (اللفظ الأمنى) من الرسول.

ـ كان نعيم بن مسعود معروفًا بين اليهود وقريش والقبائل العربية وكان ضمن من اشتركوا فى بداية الحصار ضد المسلمين وبالتالى فهو فوق أية شبهات وبعيدًا عن أى شك.

ـ كانت خطة الرسول كما أوضحت هى تفكيك التحالف بين الأحزاب وتفريق رأيهم وهنا كان توجيهه للصحابى الجليل أن يفك هذا التحالف دون أن يعلن إسلامه مقررًا له أن الحرب خدعة وله كافة الحرية فى اتخاذ أى أسلوب لتصعيد الخلاف[1] بين هؤلاء الأحزاب (ألفاظ أو بالمفهوم الأمنى).

ـ انحصرت خطة الصحابى / **نعيم بن مسعود فى تحقيق هدف هو تحقيق الوقيعة بين الأحزاب وذرع الشك فيما بينهم مستغلاً المحاور التالية:**

---

(١) تصعيد الشىء تزكيته أو بمعنى آخر (الوقيعة بينهم).

(أ) محور اليهود

- ولأنه يعلم أن نقطة الضعف فى الجبهة الإسلامية الداخلية هى اليهود وحتى يقوم بتأمين خلفية المسلمين كبداية صحيحة فقد توجه اليهم ولأنه أهل ثقة إليهم فقد أبلغهم أنه علم أن قريش وقبائل العرب تزمع الانسحاب وأنهم فى أول فرصة سوف يرحلون ويتركون اليهود لمحمد وأصحابه (بحد تعبيره)، ثم طلب منهم حتى يضمنوا عدم فرار الأحزاب أن يطلب اليهود رهينة من جيش التحالف كضمان لهم وحدد لهم عدد سبعين رجلاً من قريش وكل قبيلة من الأحزاب.

- وقع هذا القول فى نفوس اليهود موقع الذعر والرضا الأول من جيش التحالف وغدره والثانى الرضا لموقف الصحابى/ نعيم بن مسعود والذى يبحث عن أمنهم ومصلحتهم.

- قرروا التمسك برأية شاكرين له فضله وجميله لهم.

(ب) المحور الثانى : قريش

- توجه الصحابى الجليل فطلب مقابلة أبى سفيان بن حرب قائد جيش قريش وكبيرها ثم أبلغه ومن معه بأنه علم أمرًا يبغى إبلاغهم به وأنه علم أن حلفاء قريش من يهود بنى قريظة تصالحوا مع الرسول على أن يسلموه سبعين رجلاً من أشراف قريش والعرب كاعتذار منهم ويسلمونهم للرسول - ﷺ - ليقتلهم باعتبار ذلك دليل ولاء لهم للرسول وندم على نقضهم عهدهم معه.

- المحور الثالث (قبائل العرب : غطفان وغيرهم)

- توجه لقبيلته والتى كانت تعتبر قوة عظمى بين القبائل فأبلغهم باعتزام اليهود طلب سبعين رجلاً من قريش وغطفان لتسليمهم للرسول قتلهم وذلك ندمًا على نقضهم لعهدهم معه.

- اتفقت كلمة زعماء جيش الأحزاب على إرسال وفد ليهود بنى قريظة بحجة إبلاغهم بالاستعداد لبدء المعركة والهجوم على المسلمين فى اليوم التالى (جس النبض).

ـ وبالفعل طلب منهم اليهود أن يسلموهم سبعين رجلاً من أشرافهم كضمان لعدم تركهم ميدان الحرب وترك اليهود فريسة سهلة للمسلمين[1].

ـ تفكك الأحزاب تمامًا وبدأت كل قبيلة فى جمع حاجاتها استعدادًا للعودة بعد أن تأكدوا من صدق أقوال الصحابى/ نعيم بن مسعود.

ـ استكشاف رد الفعل

هل الرسول ذو الحنكة الأمنية والسياسية يظل ساكنًا منتظر الأمور بالطبع لا ولأن قوة إدراكه الأمنى فقد أراد أن يعرف ما يدور فى أوساط أعدائه حتى يكون على بينة من أمره وعلى جانب آخر حتى يتحقق من نجاح مصدره فى الإيقاع بين الأحزاب.

ـ كلف الرسول أحد صحابته/ حذيفه بن اليمان بأن يتوجه لمعسكر الأحزاب ويتحرى أخبارهم دون أن يكشف نفسه وحين توجه لذلك وكانت ليلة مظلمة ولأن أبا سفيان داهية فقد طلب من حلفائه أن يتعرف كل منهم على صاحبه حتى لايدخل بينهم أحد من أنصار محمد وهو الأمر الذى جعله يأخذ بالمبادرة فتساءل بقوة عن الجالس على يمينه والجالس على شماله حتى لايسأله أحد.

ـ وهنا وقفة بسيطة تبين حسن اختيار المندوب والذى يجب أن يتوافر فيه حسن البديهة والذكاء والشجاعة حيث توافرت جميعها فى الصحابى الجليل اختيار الرسول المحنك ذو الإلهام.

ـ فى هذا اللقاء قرر أبو سفيان أنه راحل لاستحالة الحرب وطلب من حلفائه أن يلحقوا به.

ـ وهنا القدر الإلهى والتدخل السماوى والذى لا يغفل لحظة عن رسوله حيث عصفت الريح وأمطرت السماء وظهر البرق ولمع الرعد وصدق الله تعالى ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[2]

---

(١) حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

(٢) سورة الأحزاب. آية ٩.

وهكذا نرى أن الرسول - ﷺ - سن واستخدم العديد من النظريات الأمنية علمها له الله تعالى ولو طبقت هذه المبادئ على مستوى أى جهاز أمنى لصار للإسلام وضعًا ظاهرًا على أعدائهم.

المبحث الخامس: فتح مكة

واقعة فتح مكة بقدر ما هى واقعة حربية فيها من الدروس والعظات بقدر ماهى قضية أمنية على مستوى أعلى الأجهزة أمنية وكان فيها من المبادئ الأمنية والقواعد والأسس التى سنها الرسول الدروس والقواعد والأسس وسبق فيها العديد من جهابذة الأمن السياسى.

مقدمات الموضوع

عقد صلح الحديبية بين الرسول - ﷺ - وبين قريش وكان من أبرز شروطه فتح باب التحالفات لمن يشاء من القبائل العربية فمن رغب فى التحالف مع الرسول كان له ذلك ومن تحالف مع قريش فلا يعترض الرسول على ذلك.

- أفرز العقد تحالف قبيلة بنى بكر مع قريش ضمن العديد من البطون والقبائل وتحالفت قبيلة خزاعة مع الرسول.

- يتضمن التحالف ألا يعتدى أحد على الآخر ولا يعين على الآخر.

- قامت قبيلة بكر بالتعدى على بئر ماء لخزاعة وأعانتهم قريش على ذلك قناعة منها أن الرسول لن يعلم بذلك.

(أ) مصادر الأخبار

- وردت للرسول من خلال مصادره فى خزاعة خبر التعدى عليهم ودور قريش

فى ذلك وأن عكرمة بن أبى جهل هو الذى شجع بكرًا على ذلك ومعه بعض أشراف قريش بل إنه أمدهم بالسلاح قناعة منهم بأن الرسول لن يعلم بذلك.

(ب) تقدير الموقف والسرية التامة (المعرفة على قدر الحاجة)

قام الرسول - ﷺ - بعمل ما يسمى بتقدير موقف وهنا كان رؤيته أن قريشًا وقد نقضت عهدا واعتدت على حلفاء الرسول فإن الأمر لا يحتمل سوى شىء واحد وهو أنه إذا تهاون فى ذلك فسوف يشجع قريشًا وقبائل العرب على الاستهانة بالرسول والمسلمين ومن جهة أخرى ستدرك القبائل المتحالفة معه أنه تخلى عنهم وهو الأمر الذى يضعف هيبته وهيبة المسلمين ولذا كان قرار الرسول كلمة واحدة للرد على ذلك وهى فتح مكة.

- ولقوة بصيرته فلقد أخفى ذلك عن المسلمين ولم يخبر به أحدًا سوى سيدنا أبى بكر.

- أمر أن ينادى فى المسلمين للاستعداد وأرسل لحلفائه بالاستعداد للحرب دون أن يخبر بوجهته (قاعدة السرية).

- ولأنه رسول الله فقد شاور فى ذلك كلا من أبى بكر وسيدنا عمر وكان رأى سيدنا أبى بكر عدم الحرب لأنهم أهل الرسول وقومه أما سيدنا عمر فقد رأى أن قريشًا رأس الكفر وأن العرب لن تخضع للإسلام إلا بخضوع قريش وأيده الرسول فى ذلك.

- حدد الرسول موعد اجتماع القبائل فى رمضان والمكان بالمدينة المنورة.

- جاء للرسول حلفاؤه من العرب وأصبح الجيش حوالى عشرة آلاف مقاتل.

(جـ) تأمين المعلومات / مكافحة التجسس

ابتدع الرسول - ﷺ - نظرية تأمين المعلومات وهى التى تسمى اليوم بمكافحة التجسس لأجهزة بأخرى أمنية قاعدة من أهم قواعد العمل الأمنى السياسى (سواء فى المخابرات أو غيرها من الأجهزة الأمنية).

ـ كان هدف الرسول ـ ﷺ ـ أن يدخل مكة دون إراقة الدماء ولتحقيق هذا الهدف النبيل فقد أمر بعدة توجيهات على أعلى مستوى أمنى تعتبر أسسًا وقواعد للأمن السياسى.

ـ إخفاء الغرض من الحشد وكذا إخفاء المكان الذى سيقصدونه (السرية).

ـ أمر بمراقبة كل الطرق المؤدية لمكة ووضع بعض الصحابة فى العديد من المواقع (الرصد والتأمين المكافحة).

ـ أصدر قرارًا بمنع الخروج من المدينة لأى شخص وكذا عدم الدخول إليها إلا من خلاله حتى لا يعلم أحد بما يتم (الكمين).

ـ فى إطار التمويه أمر بحملة وهمية من بعض الصحابة وجها لأحد المواقع عكس مكة وتسمى بطن أخم (الإخفاء والتمويه).

ـ كلف سيدنا عمر بن الخطاب ومعه بعض الأنصار والمهاجرين بأن يتمركزوا فى مداخل ومخارج المدينة وضبط أى شخص يمر بهم ورده للرسول (التأمين).

ـ ولعل نجاح الرسول فى هذه الإجراءات كان المقدمة لنجاح خطته فى غزو مكة إلى مستوى أن قريشًا لم تشعر بالجيش إلا وهو على أبواب مكة على الرغم من طول المسافة بين مكة والمدينة وكذا تواجد العديد من القبائل فى هذه المناطق كانت قوة الإجراءات وحسن الإدارة والحس الأمنى العالى حجب عن قريش أية معلومات ولعل من إفرازات ذلك أن أحد الصحابة ويدعى/ حاطب ابن أبى بلتعة كانت أمه لا تزال تقيم فى مكة فأراد أن يضمن سلامتها متحسبًا أنه إذا أرسل لقريش بخبر الجيش سيكون ذلك شافعًا له عندهم وهداه تفكيره لإرسال إحدى النساء برسالة لأبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل يخبرهم أن الرسول فى طريقه لغزوهم.

ـ أرسل الرسالة مع امرأة وطلب منها إخفاءها وأرشدها عن الطرق التى تخرج منها دون أن يراها رقباء الرسول (مكافحة التجسس).

ـ قامت المرأة بإخفاء الرسالة بين ضفائر شعرها ثم تسللت إلى مكة.

ـ هنا وأبدًا لايمكن إغفال الجانب الإلهى الذى يحفظ الرسول ويرعاه أبلغه الله تعالى بهذه المؤامرة فأرسل الرسول سيدنا/ على بن أبى طالب والزبير بن

العوام وآخرين للحاق بها وفعلاً نجحوا فى التوصل لها قبل أن تصل لمكة وطلب منها سيدنا على الرسالة فأنكرت فقام بتفتيش أمتعتها فلم يعثر على شىء إلا وأنه يعلم أن الرسول لايقول إلا حقًا فلم يجد الإمام على سوى أن يجبرها على أن تخرج الرسالة أو يضرب عنقها ولأنها تعلم من هو الإمام على فلم تجد أمامها سوى إخراج الرسالة وتسليمها له فاصطحبوها إلى الرسول - ﷺ - (كانت تخفيفها بين ضفائر شعرها) وبذلك يكون النبى بالمفهوم الأمنى أجهض محاولة لتسريب أهم سر عن استعدادته بالتأكيد لو كان هذا السر وصل قريشًا لكان لفتح مكة شأن آخر.

- رفض الرسول أن يعاقب الصحابى لأنه من شهود معركة بدر وهكذا هو النبى.

- يعرف ذلك بقاعدة "مكافحة التجسس".

- المفاجأة والسرية

- بهذه الإجراءات نجح الرسول فى الوصول لمكة دون أن تشعر به قريش وأحد حلفائها على الطريقة لمكة .

- أمر الرسول بإشعال شعل النيران فأصبحت جبال مكة كأنها نهارًا وحضر أبو سفيان لاستكشاف الأمور فأمر الرسول سيدنا العباس بأن يحتجزه، ثم جعل القبائل تمر أمامه وهو الأمر الذى أدرك به أبو سفيان أن قريشًا لن تستطيع مقاتلة المسلمين.

وهو ما يسمى "بالحرب النفسية"، والتى كان لها تأثيرها على استسلام قريش ولأن الرسول - ﷺ - يعرف قدرات الرجال وتفسيتهم وهنا وقد أسلم أبو سفيان فإن ذكاء الرسول - ﷺ - جعل ذلك سببًا لإحباط همة قريش إذ بإسلام كبيرهم فإن الأمر سيدفع الآخرين لذلك وحتى يفعل ذلك فقد جعل الرسول له **أمر يعلم أنه يحبه ألا هو حب الظهور والسيادة فجعله ينادى من أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان**

فهو آمن (كيفية تجنيد مصدر بل توجيه لإحباط الروح المعنوية لقريش حين تعلم بإسلامه).

حقًا ما أذكاك وما قوة بصيرتك يا رسول الله.

ـ بهذه اللفتة الإنسانية النفسية الأمنية نجح الرسول ـ ﷺ ـ فى تحقيق النجاحات الآتية:

* إسلام أبى سفيان كان له تأثير كبير على أهالى مكة وخاصة بعض الذين كان الحماس الأعمى قد يدفعهم للتصدى للمسلمين أحبط حماسهم وأضعف نفوسهم فهذا الكبير بالنسبة إليهم قد استسلم وبالتالى لاجدوى للقتال.

* كان إسلام أبى سفيان دافعًا لأهل بيته لإعلان إسلامهم وهو فى حد ذاته نصر كبير للمسلمين والرسول.

* أدى إسلامه لتجنب سفك الدماء والذى تفرزه أية معركة وإذا أخذنا فى الاعتبار شرط صلح الحديبية والذى كان ينص على إعادة من يسلم لقريش فقد تكونت قوة لا بأس بها للمسلمين عند الفتح الأعظم (سبق تناول هذه الجزئية فى عبقرية الرسول فى شروط الحديبية).

ـ ولأن الرسول له بصيرة وقدرة أمنية فقد رأى أن يحبس أبو سفيان عند مدخل مكة حتى لايكون أمامه وقت فيسرع لتنبيه قريش أو تحريضهم وجعله يرى قوة جيش الرسول وكانت القبائل تمر من أمامها فيعرفها حتى أنه قال لسيدنا العباس (إن ملك ابن أخيك بات عظيمًا) فرد عليه سيدنا العباس إنها النبوة. صدقت يا رسول الله.

وهكذا نرى الرسول ـ ﷺ ـ قد طبق واستحدث النظريات الأمنية الآتية:

* المعلومات وسرعة وصولها.

* تقدير الموقف ـ السرية التامة للمأمورية بالنسبة للجميع.

* نظرية المعرفة على قدر الحاجة (حيث لم يعلم بخطة الرسول سوى سيدنا أبى بكر وسيدنا / عمر بن الخطاب.

* تأمين المعلومات ـ الكمين ـ تأمين المكان.

* مكافحة التجسس.

* مبدأ المفاجأة.

* نظرية الحرب النفسية وتأثيرها (أبو سفيان / إشعال النيران).

المبحث السادس: بيعة العقبة الثانية

تمهيد

للأسف الشديد كان مرور العلماء وأساتذة السيرة النبوية على بيعة العقبة الثانية[1] مرور الكرام ولم ينصهر أحد فيها حتى يرى أن هذه البيعة كانت بحق أول نصر للدعوة الإسلامية بل إننى وقد أكون مخطئًا أرى أن بيعة العقبة الثانية هى "البداية للتاريخ الإسلامى الأول ".

ولم تأخذ هذه البيعة حقها من الإنصاف وللحديث عن ذلك موضوع آخر إلا أن ما يستهوينى فى هذا الموضوع أنها كانت باللفظ والمفهوم الأمنى قضية أمنية متكاملة وفيها من القواعد والأسس الأمنية العديد منها وأهمها قاعدة السرية ـ ... إلخ.

وقت من أشد أوقات العسر والشدة عايشه الرسول ـ ﷺ ـ فبينما يكافح ويناضل لإعلاء كلمة التوحيد وليس له أنصار سوى الضعفاء والذين اشتدت عليهم قريش فى الإيذاء والتنكيل بل تجرأت قريش وحاولت اغتيال الرسول فى ذلك الوقت وخلال سنة واحدة اختفى أكبر سندين له بالوفاة وهما السيدة خديجة رحمها الله وجزاها عن الرسول خير الجزاء فكانت خير سند وقبلها بشهور قليلة كان سنده الثانى عمه أبو طالب قد توفاه الله على الرغم من بقائه على دين أبائه إلا أنه كان أكبر سند وخير معين وكانت قريش تتحسب له والآن

---

(١) على الرغم من أنهم استفادوا منها العبرات والدروس فإن ذلك ليس كافيًا فما زال فيها الكثير.

أصبح الميدان خاليًا إلا من الضعفاء والفقراء[1] الذين آمنوا به وهو الأمر الذى أدى لشراسة من قريش فى التنكيل بالرسول وأصحابه.

- وقبل الدخول فى الحديث عن العقبة الثانية لابد من المرور على العقبة الأولى[2] حتى تكون الأمور مرتبة فى نصابها الصحيح وتسلسلها المنطقى.

كان الرسول - ﷺ - لا يجد أمامه أية فرصة لإعلان دعوته والتعريف بها إلا واخترق هذا الطريق وصادفه العديد من الصعاب والمشاكل إلا أنه بإيمانه بالله لم يضعف ولم يتكاسل.

* كانت مكة قبلة العرب حيث يفد إليها القبائل العربية كافة فى موسم الحج وكان الرسول قد تقابل ضمن من قابلهم بعض شباب العرب من قبائل الأوس والخزرج والذين حضروا لتأدية الحج والتجارة فعرض عليهم الإسلام ودعاهم للدخول فيه ولأن حديثه كان حقًا وكلامه كان عقلانيًا فإن هؤلاء الوفد قبلوا دعوته إلا أنهم وعدوه بعرض هذا الدين على قومهم واتفقوا مع الرسول على موعد لمقابلته فى العام التالى حتى يكون الرد نهائيًا والتوقيت موسم الحج وفعلاً فى هذا العام حضر اثنا عشر رجلاً من قبيلتى الأوس والخزرج وقد قبلوا دعوة الإسلام وبايعوا الرسول على الوحدانية لله ولا يسرقوا ولايزنوا وغير ذلك من الوعود التى اشترطها الرسول ومضمونها التعاليم الإسلامية.

- اختار الرسول الصحابى الجليل/ مصعب بن عمير ليكون أول سفير له فى المدينة المنورة وكان اختياره يدل على قدرته فى تقييم الرجال، فنجح السفير فى دعوته خير نجاح .

- حين اقترب موسم الحج التالى حضر سيدنا/ مصعب بن عمير مع وفد كبير من قبائل المدينة وأبلغ الرسول بنجاح مأموريته وأن أهل المدينة على أتم استعداد لاستضافته واستقباله.

---

(١) مع ملاحظة وجود البعض من الأشراف والأغنياء.

(٢) حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

- فكر الرسول فعلاً بالهجرة للمدينة المنورة إلا أنه برز أمامه أمران:

الأول: أن الله تعالى لم يأذن له بذلك.

الثانى: ضرورة التأكد من إيمان أهل المدينة وضمان وفائهم بوعودهم.

- لم يكن تنفيذ ذلك متيسرًا إلا فى العقبة الثانية والتى قرر له سيدنا مصعب أن القوم حضروا لمبايعته على ما يحب.

- أصبحت سنة ٦٢٢ ميلادية هى السنة الفاصلة فى الدعوة الإسلامية حيث وفد على مكة العديد من القبائل العربية لموسم الحج وحضر وفد كبير من قبائل المدينة المنورة كان منهم ثلاثة وسبعون رجلا[١] وامرأتان من قبيلتى الأوس والخزرج وقد دخلوا فى الإسلام دون أن يعلم مرافقوهم ذلك.

- رأى الرسول - ﷺ - أن يحسم هذا الأمر ولن يكون ذلك إلا بعقد حلف يبايع فيه هؤلاء المسلمون الجدد وذلك الأمر يستحق العديد من المكاسب رآها الرسول ذو العقلية الأمنية السياسية على النحو التالى:

أنه أمضى حوالى ثلاثة عشر عامًا فى مكة[٢] على الرغم من ذلك فإن أعداد المسلمين نسبية ولن تزيد عن ذلك بأى حال نظرًا لحصار قريش لهم وشدة تنكيلها.

* أن ذلك الاتفاق سيبعد أصحابه عن العذاب وقسوة أهل مكة.

* سيفتح مجالاً جديدًا لنشر الدعوة بعيدًا عن القيود التى وضعتها قريش.

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) لا يمكن إغفال الجانب الإلهى.

بيعة العقبة اتفاق أمنى على أسس قاعدة السرية

حان الآن الحديث عن الإعجاز النبوى فى مجال الأمن وبيان كيف أن الرسول ـ ﷺ ـ كانت لديه الحاسة الأمنية العالية ويتضح ذلك فى الآتى:

ـ اتصل الرسول سرًا من خلال مصدره[١] مصعب بن عمير بقيادات المسلمين الجدد وأبلغهم بضرورة عقد لقاء (بالمفهوم الأمنى) وتم الاتفاق على الخطوات التالية لضمان نجاح هذا اللقاء:

* أن تكون المقابلة سرية ولا يعلموا بها أحدًا من القادمين عدا المسلمين الجدد من المدينة المنورة[٢].

* أن يكون تحركهم سواء فى الحضور أو الانصراف بصورة فردية وليست جماعية حتى لايشعر بهم أحد.

* أن يكون اللقاء فى أوساط أيام التشريق.

* مكان اللقاء يسمى العقبة.

* الزمان بعد منتصف الليل.

---

(١) المفهوم الأمنى لمندوبه أو صديقه.

(٢) سيرة ابن هشام.

(أ) أهمية التوقيت

- هذه الترتيبات الأمنية تدل على قوة وبعد نظر أمنى ومقدرة أمنية على أعلى مستوى فكرى وأمنى خاصة إذا أخذ فى الاعتبار العوامل الآتية:

١ - أن وفد الأنصار غرباء عن تضاريس مكة من شعابها وجبالها ولأن كل قبيلة تقيم فى منطقة محددة لعشائرها حتى لايضل أحد سبيله وبالتالى لابد أن يكونوا على علم بمكان الاجتماع حتى لايحدث أى خطأ يترتب عليه اللفظ الأمنى (كشف المكان).

٢ - تحرك ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين مرة واحدة بصورة جماعية سيحدث جلبة وأصوات وحركة قد تشى بهم خاصة فى جو الصحراء والذى يكون شبه ساكن بعد غروب الشمس.

٣ - قريش ترصد حركة القبائل حتى لاتنتشر الدعوة فى أوساطهم وبالتالى كان لها عيون ترصد أى تصرفات عن أية عشيرة أو قبيلة داخل مكة.

٤ - أى تصرف خاطئ قد يؤدى لكشف هذا اللقاء ومن جهة أخرى لإحداث وقيعة بين هؤلاء وبين قريش والتى تتصدى لأى صوت يعتنق الإسلام أو يتعاطف مع النبى.

- طبعًا لايمكن بأى حال إغفال الجانب الإلهى فالخطوات التى سيتخذها الرسول لضمان نجاح عقد هذا اللقاء خطوات بشرية والتوفيق والإلهام والنجاح من الله سبحانه وتعالى.

•• الخطوات الأمنية التى اتخذها الرسول لضمان نجاح هذا اللقاء:(١)

(•) الاتفاقات الأمنية السرية بين فقه الواقع وقراءة المستقبل

(أ) المرحلة الأولى:

كانت العقلية الأمنية للرسول - ﷺ - مدركة للخطر وللإفرازات التى يمكن

---

(١) حياة محمد د. حسين هيكل.

حدوثها فى حالة تسرب خبر هذا اللقاء لقريش ومن هنا اتخذ - ﷺ - الخطوات التالية:

١ - قناعة الرسول - ﷺ - بقاعدة "السرية" جعلته لايبلغ أحدًا من المسلمين بأمر هذا اللقاء بل إنه حال تحركه لم يصطحب أعز أصدقائه وأقرب أنصاره سيدنا/ أبى بكر.

- يرجع ذلك لقناعته أن خبر هذا اللقاء لو علمه أحد من مسلمى مكة قد يتسرب بحسن نية نتيجة ترصد لقريش والتى سوف تجهض ذلك بأى ثمن.

- تحرك أحد من المسلمين معه وبخاصة سيدنا أبا بكر والرسول بحاسته الأمنية يعلم يقينًا أن قريش تراقبه وترصد تحركاته وتحركات أنصاره . وهنا قد يرى أحد عيون قريش تحرك الرسول وصاحبه فى وقت غير طبيعى يثير الشكوك لديهم وقد يؤدى ذلك لكشف الأمر.

٢ - تعمد الرسول عليه السلام أن يكون تحركه طبيعيًا أمام عيون قريش وليتحقق ذلك فإنه اختار سيدنا/ العباس بن عبد المطلب وهو لايزال على دين قومه إلا أنه عم الرسول وتحركاته لن تثير أى شكوك لدى قريش لقناعتهم بأن سيدنا العباس وإن كان يحب ابن أخيه إلا أنه لن يكون أبدًا سببًا فى نشر الدعوة الإسلامية لأنه لا يزال على دينه ودين أجداده ويحذو صفهم.

● أخبر الرسول سيدنا العباس بأنه سيعقد لقاء فيه حلف مع عرب يثرب وكان مدركًا أن عمه العباس وإن رفض صحبته إلا أنه بكل تأكيد لن يشى يخبره لقريش وذلك يدل على مقدرة أمنية فى قاعدة (العرض) والمفاتحة[١] وقدرة فى تقييم الرجال وأيهما يكون صالحًا لأية مأمورية وهذه النظرية يطلق عليها (أهل الثقة).

● بالإضافة لذلك فإن مفاتحة[٢] الرسول لعمه واختياره أن يكون رفيقه كان يستند لأسباب يدركها جيدًا من ضمنها أن سيدنا العباس كان من ضمن من يطلق

---

(١) الناحية الأمنية.
(٢) قواعد الأمن السياسى.

عليه أمنيًا (المتعاطف) فقد كان متعاطفًا مع ابن أخيه فى دعوته وكان من أعلى الأصوات المطالبة بفك الحصار الاقتصادى الذى فرضته قريش على المسلمين فى شعب على ودعا لتحالف بنى هاشم عشيرة النبى مع عشيرة بنى عمه عبد المطلب لحماية الرسول وفك هذا الحصار وهو الأمر الذى تتحسب له قريش لما هو معروف عن سيدنا العباس بالعقل والقوة والعزوة.

- هناك سبب آخر لدى سيدنا العباس وهو السبب الذى أفصح عنه حين تقابل مع وفد يثرب وهو أنه أراد أن يتأكد تمامًا من أن ابن أخيه لن يغدر به هؤلاء العرب ويسلموه لقريش أو يجعلوه أضحوكة كما حدث من أهالى الطائف حين ذهب لهم الرسول ليعرض عليهم الإسلام وهو الأمر الذى إن حدث سيكون عارًا وفضيحة لبنى هاشم وبنى عبد المطلب فى الأوساط العربية.

- يشار أيضًا أن سيدنا العباس بما هو معروف عنه من رجاحة العقل وحسن التصرف فقد كان معروفًا بأنه جهير الصوت وبالتالى سيكون مندوبًا عن الرسول فى الحديث لضمان وصول صوته لهؤلاء الناس.

- من أهم مبادئ الأمن السياسى حسن اختيار المندوب أو المرافق أو المتحدث الرسمى (بمفهوم عبارات الأمن السياسى) وكان سيدنا العباس معروفًا عنه أنه من المفاوضين والمتحدثين بلباقة.

- وهنا نرى الرسول كان أول من استحدث مبادئ فى الأمن السياسى وهى:

١ ـ السرية التامة.

٢ ـ التمويه فى اصطحاب الشخص المناسب.

٣ ـ حسن اختيار المرافق أو المتحدث الرسمى.

وهذه الصفات التى توافرت فى سيدنا العباس هى المطلوبة فى أى شخص يعهد إليه بمهام ذات حساسية وذات أهمية.

(ب) المرحلة الثانية:

بالمسمى الأمنى بدأ اللقاء أو الاجتماع فى زمانه ومكانه وكانت المبادأة لسيدنا

العباس حيث إتحدث بكلمة بسيطة افتتح بها اللقاء واقتصرت على ما يسمى شروط تمهيدية أو تفاوضية.

- قرر سيدنا العباس الآتى (يا معشر الخزرج والأوس أن محمدًا منا وقد منعناه من قومنا وهو معنا فى عزة ومنعة.

- أنه عليه السلام اختار أن يلحق بكم وينحاز إليكم.

- تساءل سيدنا العباس هل أنتم جادون فى حمايته وموافقون له فى دعوته أم أنتم غير قادرين على ذلك ولينفض هذا المجلس؟

هنا نرى أنه أراد أن يحدد الأمور ويحسمها فى كلمتين **الجدية والإيمان أم عدم القدرة على حمايته.**

● رد أهل المدينة[١] من الأوس والخزرج أنهم مع الرسول فى عهدهم وطلبوا أن يوضح شروطه وإن كانوا موافقين عليها من المبدأ.[٢]

- هنا نرى الرسول الخطيب ذا البعد السياسى ذا المقدرة الأمنية ذا الحس الأمنى العالى يعلم أن مكان اللقاء مكشوف وزمانه محدد فتناول الآتى:

● رغب فى الإسلام وقرأ عليهم آيات من القرآن الكريم ثم تحدث بكلمة جامعة مانعة حيث قال:

(أبايعكم على أن تمنعونى ما تمنعون فيه نساءكم وأطفالكم) لم يطلب عليه السلام مال أو ملك أو زعامة لم يتحدث بغموض يحتمل أكثر من معنى رجل ليس له فى الدنيا سوى مطلب واحد إعلاء كلمة التوحيد والألوهية لله الواحد.

● لم يجد الأنصار سوى الإجابة على مطلبه ثم استفسروا منه عن عهد بينهم وبين اليهود وموقف الرسول من ذلك إذ نصره الله هل سيعود لأهله تاركًا إياهم مع اليهود.

---

(١) يثرب قبل أن تسمى بالمدينة.

(٢) حياة محمد د. محمد حسنين هيكل.

- رد - ﷺ - بكلمة جامعة (بل الدم الدم والهدم الهدم).

أنا معكم فيما أنتم فيه أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم.

• هنا قام القوم استعدادًا لمبايعة الرسول على ذلك إلا أن سيدنا/ العباس المدرك للأمور خلفياتها وإفرازاتها أراد أن يحسم كل أمر قد يثير استفهام مستقبلاً حتى تكون الأمور محددة وواضحة.

(هذا الأمر يطلق عليه تحديدًا الموقف) أو (حسم الموقف).

• قال (أتعلمون علام تبايعون؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإذا كنتم ترون إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلى أسلمتموه لأعدائه فاتركوه وشأنه من الآن وأن كنتم ترون أنكم وافون له بما يبايعونه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

• إجابة القوم بأنهم يبايعونه على خير الدنيا والآخرة وقاموا مبايعين للرسول فرد قائلاً إن هذه البيعة ليس لها أجر إلا الجنة.

- اختار الرسول منهم اثنى عشر رجلاً وجعلهم كفلاء على قومهم.

- أمرهم الرسول بالسرية التامة وعدم الحديث فى هذا الأمر حتى يعودوا للمدينة.

- أمرهم بالانصراف فرادى كما جاءوا حتى لا يشعر بهم أحد.

- هنا حدث أمر كان قد يؤدى لإجهاض هذا الاتفاق حيث سمع الرسول والأنصار صوت يصيح بقريش (أن محمد والصباه اتفقوا على حربكم).

• هنا وضح موقف الأنصار حيث استلوا سيوفهم استعدادا لأية حرب إلا أن الرسول الملهم من الله أمرهم بالانصراف فى هدوء حيث لم يأذن الله له بالقتال.

- تسربت أخبار هذا اللقاء لقريش فأرادت تأكيده (لفظ أمنى)

توجه بعضهم لمخيم الأوس والخزرج وتقابلوا مع بعض وفد المدينة والذين لم يكونوا أسلموا ولا يعلمون شيئا عن حقيقة مأمورية الأنصار فأقسموا لوفد قريش

بأنهم نيام منذ الليل إلى الصباح وهم لم يكذبوا على لأنهم لم يشعروا بتحرك الأنصار سواء فى الذهاب أو العودة.

ـ هنا نتوقف لنتساءل أليس قوة وبعد الترتيب والرؤية الأمنية الفاحصة، والتى أعدت ونظمت لقاء فى الصحراء الخالية فى وسط الليل يحضره خمسة وسبعون رجلاً ومنهم مرأتان دون أن يشعر بهم أحد.. ماذا يسمى هذا الترتيب والتنظيم أنه أمنيًا لقاء ناجح بكل المعايير والنتائج فى ظل ظروف ترصد من الجانب الآخر إنها الحكمة والرؤية الأمنية.

● يجدر الإشارة لأمر آخر أن تصرفات الرسول الظاهرة والحكيمة والمحسوبة أولدت قناعة لدى قريش أنه من المستحيل أن يغادر مكة لبلد آخر فلقد حدثت سابقة حيث هاجر المسلمون إلى الحبشة مرتين ولم يغادر الرسول مكة ولم يلحق بهم وهو الأمر الذى أولد لديهم المصداقية بأن ما تردد لهم من لقاء العقبة هو غير صحيح ويطلق عليه أمنيًا (الخداع والإيهام).

ـ وهنا نتساءل بثقة وبقوة إذ لم تسمّ هذا اللقاء بأنه على أعلى مستوى تأمين أمنى وسياسى لمأمورية فماذا يطلق عليه وبماذا تسمى هذه الخطوات من سرية وحسن اختيار للمندوب ودفة اختيار التوقيت وكيفية التحرك وكيفية الانتهاء أليس هذا ـ أمينًا ـ لقاء ناجحًا بكل المعايير ويؤكد قوة الرسول وحدسه الأمنى والسياسى "صلى الله عليك وسلم تسليمًا كبيرًا".

المبحث السابع: مأمورية الهجرة إلى المدينة المنورة

مقدمة

إذا أنصف التاريخ لوضع واقعة الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة فى قمة القضايا الأمنية الناجحة وتعتبرها أكبر مأمورية فى مجال الأمن السياسى ناجحة من بدايتها لنهايتها لنتائجها وهو الأمر النادر حدوثه إن لم يكن مستحيلاً وبالمقارنة بالعصر الحديث بعصر الهجرة والذى كان دون إمكانات أو دراسات أو مبادئ يلجأ إليها الأمن ويستمد فيها تعاليمه.

- وهذه المأمورية (بتعبير الأمن السياسى) اكتملت فيها مبادئ الأمن السياسى سواء من حيث التخطيط أو من حيث التنفيذ كما شملت جوانب وقواعد منها قاعدة الاستقطاب وقاعدة العميل المزدوج وكذا مبادئ التمويه وقاعدة المعرفة على قدر الحاجة وليس بآخرها "قاعدة السرية التامة" وهذه المبادئ وضعها الرسول الكريم فكان الترتيب والتنظيم والتنفيذ يدل على بعد نظر أمنى وسياسى على أعلى مستوى فكر بشرى فى ذلك الوقت وفى تلك الظروف المحيطة ولعلها مبادئ أرساها الرسول الكريم وهى بحق تدرس اليوم فى أكاديميات الأمن والمخابرات إلا أنه للأسف الشديد لم ينصف صاحبها ولم ينل حقه من التقدير.

أولاً: يذكر التاريخ أن الهجرة النبوية من مكة للمدينة كانت بداية الفتح الإسلامى وأساس تكوين الدولة الإسلامية وفى كتب السيرة يمر الكتّاب عليها من خلال نتائجها وما أفرزته من نجاحات فى تأسيس دولة إسلامية قوية البنيان

واقعة الهجرة فإنها تشمل مراحل عديدة من التخطيط والتنفيذ وذلك على الوجه الآتى:

(أ) التخطيط والإعداد

علم سيدنا رسول الله من الله تعالى بأن قريشًا أعدت عدتها لاغتياله مخافة أن يهاجر الرسول إلى المدينة ويلحق بأنصاره وأتباعه وفى هذه الحالة فإن العديد من المحاذير والمخاوف تمثلت أمام قادة قريش ولعل أبرزها:

- فى حالة هجرة الرسول وانضمامه لأنصاره فإنهم من المؤكد سيقطعون طريق تجارة قريش إلى الشام سواء القادمة أو المتوجهة لمكة ذهابًا وإيابًا.

- تكوين قوة عظمى أساسها أهالى المدينة المنورة والمهاجرين من مكة إليها (المدينة) وكذا من سينضم لهم من القبائل العربية سواء بدافع الانتقام من قريش لسيادتها أو لقناعتهم بالدين الإسلامى ووجود الرسول فى مكة يمثل مانعًا لهذه القبائل وقيد على إعلان إسلامهم.

- ضياع هيبة قريش سواء على مستوى القبائل المتحالفة معها أو القبائل القادمة لمكة لأداء فرائض الحج.

- نجاح قريش فى اغتيال الرسول ومنعه من الهجرة سيؤدى لعودة المهاجرين الذين آمنوا به كما سيؤدى لإجهاض الدعوة الإسلامية والتى لديهم قناعة بأنها أفسدت المجتمع المكى بصفة خاصة اجتماعيًا وأسريًا والعرب بصفة عامة وبالتالى عودة هيبة قريش وهيبة الحرم ومكة.

(ب) خطة قريش لاغتيال الرسول[1]

اجتمع رءوس قبائل قريش بدار الندوة على قناعة تامة بأن هذا الاجتماع لابد أن يحسم فيه أمر الرسول ودعوته ونوقشت الآراء المختلفة والتى كان لكل زعيم رأى وبعقلانية لم يتقبلوا الآراء المختلفة إلا أنهم انتهوا إلى ضرورة اغتيال الرسول

---

(١) يمكن مراجعة ذلك تفصيليًا فى باب الاغتيالات.

وهذه المحاولة هى أول محاولة جماعية لاغتيال شخص فى هذا العصر ولوجود محاذير عديدة وتحسبات حول نتيجة هذا الرأى فإنهم اتفقوا على أن تكون المحاولة جماعية وليست فردية وذلك من خلال اختيار أربعين شابًا من أعرق وأشجع البطون القبلية وأن يقوم هؤلاء بعمل كمين ليلى للرسول أمام منزله وتكون ساعة الصفر هى خروجة - ﷺ - لأداء صلاة الفجر ويقوم هؤلاء الشباب بضربه بالسيوف ضربة رجل واحل وبذلك يتفرق دمه بين بطون القبائل ولايستطيع بنو هاشم أو بنو عبد المطلب من محاربتهم جميعًا وبالتالى يطلبون الدية والتى تعطى لهم عن طيب خاطر وبذلك يتحقق لقريش هدفها الأسمى وهو إجهاض الدعوة من أساسها لأنها قائمة على فرد واحد وبتلك تنتهى هذه الفتنة ويعود المهاجرون لدينهم وأهاليهم.

إجهاض خطة اغتيال الرسول:

(أ) المعلومات (المصدر):

تجمع كتب السيرة على أن الله - سبحانه وتعالى - أوحى لنبيه الكريم بهذه المؤامرة من خلال سيدنا جبريل عليه السلام.

إلا أننى أضيف إضافة أنه من المعلوم أن اجتماع قريش لمناقشة مؤامرتهم تم بدار الندوة وحضره زعماء البطون والعشائر القرشية إلا أنه من المؤكد أن هذا الاجتماع الموسع قد يكون ضمن حضوره أحد المسلمين الذين لم يعلنوا إسلامهم وكذا حضره أيضًا بعض عشيرة الرسول ومنهم سيدنا العباس بن عبد المطلب عم النبى والذى لم يكن قد أسلم بالإضافة لذلك لا يوجد مانع من أن يكون أحد المتعاطفين مع الرسول سواء لقرابة وهى لها قيمتها فى ذلك المجتمع ولرد جميل ومعروف قد يكون الرسول أسداه إليه وهذه من نواحى النخوة والوفاء والمعروفة عن العرب وبالطبع لايمكن أبدًا بأى حال إغفال الجانب الإلهى[1] إلا أنه يمكن

---

(١) الشىء المؤكد الوحيد هو الوحى أما هذه النقاط فهى تحليل قد يصيب وقد يخطئ.

القول بأن خير هذه المؤامرة تسرب إلى الرسول بعد أن أعلنه الله به أو من خلال أحد المصادر السابق توضيحها أو هما معًا.[1]

(ب) السرية التامة لإجهاض المخطط

- علم الرسول بمضمون الخطة وتوقيتها فماذا فعل بعقليته الأمنية الفذة:

أولاً: أدرك الرسول - ﷺ - أن الوقت حان للهجرة واللحاق بأصحابه وخاصة أن غالبية المسلمين الذين آمنوا به سبقوه سواء للحبشة والغالبية **للمدينة المنورة ولم يتبق فى مكة إلا أقل القليل وأعد الرسول خطته على المحاور التالية:**

١ - المحور الأول: مبدأ المعرفة على قدر الحاجة

- لم يبلغ الرسول أى شخص من المسلمين الذين يقيمون بمكة برغبته فى الهجرة حتى لا يتسرب الأمر لقريش بصورة أو أخرى بل إنه أخفى ذلك عن أقرب أصدقائه وأخلص أعوانه سيدنا أبى بكر الصديق ولم يعلمه بأى شىء بل إن سيدنا أبا بكر حين جاء يستأذن الرسول فى الهجرة رفض إعطاءه الإذن وأعلمه بصورة غير مباشرة بأن ينتظر عسى أن يجعل الله له صاحبًا.

- ولعل عبقرية الرسول هنا أنه يثق تمامًا بسيدنا أبى بكر إلا أنه يخشى عليه أن تكون تصرفاته أو فرحته تؤدى للإضرار به وسببًا فى إيذاء من يعلم.

- لمح الرسول لصاحبه بعبارة قد تفهم بصور شتى إلا أنه يدرك تمامًا أن سيدنا أبا بكر له عقلية وإمكانات سيضع الأمور فى نصابها السليم فى المحافظة على السر وعلى جانب آخر الاستعداد له.

- بتوجيهات الرسول - ﷺ - قام سيدنا أبو بكر بإعداد راحلتين وللحس الأمنى عنده والذى تعلمه من الرسول لم يتركهما عنده وكان يستطيع ذلك إلا أن وجود راحلتين عنده وهو المعروف بعلاقته بسيدنا رسول الله سوف يفضح الأمر وعلى جانب آخر لو عهد بهما لأحد المسلمين المقيمين فى مكة لتسرب الخبر إلى قريش سواء بحسن نية من المسلم أو من خلال مشاهده قريش للراحلتين عنده.

---

(١) سيرة ابن هشام - حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

ـ لم يجد سيدنا أبو بكر إلا أن يعهد بالراحلتين لأحد معارفه من المشركين إلا أنه كان اختياره لعبد الله بن أريقط (أسلم فيما بعد) المشرك لن يؤدى لأى شبهات أو شكوك يضاف إلى ذلك أن عبد الله بن أريقط كان معروفًا عنه أنه من العالمين بدروب الصحراء وهو ما يسمى "بالدليل".

٢ ـ المحور الثانى: (الإخفاء والتمويه)

ولأن الحس الأمنى كان عاليًا عند الرسول فقد كان يدرك أن قريشًا سوف تشعر بخروجه ثم تقوم بمطاردته من خلال فرسانهم، ولذا اتخذ الخطوات التالية:

١ ـ أمر سيدنا على بن أبى طالب بأن ينام فى فراشه ويهدف بذلك إلى:

١ ـ خداع قريش وإيهامهم بأنه مازال نائمًا وما قدره الرسول كان صحيحًا فإن قريشًا حين استبطأت خروج الرسول للصلاة كانوا ينظرون من ثقب الباب فيرون (ماتمثل لهم) بأنه مازال نائمًا وكان أساس خطتهم انتظاره عند الخروج حيث كانت هى ساعة الصفر ولم يكونوا مبيتين النية على اقتحام المنزل.

٢ ـ كان الرسول يهدف لكسب أكبر وقت ممكن وفى حالة وجود سيدنا على فى فراشه فإنهم سوف ينتظرون وهو الأمر الذى تحقق فعلاً.

٣ ـ كان بحوزة الرسول ـ ﷺ ـ بعض الأمانات والتى كانت لاتزال باقية عنده وكان يستطيع أن يردها بنفسه لأصحابها إلا أن ذلك التصرف سيؤدى لتساؤلات قد تفضح بأمر مأمورية الهجرة خاصة أن أصحاب هذه الأمانات لم يطالبوه بها؛ ولذا كلف سيدنا عليا بأن يسلمها لأصحابها بعد هجرته عليه السلام.

٣ ـ المحور الثالث: تضليل الخصم وخداعه

المنطقى والعقلانى أن الرسول ـ ﷺ ـ سوف تكون رحلته إلى المدينة المنورة وبالتالى فإن الساعات القليلة التى كسبها الرسول من خلال تكليف سيدنا على بالنوم مكانه لن يكون لها أية قيمة فى مجتمع بدو تكون الخيل هى مربط النصر فى المتابعة والتعقب والرسول ـ ﷺ ـ يستخدم ناقة وبالتالى لو توجه الرسول

مباشرة لطريق المدينة لنجحت قريش فى تعقبه ومن هنا كان لعقليته - ﷺ - (لا يمكن إغفال الجانب الإلهى) بعد نظر فى ذلك فلم يتوجه مباشرة لطريق المدينة (المعروف بطريق الشام) بل إنه اتخذ طريقًا عكسيًا تمامًا إلا يكن أن تتوقعه أية عقلية فى ذلك الوقت حيث توجه لطريق اليمن ولمعلوماته الغزيرة كان يعرف بوجود غار ثور فتوجه إليه وبالفعل حين اكتشفت قريش أن النائم ليس الرسول وإنما سيدنا علىّ فإنهم توجهوا على الفور لطريق الشام ولمدة ثلاثة أيام أخذوا يجوبون الصحراء ولم ينجحوا فى العثور على الرسول وصاحبه.

بل إنهم حين بحثوا فى الطريق المؤدية للمدينة لم يكتفوا بذلك فعادوا يبحثون عن الطرق المؤدية لليمن ونجحوا فى الوصول لغار ثور إلا أن عناية الله - سبحانه وتعالى - أعمتهم عن الرسول وصاحبه من خلال خيوط العنكبوت والحمام الوحشى.

بالإضافة لقناعتهم التامة بأن المهاجر الذى يخشى على نفسه لا يمكنه أن يضيع الوقت ويتوجه لليمن وهو الأمر الذى يؤكد نجاح الرسول فى خداعهم.

٤ - المحور الرابع (التموين والمعلومات) الإخفاء

فى ظل جو الصحراء الملتهبة بالشمس نهارًا وشدة البرودة ليلاً فقد أقام الرسول ثلاثة أيام بغار ثور وكان يستحيل ذلك فى الظروف البشرية العادية إلا أن الرئيس المبصر والمدرك بأنه سيكون فى عزلة تامة عن البشر وفى مواجهة خطر الجوع ونقص الطعام، فماذا فعل - ﷺ - بعقليته المرتبة الفذة؟

- ثم كان هناك خطر كبير يتمثل فى أن العرب المقيمين بالصحراء كانوا بارعين فى ما يسمى باقتفاء الأثر، والذى يمكن من خلاله التوصل لمكان الرسول.

هذه المحاذير كانت فى ذهنه فتصرف على النحو الآتى:

(أ) من حيث التموين (الطعام والشراب)

- كلف سيدنا الرسول السيدة/ أسماء بنت أبى بكر بأن تحضر لهم الطعام

والماء يوميًا وهو ما يسمى بمبدأ (الثقة فى المصدر) وبالطبع هى بنت الصديق لا يمكن أن تشى بهما (التضليل للعدو).

أثناء حضور وانصراف السيدة/ أسماء تترك آثار لأقدامها على رمال الصحراء وهو الأمر الذى قد يدعو أحدًا لمراقبتها أو تعقب أثارها وبالتالى الوصول إلى النبى وصاحبه وهنا كلف الرسول أحد المشركين **والمعروف بتعاطفه (أهمية التعاطف مع القضية)**.......... ويدعى/ عامر بن فهير (أسلم أيضًا فيما بعد) بأن يحضر الغنم فى ظاهر الأمر لرعايتها إلا أن الحقيقة كانت فى المرور بنفس الطريق الذى تسير فيه السيدة/ أسماء وهو الأمر المؤكد بأن الغنم تضيع الأثر من خلال حركتها الفطرية .

(ب) المعلومات السرية

لم يكن الرسول - ﷺ - يعلم إلى متى سوف يظل فى هذا الغار مع صاحبه أيام أو أسابيع أم شهور وهو فى عزلة تامه لا يعلم شيئًا عن نوايا المطاردين له من قريش وهنا كان لابد له أن يتحصل على أخبارهم بسرية تامة حتى يتحسس خطاه وهنا نأتى لأهمية بعد نظر الرجل الأمنى[1] فى كيفية التحليل وكيفية الحصول على المعلومة فى الوقت المناسب والتعامل معها .

- كان ضمن هذه العملية الرائعة سيدنا/ عبد الله بن أبى بكر[2] وهو بالطبع من أوائل المسلمين إلا أن أمر الرسول له كان بإخفاء إسلامه وهو الأمر الذى جعله يتحرك فى حرية تامة فى أوساط القريشيين ويستمع منهم على المعلومات وهو أمن لشرهم باعتباره منهم وهو الأمر الذى نجح فيه تمامًا حيث كان يجالس قريشًا ويتعرف نواياهم وعلم بأنهم يئسوا تمامًا من العثور على الرسول وصاحبه وكفوا البحث فقام على الفور (وهنا تأتى أهمية توقيت توصيل المعلومة) بإبلاغ الرسول وصاحبه بذلك فقرروا مغادرة الغار إلى المدينة.

---

(١) لا يمكن إغفال الجانب الإلهى وحفظه لرسوله.

(٢) حياة محمد د. محمد حسين هيكل.

(جـ) التحسب للموقف:

التحسب لموقف يعنى وضع كل التصورات والاحتمالات الممكنة والغير ممكنة والتى يمكن أن تصادف أية مأمورية مع وضع حلول لها بحيث لو حدث شىء يكون متوقعًا وبالتالى يمكن تلافيه.

وهذا ما فعله الرسول - ﷺ - حيث يعلم جيدًا أن طريق مكة المدينة عبارة عن صحراء وجبال ولم تكن هناك طرق ممهدة وكان العرب يعرفون الطريق من خلال ما يسمى" بالدليل" والذى استعان به الرسول (عبد الله بن أريقط).

ولقناعة الرسول وتحسباته الأمنية بالرغم من ثقته فى معلومات سيدنا عبدالله بن أبى بكر بأن قريشًا قد كفت البحث عنه ومطاردته إلا أنه من المتصور أن يكون أحد أتباعها أو أحد قوافلها التجارية فى طريق عودتها لمكة قد تشاهد الرسول وصاحبه فتبلغ قريشًا وهنا لجأ الرسول لما يسمى "بالتمويه" فاختار طريقًا غير مألوف[١] وغير مطروق للمدينة وإمعانًا فى تضليل قريش فإنه توجه إلى الجنوب من أسفل مكة ثم توجه إلى تهامة قرب شاطئ البحر الأحمر (طريق اليمن) ثم اتجه شمالاً محاذيًا الشاطئ متخذًا من الطرق الوعرة غير المطروقة ولم يتوقف ليلاً ببرودته أو نهار بشدة حرارته لأنه يعلم أن الوقت فى غير صالحه حتى وفقه الله ووصل سالمًا للمدينة المنورة.

وهنا من خلال العرض السابق بالرغم من إيمان الرسول بالله تعالى وقناعته بأنه يحفظه إلا أنه كان مدركًا لقوله تعالى ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٢].

ولذا كان يحتاط دائمًا ويتحسب لأى موقف ويتخذ الإجراء المناسب والذى يساعده فى غايته ولجأ لأساليب يعجز عن إيتانها البشر.

وبالفعل كانت هذه العملية بالمنظور الأمنى عملية "هروب - أمنيًا - استخدم فيه المعلومات والمصدر الجيد الموثوق فيه والتحليل والتمويه حتى يمكن القول بأنها عملية أمنية ناجحة تمامًا غيرت وجه الدعوة الإسلامية.

---

(١) هجرة الرسول أكثر من مصدر غير مختلف عليه.

(٢) سورة البقرة آية ١٩٥.

استنباط القواعد الأمنية التى طبقها الرسول:

تعلمنا واقعة الهجرة للمدينة المنورة بعض القواعد الأمنية على النحو التالى:

١ ـ ضرورة تحديد الهدف الذى يسعى إليه ألا وهو الهجرة من مكة للمدينة.

٢ ـ السرية فى الترتيب والإعداد.

٣ ـ كيفية الاستعانة بمن هم أهلاً للثقة وفى أضيق النطاق.

٤ ـ استمالة أشخاص معروفين بكفرهم وولائهم لعدوه ونجاحه فى استقطابهم ومنهم عامر بن فهيرة/ عبد الله بن أريقط.

وهم من الأشخاص الذين لا يتطرق إليهم الشك لما هو معروف عنهما بالولاء لقريش.

٥ ـ أهمية الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن الهدف المطلوب تحقيقه وذلك من خلال معرفة واختيار الرسول "الدليل" يعرف الطرق والطرق البديلة والغير مطروقة.

٦ ـ أهمية توافر معلومات عن نية عدوه واتجاهه من خلال توجيه سيدنا/ عبدالله بن أبى بكر للوقوف على أخبار قريش وتوجهاتها.[١]

٧ ـ طمس أى آثار أو دليل يؤدى لمعرفة الطرق التى لجأ إليها الرسول وكذا المكان الذى اختبأ فيه.

(وذلك من خلال تكليف/عامر بن فهيرة فى طمس آثار الأقدام بالأغنام)[٢].

٨ ـ أهمية الاستفادة من عنصر الوقت فحين وردت المعلومات المؤكدة بأن قريشًا كفت البحث عنه قام فورًا بالخروج من مكمنه وتوجه إلى المدينة.

٩ ـ النجاح فى تضليل العدو وتوجيهه لجهة واتجاه آخر (حين توجه الرسول لطريق اليمن والذى لا يؤدى للوصول للمدينة إلا من خلال دورة بعيدة.

---

(١) ألفاظ أمنية معروفة لرجال الأمن.

(٢) حياة محمد، دكتور محمد حسين هيكل.

المبحث الثامن : نموذج واقعة غزوة أحد كقضية أمنية (منظور متكامل)

تعتبر واقعة أحد نموذجًا أمنيًا يدرس أو ينبغى تدريسه فى الأكاديميات الأمنية لما فيها من مبادئ وأسس أمنية تعتبر قواعد ينبغى اتباعها لدى أى جهاز أمنى وبالرغم من تناول العديد من العلماء الأجلاء لغزوة أحد إلا أنهم لم يلتفتوا للناحية الأمنية وكان رؤيتهم منتهية إلى أن هزيمة المسلمين فى غزوة أحد بسبب عدم اتباع تعليمات الرسول للرماة وتركهم لأماكنهم أعلى الجبل ونزولهم للبحث عن الغنائم إلا أن الموضوع إذا تناولته من خلال رؤية أمنية نجد أن الرسول ـ ﷺ ـ قد تعامل مع العديد من القواعد والنظريات الأمنية مثل: جمع المعلومات ـ تجنيد المصادر ـ المصدر المزدوج ـ تأكيد المعلومة ـ التأمين ـ الروح المعنوية ـ المناقشة والاستجواب ـ تحليل المضمون ـ الشائعات وهو الأمر الذى سنوضحه على النحو التالى:

١ ـ مقدمة أساسية

أصيبت قريش ليس فقط بهزيمة عسكرية فى غزوة بدر بل إنها كانت ضربة قوية فى كبريائها وسمعتها فى أوساط القبائل العربية بالإضافة لذلك كان من افرازات انتصار المسلمين فى بدر أن أصبحوا متحكمين على طريق القوافل من وإلى العراق وهكذا وجدت قريش نفسها محصورة بحصار عسكرى وحصار اقتصادى وجرح فى النفوس من الصعب التئامه وهنا لم يكن أمام قريش إلا أحد سبيلين:

الأول: الاستسلام للرسول والمسلمين والاعتراف بنبوته وفتح مكة أمامه بالإضافة لتتويجه عليهم ملكًا وسط القبائل العربية وفقدانهم لسلطانهم عليهم.

الأمر الثانى: رد اعتبارهم واسترداد هيبتهم والثأر لهزيمتهم وهذا الأمر يحتاج لغزوة عسكرية كبيرة.

- بالنسبة للأمر الأول لم تكن قريش مهيأة لقبوله سواء على المستوى العاطفى أو المستوى العقلى وبالتالى ليس أمامهم سوى الأمر الثانى أيا ما كان تضحياته.

● الحرب النفسية

قام زعماء قريش الناجون من غزوة بدر بشحن نفوس أهالى مكة والذين لم يكن هناك بيت قد خلا من قتيل أو أسير أو مصاب بيد المسلمين ولقيت دعوتهم للثأر من الرسول واستجابة قوية.

- وعلى محور آخر أرسلت قريش لحلفائها من القبائل العربية تطلب مساعدتهم فى الثأر من المسلمين وكانت هذه القبائل لاتزال لديها قناعة بأن ما حدث فى بدر كان أمرًا قدريًا لايمكن تكراره بأى حال وأن قريشًا هى المهيمنة على مكة والجزيرة العربية وبالتالى فإن اختيارهم كان لصالح قريش والذين يرتبطون معها بمصالح اقتصادية عديدة بالإضافة لمكانة قريش بأنها المهيمنة على بيت الله الحرام والذى يقصودنه كل عام.

- بالإضافة لذلك دور اليهود فى التحريض على الرسول.

- فى إطار ذلك استطاعت قريش إعداد جيش لم يكن له سابقة فى القبائل العربية حيث كان مقاتلوه أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل مشحونين بنار الثأر.

● أهمية المعلومات والمصادر

استعدت قريش بجيشها المشحون بروح الانتقام لغزو المدينة المنورة والقضاء على الرسول والدعوة الإسلامية وهنا يبنغى الوقوف حول عدة نقاط مهمة أعرضها فى صورة أسئلة.

س: هل كان الرسول - ﷺ - لا يعلم بهذه الاستعدادات؟

س: هل كان الرسول غائبًا عما يحدث فى مكة من حرب نفسية ضده وضد المسلمين.

س: هل كان للرسول عيون فى مكة وبمعنى أمنى دقيق هل كان له مصادر معلومات على مستوى فنى عالٍ يمكنها من توصيل المعلومات للرسول فى أى وقت.

س: هل فى حالة وصول هذه المعلومات يحاول الرسول الأخذ بها أم كان لابد من تأكيدها؟

ومن خلال استعراض ما يلى يمكن الوقوف على هذه الإجابات

أولاً: المعلومات

كان الرسول - ﷺ - ملمًا إلمامًا كاملاً بما يحدث فى مكة من شحن للعواطف واستعدادات للأخذ بالثأر بل إن كافة ما كان يحدث فى مكة وصل للرسول - ﷺ - من خلال ما يسمى أمنيًا بمصدر "ثقة" وهو نوع من المصادر يكون على أعلى مستوى من الذكاء ويشغل مكانة عالية فى بلدة وبين قومه يستطيع من خلال موقعه أن يحصل على المعلومات بسهولة ويسر.

ثانيًا: المصدر الخفى

كانت المعلومات متناثرة فى مكة عن استعدادات لقريش للثأر من الرسول ولكن من يستطيع أن يجمع هذه المعلومات ويقوم بتوصيلها للرسول - ﷺ - على أن تصل هذه المعلومات فى وقت مناسب وبكيفية سرية لايمكن الوقوف عليها.

وهنا يبرز دور **سيدنا العباس بن عبد المطلب** عم الرسول ولم يكن قد أسلم إلا أنه كان يحب ابن أخيه وهذا فى حد ذاته دافع قوى جعله يجمع هذه المعلومات المتناثرة ولا يستطيع أحد أن يشك فيه أو يشكك فيه.

الخطوة الثانية كيفية إرسال هذه المعلومات

لم يكن العالم يعرف ما يسمى بالشفرة أو أجهزة الإرسال أو الاستقبال كما لم يكن يعرف الحبر السرى وخلافه من المستجدات العلمية لتوصيل المعلومات بالإضافة لذلك المسافة كانت بعيدة جداً بين المدينة ومكة والطرق مليئة بقطاع الطرق وكذا القبائل المتناثرة فى المسافة ما بين مكة والمدينة والتى تربطها بقريش معاهدات واتفاقيات.... إلخ.

نقل هذه الرسالة وقد يشى به إلى قريش.

- كان يقطن ضواحى مكة قبيلة تدعى غطفان ورجالها معروفون بالشدة فقام سيدنا العباس باستئجار أحد رجالها والذين يثق فيهم وقام بإعطائه مبلغاً كبيراً من المال والرسالة التى بها المعلومات عن استعدادت قريش وخططها فى غزو المدينة.

- لضمان السرية اشترط سيدنا العباس على ما يسمى **"أمنيًا مندوبه"** أن يقطع المسافة للمدينة فى ثلاث ليال علماً بأنها تستغرق فى الظروف العادية حوالى أسبوع .

- كما اشترط عليه أن يسلم الرسالة للرسول فى المدينة المنورة لشخصه ودون أى شخص آخر.

- استطاع هذا المندوب الوصول للمدينة وقابل الرسول فى المسجد سلمه رسالة سيدنا/ العباس.

- يشار إلى أن هذا المصدر يطلق عليه عليه كوديا "رمز" لأهميته.

قاعدة تأكيد المعلومة والحرب النفسية

- استقبل الرسول رسالة سيدنا العباس وعلم بمحتواها ولفطرته وبعد نظره الأمنى كان يدرك أن هذه الرسالة لو عرف فحواها فى المدينة لأدت لإضعاف الروح المعنوية لأصحابه ولكان لها أثر سلبى على الروح المعنوية للمسلمين.

- وعلى جانب آخر بالرغم من ثقة الرسول - ﷺ - فى معلومات مصدره (سيدنا العباس) إلا أنه أراد أن يؤكد هذه المعلومات حتى يمكنه أن يتصرف بناء على ذلك.

وهنا نرى أن الرسول طبق قاعدة أمنية أساسية وهى "تأكيد المعلومة" كيف حدث ذلك؟

- القاعدة الأمنية لدى أى جهاز أمنى هى تأكيد المعلومة بمعنى أن أى خبر يصل لجهاز أمنى مهما كان هذا الخبر ومهما كان مصدره فإن الجهاز الأمنى لا بد له من خطوة تالية وهى التأكد من صحة هذا الخبر أو عدم صحته وهو ما يطلق عليه أمنيًا "تأكيد المعلومة" على أن تكون فى أقرب وقت ممكن.

وهنا نتوقف عند نقطة مهمة أن مرسل المعلومات (مصدرها) هو شخصية قيادية فى أوساط قريش ولا يمكن الشك فيه لاعتبارات عديدة أقلها أنه عم الرسول - عليه السلام - بالإضافة إلى سابقة حضوره مع الرسول اتفاقية العقبة الكبرى مع الأنصار وكان هو الوحيد مع الرسول - ﷺ - أى أن مواقفه السابقة تؤكد صدقه وحبه للرسول وخشيته عليه وذلك بالرغم من عدم إسلامه إلا أن رسول الله المحنك ذا الرؤية الأمنية وصاحب القواعد والأسس فى مجال الأمن السياسى لم يتوقف عند معلومات عمه ولكن لزيادة الاطمئنان وتأكيد هذه المعلومات قام باستدعاء الصحابى/ أنس بن فضالة وشقيقه وحدد لهما مأمورية محدودة دون أن يعلمها بما عنده من معلومات حيث كلفهما لمعرفة أخبار قريش وحذرهما من عدم اطلاع أى شخص على ذلك.

- بالفعل قام الصحابى الجليل وشقيقه بالتوجه لطريق مكة وعادا بالأخبار للرسول بأن قريشًا ومعها جيش كبير من القبائل على استعداد لغزو المدينة المنورة.

- لأهمية هذه المعلومات لم يكتفِ الرسول بذلك بل قام بتوجيه ما يسمى - أمنيًا - بالتأكيد بمأموريته كلا من الصحابة على حدة ودون أن يعرف مشرف المأمورية شيئًا عن المأمورية الأخرى حيث كلف:

١ ـ الصحابى/ الجعاب بن المنذر.

٢ ـ الصحابى/ سلمة بن سلامة.

وكانت مأموريتهما محصورة فى هدف محدد، أين قريش (تحديد مكانها) وبالفعل عادا الصحابيان الجليلان وأكد صدق المعلومات التى وردت للرسول عن قريش واستعدادتها ونجحا فى تحديد الأماكن التى تتمركز فيها قريش.

• حالة الطوارئ القصوى

دائمًا فى الأجهزة الأمنية ما يطلق عليه "حالة الطوارئ" وهى أمر يجعل كل العاملين فى حالة استنفار دائم مع الاستعداد لأى عمل ولحالات الطوارئ مراحل أقصاها الحالة القصوى وفيها يكون كل العاملين فى الجهاز الأمنى فى حالة تواجد دائم واستعداد مع استدعاء كافة الإجازات والراحات ليكون الجميع على أهبة الاستعداد فى أية لحظة.

وهذا الأمر فعله الرسول حين تأكد من صحة المعلومات حول حشود قريش فقام باستدعاء كبار الصحابة (المسجد النبوى مقر الرسول ﷺ) وعرض عليهم المعلومات التى حصل عليها ثم بدا ما يسمى (مجلس الأمن القومى) باستعراض الموقف وكان هناك رأيان:

الأول: يرى تحصن المسلمين بالمدينة والتى يعرفون دروبها جيداً بالإضافة لذلك سيكون النساء والشيوخ والأطفال بمثابة سور آخر يساعدهم ويقدم لهم التموين والتشجيع اللازم.

الثانى: يرى أن يخرج المسلمون لمقاتلة قريش خارج المدينة المنورة حتى يغلقوا عليهم باب الشائعات بأنهم حاصروا الرسول وأصحابه فى مدينتهم.

ـ كان الرسول ـ ﷺ ـ يميل للرأى الأول وله قناعة بأنه فى حالة وجودهم داخل المدينة فإن العديد من العوامل الإيجابية ستكون لصالحهم.

- حين رأى انقسام المسلمين بين الرأيين اضطر لقبول الرأى الثانى وأعد نفسه للقتال خارج المدينة.

- بالمرور السريع على أحداث وتطورات ذلك من تقسيم الرسول للجيش واختياره مجموعة من الرماة أعلى الجبل وانتصار المسلمين فى البداية ثم مخالفة الرماة لأوامر الرسول بعدم ترك مواقعهم وهو الأمر الذى أدى لأن تدور الدائرة على المسلمين وانتشرت شائعة مصرع الرسول (سبق عرضها فى باب الشائعات) وما فعله الرسول لإجهاض هذه الشائعة حتى عادت للمسلمين ثقتهم بأنفسهم والتفوا حول الرسول.

التأمين وتحليل المضمون

انسحبت قريش من أحد عائدة لمكة مقتنعة بما حققته من نصر ومكتفية بما حدث للمسلمين.

إلا أن رسول الله المحنك والملهم من الله تعالى لم تجعله الهزيمة ينسى أو يهمل فى قواعد الأمن والتأمين ولا يترك شيئًا للمصادفات فقد ترى قريش أن تعود مرة ثانية قناعة منها بأن هذه فرصتها للخلاص النهائى من الرسول والمسلمين.

- اختار الرسول - ﷺ - سيدنا/ على بن أبى طالب وكلفه بمأمورية محددة وهى تعقب قريش والوقوف على خط سيرها وكان ذلك يسمى - أمنيًا - "**اجتياح عاجل**" وفيه النقاط التالية:

- **رصد حالة جيش قريش هل يركبون الخيل أم الإبل:**

وهنا يأتى دور القاعدة الأمنية "تحليل المضمون" وبتحليل ذلك كان العرب اعتادوا فى حالة استعدادهم للحرب ركوب الخيل أما فى حالة الاسترخاء فيركبون الإبل ويجنبون الخيل وهنا تحدد رؤية وخطة قريش فإذا ركبوا الإبل فهم فى طريقهم لمكة ولا يفكرون فى العودة مرة ثانية أما إذا كان يركبون الخيل فسوف يعودون لغزو المدينة مرة ثانية.

● **الحرب النفسية:**

ـ قام الرسول ـ ﷺ ـ بخطوة تسمى أمنيًا وعسكريًا "إعادة التعبئة" ورفع الروح المعنوية للجيش حيث قام بالنداء على أصحابه بأنه يعتزم ملاحقة قريش وبخاصة أن سيدنا/ على بن أبى طالب أكد له أن قريشًا جنبت الخيل وركبت الإبل أى أنها فى طريقها لمكة وطلب الرسول من صحابته الذين اشتركوا معه فى غزوة أحد أن يشعلوا النيران لمدة ثلاث ليال حتى تدرك قريش أن هناك مددًا حضر للرسول وبالتالى أنه مصر على مطاردتهم وهو الأمر الذى دعاهم لسرعة ترك مواقعهم وسرعة التوجه لمكة المكرمة خشية الاصطدام مرة ثانية مع الرسول وما قد يفرزه من نتائج سلبية تؤدى لضياع ما حققوه من نصر زائف.

هل تعلم الرسول فى إحدى الأكاديميات الأمنية ذلك أو كان هناك ما يسمى حاليًا بإدارة المخابرات والموجودة بكل دولة صغيرة أو كبيرة وهل كان هناك تحليل معلومات. حقًا إنه رسول الله صاحب العبقرية الأمنية وكل العبقريات إنه الإعجاز البشرى ـ ﷺ ـ يا خير البشر.

خاتمـة

انتهيت من هذا الكتاب فى شهر شعبان الكريم، ولا أجد عبارة أو كلمة أختم بها سوى كلمة اللهم إن كنت وفقت فتقبل منى واجعل هذا العمل نوراً لى عندك وعند نبينا الكريم، وإن كنت قد أخطئت أو تجاوزت بدون قصد فأنا أعلم يقيناً أنك أنت الغفور الرحيم.

(رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)

(آل عمران، الآية ٨)

صدق الله العظيم

الجمعة ٢٠٠٨/٨/٨م

الموافق ٧ من شعبان ١٤٢٩ هجرية

أهـم المراجـع

- حياة محمد د/ محمد حسين هيكل.
- الحرف الخفية ـ فلسفة الجاسوسية ومقاومتها" صلاح نصر ـ رئيس المخابرات العامة".
- الجاسوسية بين الوقاية والعلاج.
- ملف الثمانينات عن حرب المخابرات ـ سعيد الجزائرى ـ دار دمشق للنشر والتوزيع.
- رجال حول الرسول " خالد محمد خالد".
- الخالدون مائة أعظمهم الرسول (مايكل هارت ـ ترجمة أنيس منصور).
- من معجزات الرسول "الشيخ محمد متولى الشعراوى".
- تأمين المعلومات، بحث للعميد "أسامة الشبراوى مفتش أمن الدولة بالفيوم".
- موطا الإمام مالك.
- عبقرية محمد " عباس محمود العقاد" / " عقبرية "محمد عبد الرحمن الشرقاوى".
- بين العبقرية والجنون د/ هاشم صالح.
- جهاز النت ٢٠٠٢/٦/٢١ وغير ذلك من التواريخ.

- الأمن فى الإسلام أ. د/ أحمد عمر هاشم.
- تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبى.
- بالإضافة للعديد من المذكرات فى الفرق الأمنية المختلفة وكذا العديد من كتب السيرة.
- ولاية الشرطة فى الإسلام عميد د/ نمر بن محمد الحميدانى.
- مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول (ﷺ) للكاتب د/ عبدالله عبد العزيز بن إدريس جامعة الملك سعود صادر ١٤١٢ هـ /١٩٩٢م.
- الرأى العام والإعلام والحرب النفسية د/ عبد الحميد حجازى الطبعة الأولى ١٩٨٧ مركز الأبحاث والدراسات الدولية.
- الحرب النفسية/ صلاح نصر طبعة ١٣، سبتمبر ١٩٦٦م.
- من أوراق رئيس المخابرات المصرية الأسبق لواء/ أحمد كامل، عن دار الهلال.
- الاستخبارات العسكرية ودورها فى تحقيق الأمن القومى فى الفقه الإسلامى والقانون الوطنى د. ذكى حسين زيدان رئيس قسم الشريعة كلية الحقوق جامعة طنطا.
- الأمن فى حياة الناس وأهميته فى الإسلام د/ عبد المحسن تركى وزير الشئون الإسلامية الدعوة بالسعودية.
- مجلة روح القوانين عدد أغسطس ١٩٩٩م صادرة عن كلية حقوق طنطا ملحق العدد الثامن عشر.

المؤلف فى سطور

- الكاتب: صادق حسين ـ ضابط شرطة.
- مواليد عام ١٩٥٨م ـ الجيزة.
- عمل فى مجالات الأمن المختلفة بين الأمن الجنائى والأمن السياسى لأكثر من ثلاثين عامًا غالبيتها فى الأمن السياسى.
- سبق له إصدار كتاب (خواطر حول منزلة الرسول ﷺ فى القرآن الكريم).

الفهـرس

منافذ بيع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة ساقية
عبد المنعم الصاوى
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة المبتديان
١٣ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة شريف
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة الجيزة
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة جامعة القاهرة
بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى -
الجيزة

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة رادوبيس
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

مكتبـــات ووكـــلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة-
بيروت - هاتف: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى -
الحمراء - رأس بيروت -بناية سنتر ماريبا.
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -
المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ -
الجمهورية العربية السورية

تونس

دار المعارف

طريق تونس كلم 131 المنطقة
الصناعية بأكودة

ص. ب: 215 - 4000 سوسة - تونس .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض -
تقاطع طريق الملك فهد مع طريق
العروبة (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ -
هاتف : ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات
والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية -
شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة :
٢١٤٨٧ - هاتف : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ -
٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية -
ص. ب: ١٧٥٢٢ - الرياض: ١١٤٩٤ -
هاتف : ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية -
الجوف - المملكة العربية السعودية - دار
الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف:
٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
هاتف : ٩٦٢٤٦٢٦٦٢٦ +
تلى فاكس : ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

الجزائر

١ - دار كتاب الغد للنشر والطباعة والتوزيع
حى 72 مسكن م. ب. أ. ع. عمارة هـ
محل ٠٢ - جيجل - هاتف :
034477122 - فاكس : 034495697
موبايل : 0661448800

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

تأملات إعجازية للنبى ﷺ في مجال الأمن السياسى

صادق حسين

الإبداع فضل من الله - سبحانه وتعالى - يمنُّ على عباده وحين يكون موضوعه عن خير مَنْ يمثل البشر فإنه قمة، وقمة العطاء من الله - سبحانه وتعالي - لأحد عباده.

كان عليه الصلاة والسلام - عالماً وبحر علم ولم يترك شيئاً فى أى مجال إلا وتناوله وعلّمه لنا، النبى ﷺ إعجاز وعبقريات فى جميع أوجه الحياة المختلفة، والجديد أنه لم يسبق لأحد اقتحام هذا المجال بما فيه من أحداث ووقائع.

يتناول الكتاب الإعجاز السياسى الأمنى لدى رسول الله ﷺ سواء مع أصحابه أو أعدائه، ويوضح كيفية معالجة المشكلات الأمنية بحس أمنى جديد ورؤية سياسية أمنية لم ولن تتوافر فى أية شخصية إنسانية. بل إنه وضع قواعد وأسسًا للأمن السياسى وهو بإقرار مجمع البحوث الإسلامية - كتاب جديد فى موضوعه ومتميز وفريد فى عرضه.

الهيئة المصرية العامة للكتاب


ISBN# 9789774214157
6 221149 016941

١٠ جنيهات